جذور نهضة

اليابان

غانم علوان جواد الجميلي



العبيكان
Obeikan

جذور نهضة اليابان

د. غانم علوان الجميلي

سفير العراق لدى المملكة العربية السعودية



ح مكتبة العبيكان، 1435هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجميلي، غانم علوان

جذور نهضة اليابان./ غانم علوان الجميلي.- الرياض، 1435هـ

240 ص؛ 16,5 × 24سم

ردمك: 1-677-503-603-978

1 - اليابان - التنمية الاقتصادية 2 - اليابان - الأحوال الاقتصادية

أ- العنوان

ديوي 338,900952 رقم الإيداع: 1435/3163

الطبعة الأولى

1435هـ / 2014م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

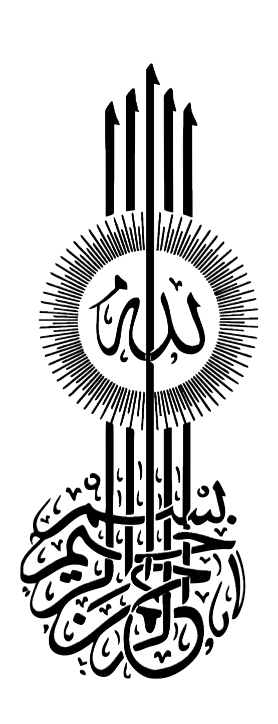
متجر العبيكان Obeikan على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 - فاكس: 4889023 ص. ب: 62807 الرياض 11595





المحتويات

الموضوع	الصفحة





المقدمة

الحمد لله الذي جعل البشرية شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وأصلي، وأسـلم على الرحمة المهداة للعالمين محمد الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، الذي جعل طلب العلم واجباً في كل وقت وحين.

وبعـد..

فإن ممـا يدعو إلى الغبطة والسـرور هـذا الاهتمام الظاهر عند كثير من الناس، وخصوصـاً جيل الشباب بالتعرف إلى تجارب الأمم والشعوب، وهذه من علامات الحكمة خصوصاً إذا ما اقترنت هذه الرغبة على الاطلاع باندفاعة نحو الاسـتفادة من تجارب تلك الشـعوب وتحويلها إلى دروس عملية ونقل تجارب النجاح وتطبيقها في واقع الحياة، وتجنب تجارب الفشل وإلغائها من واقعنا.

ولعـل من أغنـى التجارب التـي يمكن الإشـارة إليهـا اليوم، التجربة اليابانية بوصفها تمثل خبرة أمة من أنجح الأمم في زماننا هـذا، وهي لذلك كانت محـط اهتمام كثير من الكتـاب والمحللين. لكنـي وجدت أن ما كتب عن هـذه التجربة الفريدة في اللغة العربية محدود جدّاً، ولا يتناسـب مع أهميـة التجربة وما فيها من الدروس والعبر لأبناء أمتنا الذين يتلمسون طريق البناء. ولذلك آثرت على نفسـي أن أدلي بدلـوي في هذا المجال؛ لعلي أوفـق في نقل ما أعتقد

أنــه مهم ومفيد لنا من تلك التجربــة. ولا أدّعي أني أحطت بالأمر من كل جوانبه، فلا شــك أني تركت الكثير لمن أراد أن يســتزيد من البحث، وأن يتعمق في التجربة اليابانية، وربما ينظر إليها من زاوية أخرى. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

إن الخــبرة اليابانية في الإعمار وإعــادة الإعمار بعد الخراب الذي سببته الحرب العالمية الثانية تجربة تستحق الدراسة والتدبر واســتخلاص الدروس النافعــة والعبر المفيدة منها، فهي بلا شــك تجربة إنســانية فريدة من نوعها، وهي أهل لكل اهتمام. ومثل هذه الدراســة تكون أكثر فائدة للشعوب الناهضة التي تريد أن تبني لها ولأبنائها مســتقبلاً واعــداً، وهي لا تدري إلى أي وجهــة تتجه وإلى أين تســير. وإن التجربة اليابانية مثال واضــح على إمكانية البناء وتحقيــق التقدم من دون أن يكون كل ذلك على حســاب التضــحية بالموروث، كما ســنرى فيما ســيأتي من فصول. وكلي أمل أن يسلط هذا الكتاب بعض الضــوء علــى تلك التجربة الفريدة، وأن يشــحذ همّة الآخرين من أصحاب الاهتمام والدراية بهذا الموضوع الحيوي في اســتكمال ما قد يحتوي عليه هذا الكتاب من نقص حول موضوع بلا شــك لن يغطيه مؤلف واحد، وإنمــا هو في حاجة إلى تغطية من زوايــا مختلفــة تركز على بعضــ الجوانب بدقة وتفصــيل أكثر من هذه المحاولة التي أردت منها لفت الانتباه إلى هذا الكنز الكبير من



التجربة الإنسانية، وتضعه في متناول القارئ العربي الذي بلا شك في حاجة ماسة إلى دراستها والتمعن فيها.

وأول ما كتبت بعد هذه المقدمة فصلاً عن انطباعاتي الشخصية أسميته (من العراق إلى بلاد الواق واق) ذكرت فيه بعض المشاهدات التي لفتت انتباهي قبل وجودي في اليابان وفي أثنائه؛ لأنها شكلت المنطلق الأساس لهذه الدراسة، ذلك أن الحضارة عندي لا تقاس بالتطاول في البنيان والعمران، وإنما تقاس ببناء الإنسان. وأردت أن أجعل من هذا الفصل خلاصة لما أعتقد أنه السبب الذي دفع باليابان إلى تحقيق النجاح الباهر في نهضتها الأولى في القرن التاسع عشر والثانية في النصف الثاني من القرن العشرين. ولأن هذه التجربة لم تأتِ من فراغ، وإنما هي وليدة سلسلة من التطورات التي أملتها الظروف البشرية والجغرافية، فقد أفردت الفصل الثاني لدراسة الجغرافية الطبيعية في الجزر اليابانية؛ لأن هذه الجغرافية، وما تشكله من تحديات أسهمت بشكل كبير في بناء الإنسان الياباني، وأما الفصل الثالث فقد تناولت فيه الجغرافية البشرية من حيث أصل السكان وتوزيعهم الجغرافي وأهم المدن اليابانية، إضافة إلى دراسة العقائد والأديان ومحاولة تبيان أثرها في بناء الشخصية اليابانية.



أما الفصل الرابع، فقد درست فيه باختصار شديد تاريخ اليابان الذي قمت بتقسيمه إلى ثلاث مراحل خصصت لكل منها قسماً خاصّاً بها، حيث تناول القسم الأول التاريخ القديم إلى نهاية مرحلة الإقطاع، أما القسم الثاني فقد تناول بالشرح حقبة إصلاحات الإمبراطور ميجي إلى الحرب العالمية الثانية، وهي المرحلة التي يمكن بحق أن نسميها مرحلة إعادة البناء الأولى، ذلك أن اليابان مرت قبلها بحقبة الحرب الأهلية بين القوى الإقطاعية التي رفضت الخضوع لسلطة الإمبراطور والحكومة المركزية التي نتج عنها خراب ودمار كبير في البنية التحتية. أما القسم الثالث، فقد شرحت فيه مرحلة الحرب العالمية الثانية والآثار التي ترتبت عليها من دمار وخراب شمل اليابان كلها، وذلك للتدليل على أن تجربة إعادة الإعمار التي حصلت في اليابان عمل جبار يوضح بشكل عملي قوة الإرادة البشرية التي يمكن أن تسمو فوق الصعوبات مهما كبرت.

أما الفصل الخامس، فقد خصصته لدراسة عملية إعادة الإعمار بعد الخراب الكبير الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية، وتناولت فيه العوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت اليابان على تحقيق هذه النقلة الكبيرة، وتعرضت لدراسة سيرة أهم الأشخاص الذين كان لهم دور مميز في تلك الحقبة. وبعد عملية إعادة

الإعمار جاءت مرحلة البناء الاقتصادي التي أفردت لها الفصل السادس لأهميتها، حيث قمت فيه بدراسة بناء الاقتصاد الياباني الحديث، وأهم المبادرات التقنية التي ظهرت في اليابان، وساعدت على تحقيق التقدم في مدة قياسية في تاريخ الأمة.

إن حياة الأمم إنما تصنع من خلال جهودها في مواجهة التحديات، حتى إذا ما وصلت إلى قناعة بأنها وصلت إلى الكمال، وواجهت جميع التحديات، ولم يعد هناك ما تخشاه، حينها يبدأ العد التنازلي نحو الهبوط. والمستقبل بالنسبة إلى اليابان لن يخلو من التحديات التي مثلها مثل الماضي، سوف تتطلب هي الأخرى أساليب ووسائل جديدة تدفع بالإبداع الياباني إلى أقصاه، ومن أمثلة تلك التحديات معالجة آثار الزلزال والتسونامي الذي ضرب البلاد أخيراً، وأحدث فيها الكثير من الخسائر في الأنفس والممتلكات. هذه التحديات المستقبلية هي مادة الفصل السابع من الكتاب.

وإنه لمن دواعي سروري أن أضع هذه التجربة الفريدة أمام القارئ العربي، وذلك لقناعتي الشديدة بأهميتها خصوصاً في البلاد التي مزقتها الصراعات، وذلك للتدليل على أن الإنسان بإمكانه أن يسمو فوق الصعوبات، وأن يصل إلى آفاق عالية لم يكن يظن أن بإمكانه أن يصل إليها في الظروف العادية. إن هذه التجربة

الغنيـة بالدروس والعبر في حاجة إلى جهـود أخرى لكي نتمكن من الإحاطة بها من جميع جوانبها، وإني لأعتذر للقارئ عن أي قصور.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

كتب في مدينة الرياض
في الثامن من ربيع الأول عام 1434هجري،
الموافق التاسع من (يناير) من عام 2014 ميلادي.





من العراق إلى بلاد الواق واق

عينــت سـفيراً للعراق في اليابــان في أواخر عــام 2004م، ولم أكـن قـد زرت اليابان من قبل سـوى وقفة قصـيرة في مطار ناريتا الدولي في طريقي لزيارة سنغافورة وماليزيا منذ سنوات قبل ذلك، وكان مكوثـي في المطار سـويعات قليلة، إلا أنها مع قصــرها، تركت في نفســي أشـياء كثيرة أهمها مـدى اهتمام اليابانيــين بالنظافة. إضــافة إلى ذلك، فقد كانت عندي معرفة ببعض صفات اليابانيين في أثناء عملي في المجال العلمي في الولايات المتحدة بسـبب أن أحد زملائي في الدراسـة العليا في الولايــات المتحدة كان من اليابانيين، ثـم إن بعض الشـركات والعلمـاء اليابانيين أبدوا اهتماماً شـديداً بالبحوث العلمية التي كنت أنشرها، وبعد ذلك من خلال تعاملي مع الشركات اليابانية التي كنا نتعاقد معها لتزويدنا بأجهزة السيطرة والقياسـ الدقيق في أثنــاء عملي في المجال الصــناعي في الولايات المتحدة، حيث لفت انتباهي في أثناء التفاوض مع مختلف الشركات

العالمية اختلاف أسـلوب التعامل مع الشـركات اليابانية عن غيرها من الشـركات الأمريكية والأوروبية الكثيرة التـي تعاملت معها من خـلال حياتي العمليـة، وهذا لا يعنـي طبعاً أن الشـركات اليابانية كانت أفضـل، بل المقصود هنا أن أسـلوبهم في التعامل كان مختلفاً تماماً عن الآخرين. فعلى سـبيل المثال كنت عندما أرسل مواصفات جهاز معين إلى شـركات أمريكية ويابانية تعود الشـركات اليابانية بعدد كبير من الأسئلة التي تدخل في تفاصيل بعضها ليس له علاقة مباشـرة بالجهاز المطلوب وأدائه، لا بل إن بعضـها تتعلق بأشياء لم أفكر فيها مطلقاً. بالمناسبة، فهذه الأجهزة متطورة وغير متوافرة، وإنمـا هي جديدة نريد تصـنيعها لمواكبة تطور الصـناعة سـنوات قادمة. فعلى سبيل المثال، كانت الشركات اليابانية تسأل أحياناً عن لـون الأجهزة المحيطة بالجهاز في المعمل، وكنت أتسـاءل يا ترى ما علاقة لون وشكل الأجهزة الأخرى بأداء الجهاز المطلوب؟ وفي كثير من الحالات، وإذا ما تمت الإجابة عن مجموعة الأسئلة الأولى وبعد جهد جهيد ربما تعود الشركة اليابانية بمجموعة أخرى من الأسئلة. هذا طبعاً، إضافة إلى كثير من الأسئلة الأخرى التي تتعلق بالجهاز وعملـه. علمـاً بأن كثيراً من هذه الأسـئلة لم ترد ببـال أحد ناهيك عن السـؤال عنها من أحد غير الشـركات اليابانية. وإني رصـدت ظاهـرة أخرى جلبت انتباهي ألا وهي أن الشـركات اليابانية كانت إذا ما وضـعت الخطة لإنتاج الجهاز، وحددت موعد التسـلّم، فمن



الصـعب التفاوض معها حول تقديم الموعد، وبعبارة أخرى لا تبدي الشـركات اليابانية أي مرونة في التسـعير وموعد التسليم. أما إذا تم الاتفاق، فإن الشـركات اليابانية كانت الأكـثر التزاماً بالمواعيد والمواصـفات، حيث كانت الأجهزة تصـل دائماً، وهي مسـتوفية كل الشـروط والمواصـفات التي تم الاتفاق عليها عدا الكتالوجات التي كانـت تصـلني باللغـة اليابانيـة مـن دون ترجمة، حتـى أيقنت أن المواعيد والالتزامات عندهم كأنها مواثيق مقدسة لا نقاش فيها.

وبعدما وصـلت إلى اليابان ذهلت بما شاهدت، ذلك أني كنت في كل يـوم، بل في كل سـاعة أتعلم شـيئاً جديداً عن هذا الشـعب. وكان الدرسـ الأول الـذي تعلمته من صـفات اليابانيـين هو المعنى الأخير الذي تحدثت عنه سـابقاً ألا وهو الدقة في الالتزام بالمواعيد والمواثيـق، وكان مما تعلمت في أثناء تحضـيري لمهمتـي أن اليابان كانـت الشـريك الاقتصـادي الأول للعـراق في حقبة السـبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، وأن الشركات اليابانية الكبرى كان لها وجود كبير في العراق في أثناء تلك الحقبة، حتى وصـلت أعداد اليابانيـين العاملـين في العراق إلـى الآلاف. ولكن هـذا كله انقطع فجـأة بعد أن غزا ديكتاتور العراق الجارة الكويت، وأصـدر مجلس الأمن قرارات المقاطعة. والأمر الغريب أن الشركات اليابانية كانت أكثر الشـركات العالميـة التزاماً بقرارات الأمـم المتحدة لدرجة أن المهندسـين العراقيين كانوا يكتبون للشركات اليابانية للسؤال حول

قضـايا تقنية تتعلق بالأجهزة اليابانية التي يعملون عليها، ولم تكن عن شـراء أجهزة جديدة. لكن الشركات اليابانية كانت لا ترد على الرسـائل حتى بالاعتذار؛ لأنها تعتقد أن مجرد إرسال رسائل الرد، ولـو كانـت بالاعتذار عن الإجابة تشـكل مخالفة لقـرارات مجلس الأمـن التي وافقت عليها اليابان، مع إدراك الشـركات اليابانية أن منافسيها يقومون بمخالفة القرارات الأممية.

هذه الملاحظات والظواهر تعمقت عندي طوال السنوات الأربع والنصـف التي قضـيتها في اليابان والتي كانت بمنزلة ورشـة عمل عمليـة تعلمـت فيها الكثير عن طبائع ذلك الشـعب الأصـيل، ولكن لا بـد علـيّ أن أعترف مقدماً بأني كلمـا ازددت قرباً من اليابانيين اكتشـفت أن مـا أجهله كان أكـبر بكثير مما أعلم. ولـن أطيل على القارئ الكريم بسـرد كثير من الأمثلة، وهي كثيرة بلا شك، ولكني سوف أكتفي ببعضها، فأذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أولهـا عـن الالتزام الذاتي الـذي لاحظته عندمـا كنت أخرج للمشـي في شوارع الحي الذي أسكن فيه وسط طوكيو، وبسبب كثرة الارتباطات، فقد كنت أخرج في ساعات متأخرة، وتصادفني إشارة ضـوئية للمرور قرب البيت، فألاحظ أن المشـاة حتى في السـاعات المتأخرة من الليل وفي غياب السيارات لا يعبرون الشوارع إلا عندما تفتح الإشـارة الضـوئية، هذا ما يدلل على أن الالتزام بالإشـارات وقواعد السير يتم طوعيّاً وفي غياب الرقيب.



إن الالتزام بالنظم والقوانين ليس لفئة دون أخرى ولا لصغار القوم دون كبارهم، فالنظام يسري على الجميع. وأي قرار أو سياسة تتخذ يتم الالتزام بها من الجميع دون تمييز. وكان من أول الأمور التي جذبت انتباهي بعيد وصولي اليابان ضجة كبيرة أثيرت حول تصريحات نسبت للإمبراطور حول المناهج التعليمية أشار فيها إلى أنها ربما تثقل كاهل الطلاب، وتحملهم ما لا يطيقون، فقامت الدنيا، ولم تقعد بسبب تلك التصريحات، ذلك أن دستور اليابان في مرحلة ما بعد الحرب العالمية يجعل سلطة الإمبراطور رمزية، ولا تسمح له بالتدخل في شؤون الدولة، فكيف يصرح بتلك التصريحات. من أجل ذلك كان على سلطة القصر أن تصدر بياناً توضح فيه تصريحات الإمبراطور.

وبمناسبة الحديث عن الإمبراطور والإمبراطورة والعائلة المالكة الذين تشرفت بمعرفتهم عن قرب، فوجدتهم في غاية التواضع والأدب وسعة الاطلاع. وأذكر أن جلالة الإمبراطور عنده اهتمام بالتاريخ، وهو على إلمام واسع بتاريخ العالم، ومنه تاريخ العراق القديم، وخصوصاً السومري. وكانت صاحبة الجلالة الإمبراطورة تهتم كثيراً بمسألة القراءة في مرحلة الطفولة وعندها كثير من القصص قمنا أنا وزوجتي وداد، بالمساعدة على ترجمة واحدة منها إلى العربية هي (رحلتي الأولى إلى الجبل) حيث قامت قوات الدفاع الذاتي اليابانية بتوزيعه على الأطفال في مدينة

السماوة. وكانت صاحبة الجلالة تذكر لنا ذلك الصنيع، وتشكرنا دائماً عليه، وذلك من تواضعها الجمّ وأخلاقها الرفيعة. ومن نافلة القول، فإن الإمبراطور والعائلة المالكة في اليابان لا تمتلك أيّاً من أشكال الثروة، وكل ما لديهم هو ملك للدولة، حيث تخصص الحكومة ميزانية متواضعة للقصر الإمبراطوري معروفة للناس، وهي جزء من الموازنة التي يقرها البرلمان سنويّاً، وتشرف على صرفها هيئة القصر الإمبراطوري التي يرأسها رئيس الوزراء، في مقابل ذلك، فإن أعضاء العائلة المالكة ممنوعون من ممارسة التجارة أو امتلاك الأراضي، وما شاكل ذلك.

وكذلك لاحظت بأم عيني اهتمام الياباني بإتقان عمله والإبداع في ذلك. ففي مرة من المرات دعيت إلى حفلة شاي يابانية تقام بحسب التقاليد المتوارثة. وكانت السيدة التي تقوم بتحضير الشاي الأخضر تُعدّ من خبيرات إعداد الشاي، حيث درست عملية إعداد الشاي مدة أربعين سنة، ومع ذلك فهي لا تعتقد أنها وصلت إلى درجة الإتقان في ذلك الفن، وتواصل تطوير أدائها من خلال التجربة.

ومن أمثلة ذلك أذكر أنني دعيت من قبل السيدة كواغوتشي، وزيرة الخارجية السابقة، برفقة الصديق العزيز الأخ فيصل طراد سفير المملكة العربية السعودية في طوكيو مع زوجاتنا إلى حضور عرض خاص للعرائس في المسرح الوطني، وكان العرض يتكون من



دمى كبيرة يحرك كل واحدة منها ثلاثة أشخاص يغطون أجسامهم بملابس سوداء، حيث يقوم أحدهم بتحريك قدمي الدمية، وآخر بتحريك اليدين، والثالث يقوم بتحريك الرأس، وقد أُخبرت بأن الشخص الذي يقوم بتحريك القدمين يحتاج إلى تدريب مدة عشر سنين، فإذا ما أتقن الصنعة عشر سنين أخرى، فإنه يصبح مؤهلاً لتحريك اليدين، وبعد عشر سنين أخرى يكون مؤهلاً لتحريك الرأس.

هذه المشاهدات حول الإتقان لا تحتاج ملاحظتها إلى حضور حفل الشاي أو مسرح الدمى، وإنما تلاحظها في الشوارع والطرقات طريقة عمل عمال الطرق اليابانيين إذا ما قاموا لسبب أو آخر بإجراء إصلاحات في الطريق، فإن الطريق تعود بعد إصلاحها كما كانت قبل العمل، ولا يترك أي أثر، ولا تكاد تعرف مكان العمل إلا من لون الشارع، حيث تكون القطعة المعدلة بلون مختلف عن سابقتها. ولا أكتم القارئ الكريم سرّاً أن هذه الملاحظة كانت موضع إعجابي؛ لكوني مهندساً، لدرجة أني قمت بتلمسها بيدي وفحصها بنفسي في أثناء تجوالي وفي مناطق مختلفة من المدينة، حيث أثارت الإعجاب في نفسي والحسرة في آن واحد؛ لأننا نفتقد هذه الصفات الحميدة عند العاملين في بلادنا مع أن ديننا يحثنا على إتقان العمل، ويجعل هذه الصفة من الصفات التي يحبها الله تعالى في عباده: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**».

ومما جذب انتباهي من صفاتهم أيضاً احترامهم للمهنة التي يعملون فيها بغض النظر عن طبيعتها. فالذين يقومون بجمع القمامة في اليابان رجال يلبسون الزي الرسمي الذي هو في غاية النظافة، ويرتدون القفازات البيضاء النظيفة، ويحملون لقب (مهندس النظافة). فالشخص الذي يجمع القمامة أو شرطي المرور أو المدير أو الرئيس كل يبذل قصارى جهده في إتقان عمله، ولا يتدخل إنسان في عمل غيره. ولا ينظر أحد نظرة استعلاء على عمل الآخر؛ لأن العمل مهم ومقدس مهما كان، وإن المسؤولية في اليابان تعني حقيقة المسؤولية، وليست لقباً فارغاً. فالرئيس هو المسؤول عن شؤون المؤسسة، فإذا ما حصل إهمال في العمل من أيٍّ كان يصبح الواجب الوحيد أمامه هو قبول المسؤولية والاعتذار بالانحناء أمام الناس وتقديم الاستقالة فوراً؛ لأن موظفاً عنده قصر في واجبه، وهذه الصفة تسري على الجميع من رئيس الوزراء، حتى العامل البسيط.

وبالمناسبة، فإن معنى الرئيس لا يفهم منها في اليابان أنه الشخص الذي يقرر في جميع الأمور، فالرئيس في اليابان ليس الذي يتخذ القرارات؛ لأنها عندهم تتخذ من قبل المؤسسة، وهي تبدأ في أدنى المستويات الإدارية، وتصعد إلى أعلاها. وهذه القضية، وأقصد بها طريقة اتخاذ القرار واحدة من القضايا التي كثيراً ما أحدثت لبساً عند الزوار العرب الذين يلتقون المسؤولين اليابانيين، خصوصاً عندما يقوم الزائر بإسماعهم كلاماً كثيراً فيه كثير من



المطالب الذي يقابل من المسؤول الياباني بهز الرأس مع التبسم، ذلك أن هزة الرأس عندنا تعني الموافقة على ما قيل، ولكنها عند اليابانيين تعني (لقد استمعت لما قلت، وسوف أقوم بنقله) والسبب لأن القرار يتخذ في اليابان بحسب عملية محددة تأخذ في الحسبان كل الجوانب، ولا يتخذ القرار إلا بعد دراسة مستفيضة، وربما أعيدت الدراسات مرات عدة؛ للتأكد من صحتها قبل أن تعتمد، ذلك أنهم يبذلون قصارى جهدهم في عدم ترك مجال للخطأ. أما من جهتنا فيخرج المسؤول من الاجتماع مسروراً؛ لأنه استطاع أن يقنع المسؤول الياباني برأيه. ولقد أدركت هذا المعنى لأني كنت أبادر بسؤال المسؤولين عن انطباعاتهم، وأوضح لهم بعدها أن المسؤول الياباني قد استمع لما قلتم، وسوف يعود بالجواب، وأنه غير مفوض باتخاذ القرار. ومن نافلة القول: إن الياباني ليس من طبعه أن يقول: (لا) أو يرد بالنفي على أي طلب، فهذه أمور لا تسمعها هناك. بل يكتفي بعدم الاستجابة، عندما تكون الإجابة بالرفض؛ لأن الياباني يشعر بالتواضع، فلا يفترض في نفسه القدرة على قول كلمة: (لا)، واللبيب بالإشارة يفهم.

هذا الحديث عن المؤسسات وأساليب العمل المؤسسي التي جذبت انتباهي في اليابان والتي كان منها أسلوب التعامل مع المعلومات. حيث إننا في عالمنا العربي نعاني تكدس المعلومات عند نقاط معينة، بحيث يصبح كل عامل في المؤسسة نقطة اختناق

للمعلومات التي تصل إلى أي فرد في المؤسسة، وتنتهي عنده. ومثال على أسلوب اليابانيين في التعامل مع المعلومة، أذكر أنني كنت في دعوة عشاء عمل برفقة مسؤول كبير، حيث يقابلنا خمسة مسؤولين يابانيين، وفي أثناء تناول الطعام وبعد انتهاء كلمات الترحيب دخل القاعة شخص، وانحنى، وقدم ورقة إلى الشخص الذي يجلس آخر الطاولة، وكان مسؤولاً في الخارجية والذي بدوره قرأ الورقة، وقدمها لرئيس الدائرة الذي قرأها، وقدمها لوكيل الوزارة الذي قدمها لرئيس الوفد الذي قرأها، وبعد مدة تأمل ذكر أن الإذاعة العراقية قد أعلنت قبل عشرين دقيقة أن نتيجة التصويت على مسودة الدستور العراقي قد أعلنت وأن الدستور قد أقره الناخب العراقي. والذي جذب انتباهي هو مدة العشرين دقيقة التي تم فيها إبلاغ المسؤول بالنتيجة، وكان خارج الدائرة وخارج أوقات الدوام الرسمي، ترى لو كان في الدائرة وفي أثناء الدوام ترى كم ستأخذ المعلومة من وقت لكي تصل إليه؟ ولك عزيزي القارئ، أن تتخيل كم أخذت المعلومة من وقت لتصل إلي بالطرق الرسمية.

من الأمور الجلية التي تلفت انتباه الزائر للوهلة الأولى اهتمام الياباني بالقراءة، فهو يقرأ في كل لحظة أو فرصة، وأحياناً حتى عندما يكون واقفاً في القطار إذا ما وجد الفسحة من المكان لكي يرفع الكتاب بيده. ومن أروع الأدلة على اهتمام الشعب الياباني



بالقراءة عدد الصحف التي تطبع هناك، حيث إن الصحيفة الأولى عالميّاً من حيث عدد النسخ المطبوعة هي صحيفة (اليوميوري) اليابانية التي تطبع أكثر من 14 مليون نسخة في اليوم، وتليها في الترتيب ثلاث صحف يابانية أخرى تمثل الصحف الأربعة الأعلى توزيعاً في العالم، ولكي أضع القارئ في صورة هذه الأرقام وحجمها، فإن صحيفة (نيويورك تايمز) تطبع مليوناً ومئة وخمسين ألف نسخة في اليوم. إضافة إلى الأربعة الأولى هناك 12 صحيفة يابانية أخرى موجودة في قائمة المئة، وبذلك يكون عدد الصحف اليابانية في القائمة 16 صحيفة تطبع نحو 58 مليون نسخة يوميّاً تشكل نسبة 40% من مجموع النسخ التي تطبعها المئة صحيفة. فإذا علمنا أن سكان اليابان نحو 127 مليون نسمة، فلا نحتاج إلى الحاسب الآلي لكي نصل إلى أن هذه الصحف تطبع بمعدل نسخة لكل شخصين. طبعاً هذا إضافة إلى المئات من الصحف المحلية التي لم تذكر في القائمة. وللمقارنة أذكر أن صحيفتين عربيتين فقط في القائمة، وهما الأهرام والجمهورية من مصر، حيث تطبعان 900 و800 ألف نسخة يوميّاً، على التوالي، وهذا يمثل 1% من عدد النسخ التي تطبعها المئة صحيفة عالميّاً. وأنا هنا أسجل شكري لهاتين الصحيفتين؛ لتمثيلهما العرب في هذه القائمة المهمة، ومع ذلك، فلا بد أن نذكر هنا أن عدد سكان مصر نحو 83 مليون نسمة، وبذلك تكون النسبة نسخة لكل أكثر من خمسين مواطناً. طبعاً المقارنة غير



عادلة؛ لأن نسخاً عدة من الصحف المصرية تباع في العالم العربي خارج مصر، ولكن يندر بيع الصحف اليابانية خارج اليابان.

ملاحظة أخرى من خلال معايشتي هناك في اليابان، أذكر مرة أني دُعيت لزيارة مؤسسة خيرية في قرية من القرى جنوب غرب اليابان، وكان من سكرتيرتي أن طلبت من المؤسسة المضيفة إضافة وقت استراحة قصيرة في البرنامج مدة عشرين دقيقة بعد الغداء؛ لكي أتمكن من أداء الصلاة. لقد كان السبب في إضافة تلك الفقرة إلى البرنامج أن الوقت ثمين عند اليابانيين، فهم لا يتركون فيه مجالاً ولو دقائق قليلة، ولذلك كان لا بد من إخبارهم مسبقاً. وبالفعل، فقد تم إضافة فقرة الصلاة لبرنامج الزيارة. ولم يكن هذا هو المهم، ولكن الذي حدث أنهم أعدوا غرفة خاصة، وبحثوا في الإنترنت عن مواقيت الصلاة وعن اتجاه القبلة في مدينتهم، ووضعوا حصيرة صغيرة موجهة في اتجاه القبلة، ووضعوا أمام باب الغرفة نعالاً للوضوء علماً بأنه لا يوجد في تلك القرية أو ما جاورها مسلم على ما أعلم. ولقد تكررت هذه الحادثة مرة ثانية، عندما دعينا من قبل قيادة القوات الجوية اليابانية لحضور حفل استقبال الجنود اليابانيين العائدين من العراق والكويت، وكنت وقتها بصحبة سعادة السفير الكويتي في اليابان الأخ العزيز عبدالرحمن العتيبة، وقد أعدوا لنا غرفة خاصة للصلاة، وفرشوا فيها السجاد الموجه في اتجاه القبلة مع وضع البوصلة التي تبين اتجاه القبلة.



وإني خـلال إقامتي اطلعت علـى مقدار الدمار الذي أصـاب اليابـان في الحرب العالميـة الثانية، وكيف أن أغلـب المدن اليابانية الكبيرة قد أصـابها الكثير من الدمار وخصوصـاً طوكيو العاصمة والمعاناة الشـديدة التي ألّمت بأهل اليابان في أثناء الحرب وبعدها، حتى إن أحد المعمرين ذكر لي أكثر من مرة معاناته واليابانيون مثله في تلـك المدة، حينما كان يعمل في أحد المصـانع، وكانت تقدم لهم وجبة واحدة في اليوم عبارة عن حبات عدة من الفاصـوليا لا غير، حتـى إنه كان يعدّها يوميّاً، وأكـد لي أن عددها لم يتغير طوال تلك المدة، ويقول: ما إن تنتهي سـاعات الدوام الطويلة جدّاً حتى نهرب إلى الغابات، ونبحث فيها عن أي شـيء نأكله، ويقول: لم نكن نترك شـيئاً يمكن أن يؤكل إلا أكلناه، حتى ورق الشـجر وجذوعه. إضافة إلى أن السيد جونيتشـرو كوئيزومي رئيس الوزراء الياباني الأسبق كان يذكـر الوفود الكثيرة من العـراق التي كانت تزور اليابان بهذه الملاحظة، وكان يستشهد بكتاب وثائقي مصور يوثق لبعض المناطق من طوكيو، ويوضـح الخراب الذي أصابها بعد الحرب، وكيف تمت عمليـة إعـادة الإعمار، ويدعونا إلـى التمعّن في هـذه الأمثلة وأخذ العبر منها.

والعجيـب أنـه بعد هذه المعاناة اسـتطاع الشـعب الياباني أن يعيد بناء بلاده، بل أن يجعل منها في مدة قياسـية قوة اقتصادية لا

يستهان بها، حتى إن الاقتصاد الياباني فاق اقتصاديات كل الدول التي انتصرت على اليابان في الحرب العالمية الثانية باستثناء الولايات المتحدة. والعجيب أن اليابان استطاعت أن تحقق مثل هذا التقدم، وأن تحافظ على موروثها التراثي من دون الانغماس الكلي في بوتقة الاستغراب. فكيف استطاعت ذلك؟ وكيف تمكنت من أن تعيد بناء نفسها بهذه السرعة الفائقة التي جعلت البعض يصف تلك التجربة بالمعجزة اليابانية؟ وما الصفات التي ساعدت اليابان على النجاح وعدم الخضوع لليأس مع توافر كل الدواعي التي يمكن أن تحول بالإنسان إلى اليأس؟ إننا مع إقرارنا بخصوصية بعض الجوانب من التجربة اليابانية، إلا أن ذلك لا يمنع من الاستفادة منها؛ لكونها تجربة إنسانية رائدة في جوانب عدة. فما الدروس والعبر التي يمكن أن نستفيد منها في إعمار بلادنا؟

حاولت خلال وجودي في اليابان أن أشاهد، وأن أسأل، وأن أقرأ، وأتابع لمحاولة معرفة الإجابة عن هذه التساؤلات. فتوصلت إلى أن الإجابة أولاً ليست بالسهلة وأنها إنما تتطلب فهماً لشخصية الإنسان الياباني وتاريخه، وهي التي تعرف بالأخلاق اليابانية أو الشخصية اليابانية التي هي مصدر القوة في تلك الأمة. وإن كثيراً من الجذور الأخلاقية إنما هي انعكاس لطبيعة الأرض الوعرة الصخرية المحدودة التي فرضت على الياباني أن يتكيف مع وعورة الأرض وصعوبتها، وإن قلة الأرض الصالحة للزراعة جعلت



الياباني يعيش حياة التقشف والزهد في الكماليات، وأن يتوجه نحو التصنيع بوصفه مصدراً للمعاش، وإن قلة المصادر الطبيعية جعلت حاجة اليابان تتوجه بالنظر إلى خارج اليابان؛ لأنها لا يمكن أن تكتفي ذاتيّاً. ولذلك ابتدأت بدراسة الأرض والتضاريس وآثارها المباشرة وغير المباشرة في بناء الشخصية اليابانية، ثم وجدت أن عملية البناء لم تكن وليدة حقبة ما بعد الحرب، إنما تمتد جذورها إلى حركة التغيير اليابانية التي أطاحت بحكم الإقطاع، ووحدت اليابان، وأسست لبناء الدولة المؤسساتية الحديثة تحت حكم الإمبراطور ميجي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وبعد المزيد من الدراسة وجدت أن الأمر يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك، وأن الخصائص والصفات التي قامت عليها الحركة التغيرية التي جاءت بالإمبراطور إنما هي انعكاس لشخصية الفارس الياباني (الساموراي) وأن أسس هذه الشخصية قد ترسخت، وأُسّست في حقبة حكم الإقطاع، وأن هذه الصفات تم نشرها وتعميمها من خلال المدارس الشعبية آنذاك التي كانت تسمى التراكويا. وإن هذه الصفات إنما هي انعكاس للتراث الديني والفلسفي المتمثل في الأفكار والمبادئ الشنتوية والكونفوشية. ولذلك حاولت أن أعرج ولو بشكل سريع على هذه الجوانب من الشخصية اليابانية، وكيف انعكست هذه الأفكار في تغيير واقع الناس على مر العصور، ومنها مرحلة اليابان الحديثة.



وأخيراً، جاءت المأساة الأخيرة المتمثلة في النكبة التي تسببت فيها اثنتان من أكبر الكوارث الطبيعية التي عرفتها اليابان في تاريخها، وهما الزلزال الكبير الذي ضرب شمال شرق جزيرة هوانشو أكبر الجزر اليابانية مقابل مدينة سانداي الجميلة والذي تسبب في حصول أكبر تسونامي تمثل في أمواج ضربت الساحل بلغ ارتفاعها أكثر من عشرة أمتار، وحصد أكثر من عشرين ألف نفس وخسائر مادية قدرت بمئات المليارات من الدولارات، ولعل أسوأ ما نتج عن التسونامي واحدة من أكبر الكوارث البيئية التي نتجت بسبب الدمار الذي أصاب مجمعاً من أربعة مفاعلات نووية الذي تسبب في انتشار الإشعاع النووي في المناطق المحيطة بالمفاعلات. هذه المناطق سبق أن زرتها مرات عدة، وغمرني أهلها بحسن الاستقبال والضيافة. والذي لفت انتباه الناس حول العالم هو الأسلوب الذي تعامل به اليابانيون مع الكوارث، فلم نشهد عمليات نهب أو سلب، كما حصل في أماكن أخرى ربما أصيبت بأقل مما أصيبت به اليابان، ولم نشهد حوادث احتجاج أو صراخ أو عويل من قبل المواطنين على الرغم من فداحة ما أصابهم، ولكن على العكس كنا نلاحظ التزاماً شديداً بالنظام في أحلك الظروف، ومن أدلة ذلك مشاهدة الناس يقفون في طوابير طويلة في انتظار حصتهم من الطعام والشراب من دون أن يحاول أحد منهم تجاوز الآخر، مع أن الطوابير كانت طويلة جدّاً، ولم يكن هناك مراقبون أو



شرطة يأمرون الناس بالوقوف في الطوابير وعدم مخالفة الأوامر، بل كان الالتزام طوعيّاً من الجميع. هذه التربية والبناء الفردي والتعبئة الاجتماعية التي تظهر آثارها جلية في مثل هذه الظروف الصعبة هي التي بنت اليابان سابقاً، وهي التي سوف تنهض لبناء المناطق المنكوبة، ولسوف تمنح البشرية من جديد دروساً في البناء وإعادة الإعمار والارتقاء فوق الجراحات. دروس نحن اليوم في أمس الحاجة إليها ربما أكثر من حاجتنا لمنتجات اليابان الأخرى. والفصول القادمة عبارة عن جولة في التاريخ والجغرافيا والعوامل التي ساعدت على بناء هذه النفوس، وأعدتها هذا الإعداد الفريد.







أرض الشمس: الموقع والتضاريس

1.2- الاسم:

تسمى باللغة العربية اليابان وباللغة الإنجليزية Japan وباللغة اليابانية (نيبون أو نيهون) والاسم مكون من مقطعين باللغة الصينية، وهما **ني** التي تعني الشمس و**هون** التي تعني مكاناً أو أرضاً، وهي بذلك تعني بلاد الشمس أو أرضها.

2.2- الجغرافيا الطبيعية:

الجغرافيا بما تشكله من فرص وتحديات هي جزء أساس في بناء الشخصية اليابانية، ذلك أن اليابان ليست قطعة أرض متصلة، بل عبارة عن أرخبيل مكون من نحو ثلاثة آلاف من الجزر، منها ما هو عبارة عن صخور بحرية غير مأهولة، وأخرى أكبر منها مساحة، وأهمها الجزر الأربعة الرئيسة التي تشكل معظم الأراضي اليابانية، وهي جزر هونشو، وهوكايدو، وكيوشو، وشيكوكو. وتقع الجزر في المحيط الهادي وتُعدّ أقصى شرق القارة الآسيوية، وتبلغ المساحة الكلية



لليابان 835,377 كيلومتر مربعاً، وهي مقاربة لمساحة ألمانيا. وفيما يأتي نذكر بعض المعلومات المهمة عن الجزر الأربعة مرتبة بحسب مساحتها:



الشكل رقم **1.2** خريطة اليابان توضح الجزر الأربع الرئيسة وأهم مدنها

أولاً- **هونشو**: هي الجزيرة الرئيسة في اليابان، حيث يبلغ طولها 1300 كم وعرضها 240 كم في أعرض منطقة، ويضيق، فيبلغ 50 كم في أضيق النقاط، بحيث تبلغ المساحة الكلية 230,500 كم مربعاً أي ما يعادل 61% من المساحة الكلية لليابان.

ويُعدّ جبل فوجي أهم المعالم الطبيعية في اليابان وقمته تُعدّ أعلى نقطة فيه، وهي على ارتفاع 3776 متراً، ويُعدّ جبل فوجي،



الـذي يقـع في الجنوب الغربي مـن طوكيو على الطريـق بينها وبين كيوتو، من المقدسات اليابانية كما سنرى في فصل المعتقدات.



الشكل **2:2** قمة جبل فوجي أعلى مرتفع في اليابان

جزيـرة هونشـو مقسـمة إلـى خمسـ مقاطعات مـن مجموع المقاطعات اليابانية الثمانية، وهي:

1- كانتـو: تشـتمل على سـبع محافظات مهمـة في منطقتي طوكيو ويوكوهاما.

2- توهوكو: تشـتمل على المناطق المتبقية من الجزيرة إلى الشـمال من كانتو.

3- تشوبو: وتقع إلى الغرب من كانتو، وتشمل منطقة ناغويا.

4- كنكي: وتشمل كثيراً من المدن المهمة في اليابان مثل أوساكا، كيوتو، كوبي، نارا.

5- تشوغوكو: وتشمل باقي المناطق من الجزيرة إلى الغرب من كنكي.

والجزيرة مقسمة كذلك إلى 34 محافظة وفي هذه الجزيرة أكبر المدن اليابانية، مثل طوكيو وهي العاصمة، وأوساكا وهي ثاني أكبر المدن وتُعدّ مركزاً تجاريّاً وصناعيّاً مهمّاً، ويوكوهاما وهي من أهم الموانى في اليابان، وكذلك مدينة ناغويا المعروفة بصناعة السيارات، وعاصمة اليابان القديمة كيوتو.

ثانياً- **هوكايدو**: ثاني أكبر الجزر اليابانية من حيث المساحة وأقلها عمراناً تقع إلى الشمال من جزيرة هونشو، وتمتاز ببرودة الطقس، خصوصاً في فصل الشتاء، حيث تسقط الثلوج بكثافة، وتجعل المنطقة صالحة لرياضات الشتاء، وفيها عقدت قمة مجموعة الدول الثمانية عام 2008م، ويبلغ عدد السكان فيها نحو 5628 مليون نسمة، أي ما يعادل 4.4% من مجمل سكان اليابان، وهي عبارة عن مقاطعة واحدة. وأكبر مدنها مدينة سابورو، وهي عاصمة المقاطعة، وتُعدّ المدينة الخامسة في اليابان من حيث عدد السكان وأكبر المدن شمال طوكيو، وهي المدينة التي استضافت الدورة الأولمبية للألعاب



الشـتوية عام 1990م، والمدينة معروفة بالرياضـة الشتوية، ويقام فيها مهرجان الثلوج كل شتاء.

ثالثاً- **كيوشو**: ثالث أكبر الجزر من حيث المساحة التي تبلغ 35640 كـم مربعاً، أي مـا يعادل 9.4% من المسـاحة الكلية لليابان. والجزيـرة عبـارة عـن مقاطعة واحدة مقسـمة إلـى ثماني محافظـات، وأهم مدنها مدينتا فوكـوكا ونكازاكي والأخيرة مـن أهم مـواني اليابـان وبوابته علـى العالم منـذ القديم، والمنطقة زراعية يـزرع فيها الرز والشـاي والتبغ والبطاطا، وهي كذلك منطقة صـناعية مهمة فيها كثير من الصناعات الثقيلة، مثل صـناعة السـفن في ميناء نكازاكـي مثلاً، ولعل وجـود مثل هذه الصـناعات الثقيلة كان أحد الأسـباب وراء قصف هذه المدينة بالقنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية.

رابعاً- **شيكوكو**: أصـغر الجزر الرئيسـة في اليابان تقع جنوب شرق هونشو وشمال شرق كيوشو، وتبلغ مساحتها 18292كم مربعاً، أي ما يعادل أقل من 5% من المساحة الكلية، ويبلغ عدد سكانها نحـو 4142 مليون نسـمة أي مـا يعادل نحـو 3.3% من مجمل السـكان، وهي مقاطعة مقسـمة إلى أربـع محافظات معظم الأراضـي فيها جبال وعرة باستثناء شـريط ساحلي يستفاد منه للسـكن والزراعة، وأهم المحاصـيل التي تزرع فيها هي: الرز والحمضيات، وأهم الصناعات فيها مصافي النفط.

إضـافة إلى الجزر الأربع الرئيسة هناك محافظة (**أوكيناوا**) وهـي عبارة عـن أرخبيل من أكثر من ألف جزيـرة تمتد من جنوب جزيرة كيوشـو إلى تايوان، وأكبر هذه الجـزر جزيرة أوكيناوا التي تقع في أقصى الجنوب بالنسبة إلى الجزر اليابانية في بحر الفلبين. وللجزرة أهمية إسـتراتيجية بسبب قربها من الصين، ولذلك كانت واحدة من أكبر مواقع وجود القوات الأمريكية الموجودة منذ الحرب العالمية الثانية، وهناك جهود ومفاوضات بين الحكومتين الأمريكية واليابانيـة مـن أجل نقل واحدة من أكبر قواعد مشـاة البحرية من منطقة (فوتنما) الآهلة بالسـكان إلى منطقـة أخرى في الجزيرة، وذلـك لتقليـل الاحتكاك بين السـكان والجنود، وهذه القضـية هي التـي أطاحت برئيس الوزراء هاتوياما في 2010م عندما غيّر موقفه المعارض لعملية النقل إلى التأييد.

وإلى الشـمال من **هوكايدو** هناك أرخبيل من الجزر تمتد إلى الشمال الشرقي، وهي (**جزر الكوريل**) التي هي محل نزاع بين روسيا واليابان. ذلك أن الحدود بين روسـيا واليابـان امتازت بالمطاطية، وبحسـب قوة أي طرف منهم في اتجاه الآخر، ويعود ترسيم الحدود بين روسيا واليابان إلى اتفاقية سانت بيترسبرغ عام 1870م عندما فرضـت كثير من الـدول اتفاقيات مـن طرف واحد علـى اليابان، فتنازلـت اليابان عن أي حق لها في جزر (سـاخالين) مقابل تنازل



روسيا عن جزر (الكوريل). وبعد الحرب الروسية - اليابانية عام 1904 التي هزمت فيها روسيا هزيمة مريرة من قبل اليابان، وتم التوقيع على اتفاقية السلام في بورتسموث التي اشتملت على تنازل روسيا لليابان عن النصف الجنوبي من جزر (ساخالين) إضافة إلى جزر الكوريل. وبعد الحرب العالمية الثانية وهزيمة اليابان من قبل الحلفاء أعادت روسيا في آخر أيام الحرب احتلال جزر ساخالين وجزر الكوريل. ومع أن اتفاقية السلام الموقعة بين الحلفاء واليابان في سان فرانسيسكو نصّت على أن اليابان تتنازل عن أي حق لها في جزر (الكوريل)، إلا أن الاتفاقية لم تذكر أن هذه الجزر تعود إلى روسيا، ولذلك بقيت محل نزاع بين الطرفين.

3.2- الطبيعة الجيولوجية:

يقع الأرخبيل الياباني في منطقة تتقاطع فيها كثير من الألواح القارية، وهي منطقة نشاط جيولوجي كبير يتمثل في كثير من الزلازل والبراكين والينابيع الساخنة الموجودة في أغلب مناطق اليابان، ويقصدها كثير من بقاع العالم شتى؛ للاستحمام والعلاج. وقمة جبل فوجي خير شاهد على الفعاليات البركانية، حيث إن قمة الجبل قد تطايرت بسبب آخر انفجار للبركان، وذلك عام 1707م، وهناك العشرات من البراكين الحية في معظم اليابان، ومن أشهرها شوا شنزان الذي كان آخر انفجار له عام 1947م، ولا يزال الدخان يتصاعد منه حتى الآن.

أما الـزلازل فهي كثـيرة جدّاً، وتُعـدّ بالآلاف كل عـام إلا أن معظمهـا صـغير، ربما لا يشـعر به النـاسـ لبعده أو لضـعف قوته، وأحياناً تضــرب الـزلازل القوية المناطق الآهلة بالسـكان، فتحدث خسائر كبيرة في الأرواح والأموال، ولعل من أكبر الزلازل في العصر الحديـث زلـزال كانتو العظيم الذي ضــرب منطقة كانتـو القريبة مـن طوكيو عام 1923م، وذهب ضـحيته أكثر من مئة ألف نسـمة. وأحدث الزلازل الكبيرة زلزال هانشـن الكبير الذي ضرب منطقة كوبي جنوب أوسـاكا عام 1995م، وتسـبب في أضـرار كبيرة قدرت بسـتة آلاف قتيـل وأكثر من أربـع مئة ألف جريـح وتدمير أكثر من مئـة ألف بيت. ومن الأخبار التـي تروى أن الجامع الكبير في كوبي، وهو الجامع الذي بني في الثلاثينيات من القرن الماضي كان البناية الوحيـدة التي بقيت قائمة في منطقتـه التي دمرها الزلزال تدميراً كاملاً، ولا يزال ذلك الجامع قائماً إلى الآن.

ولعل من أكبر الهزات الأرضية التي ضربت اليابان في تاريخها الحديـث الزلـزال الذي ضـرب منطقة سـنداي إلى الشـمال من العاصـمة في شـهر (إبريل) من عام 2011، والذي تسبب في حدوث موجـات بحريـة زاد ارتفاعها علـى 30 متراً، التي بدورها تسـببت في إعطاب محطة فوكوشـيما النووية لتوليد الكهرباء ما تسـبب في تدمير المحطة وحدوث تسـرب إشـعاعي كبير، وقد تسببت الموجات البحريـة في حصـول تدمير شـامل للمنطقة برمتهـا، حيث قدرت



الخسـائر البشـرية بأكثر مـن 20 ألـف قتيل وخسـائر مادية تقدر بمئات الآلاف من المليارات.

4.2- الطقس في اليابان:

اليابان عبارة عن أرخبيل من الجزر يمتد مسافات كبيرة، فهي تشـغل من خط العرض 25 شـمالاً إلى خط العرض 45 شمالاً، ومن خط الطول 122 شـرقاً إلى خط الطول 145 شمالاً. فالطقس يتغير كثيراً بالنسـبة إلى الموقع وخصوصـاً بالنسبة إلى خطوط العرض، حيث تقابل اليابان في أعالي شمالها ولاية (مين) في شمال الولايات المتحدة، في حين يقابل جنوبها أقصـى ولاية فلوريدا، وكذلك يتأثر الطقس في اليابـان بعاملين مهمين، هما: المحيـط الهادي والبحار والعامـل الآخر هو القرب أو البعد من اليابسـة التـي تمثلها القارة الآسيوية.

ومع ذلك، فيمكن التعميم بالقول: إن اليابان وخصوصاً الجزر الكبيرة الأربع تمر بالفصول الأربعة المميزة عن بعضها بخصائص عدة. فالصـيف عادة يكون حاراً، حيث تصـل الحـرارة إلى أعالي الثلاثينيات مئوية وأحياناً إلى الأربعينيات مصحوبة بارتفاع شديد في الرطوبة. وعادة ما تصـاحب الصـيف الأمطار الموسـمية، وإن بعض المنخفضات الجوية تتكون عند المنطقة الاستوائية في المحيط الهادي التي تسـبب حدوث الأعاصير التي تضرب اليابان باستثناء

هوكايدو في شهري (يونيو) و(يوليو) برياح شديدة وأمطار غزيرة كثيراً ما ينتج عنها حدوث خسائر في الأرواح والممتلكات.

ويُعدّ فصل الربيع من أجمل الفصول، ويمتاز باعتدال درجات الحرارة، وكذلك بظهور أزهار شجر التوت التي يستقبلها الناس بالحفلات والسفر. وقريب من الربيع فصل الخريف الذي يمتاز باعتدال درجات الحرارة، وكذلك تلون أوراق الأشجار قبل سقوطها. وهاتان المناسبتان تجذبان كثيراً من السياح والزوار من بقاع العالم شتى.

أما فصل الشتاء، فهو بارد تهبط فيه درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، وهو جاف في المناطق الشرقية، وتتساقط الثلوج في المناطق المواجهة لبحر اليابان. أما جزيرة هوكايدو، فتتساقط فيها الثلوج بغزارة، وتهبط الحرارة إلى مستويات منخفضة جدّاً.

5.2- آثار الطبيعة في الحياة:

مما تقدم نذكر أهم الملاحظات الجغرافية والسكانية التي أحدثت أثراً في الشعب الياباني:

1. صغر مساحة الأرض المتوافرة للعيش والصالحة للزراعة بسبب وعورة الأرض. هذه القضية تركت آثاراً كبيرة في التفكير والتصميم الياباني من حيث محاولة الاستفادة من كل شيء.



2. اليابان تفتقر إلى الموارد الطبيعية، فليس فيها معادن أو أي شيء، ولذلك فإنها كانت بلداً زراعيّاً طوال وجودها، فزراعة الرز هي أساس التفكير والشخصية اليابانية. ويُعدّ حقل الرز الصغير الذي لا يتجاوز بضع مئات من الأمتار المربعة من أهم ما تمتلك العائلة، وبقيت اليابان زراعية إلى أواخر التاسع عشر، حيث دخلت في التصنيع، ومع ذلك حافظت على عقلية المزارع، التي من أهم خصائصها الارتباط الوثيق بالأرض والتعامل مع عوامل الطبيعة والتخطيط البعيد.

3. ومن آثار التفكير الزراعي في الإنسان الياباني أنه يبحث عن العلاقات الطويلة، وليس المعاملة السريعة. فكل شيء في اليابان ينبني على الثقة التي هي نقطة الانطلاق إلى ما بعدها، فإذا بنيت الثقة يمكن التفاهم على أي أمر من الأمور، أما إذا لم يكن هناك أساس من الثقة، فلا يمكن تحقيق أي شيء بعدها، وهذه صفة مشتركة بين الإنسان العربي والياباني.

4. اليابان جزيرة معزولة عن العالم، ولا ترتبط باليابسة ارتباطاً مباشراً في أي نقطة. هذه المسألة هي الأخرى تركت آثاراً عميقة في التفكير الياباني، ومنها أن الياباني لا يبحث عن القبول من الآخرين، ولا يهمه أن يكون مختلفاً عن كل ما هو خارج الجزيرة. أما فيما يتعلق بداخل الجزيرة فكل شيء يجب أن يتخذ الشكل نفسه، وهذه القضية أثرت في أن يكون الياباني مميزاً، فلذلك

يحـدد كل مـا هو أجنبـي، ولذلك وجدت طـرق مختلفة لذلك، حتى إن الأسـماء الأجنبية تكتب بحروف مخصصـة للأسماء الأجنبية خلافاً للأسماء اليابانية التي تكتب بالرموز الصينية، وكل هذه الأشياء الغاية منها تمييز ما هو أجنبي عما هو محلي. وبمناسـبة الحديث عن الأسـماء، فـإن غـير اليابانيين الذين يعيشـون هناك، ويندمجون في المجتمع الياباني، وهم قلة قليلة، ربمـا عن طريق الزواج، فإن عليهم اتخاذ أسـماء يابانية؛ لكي يحصلوا على الجنسية اليابانية.

5. الـزلازل التي تصـيب اليابـان كان لها أثـر في التفكير الياباني، وخصوصـاً تطويـر البناء الذي يقـاوم الزلزال. حيث يتشـكل البيت الياباني القديم من مواد خفيفة جدّاً، مثل الخشـب ومن دون اللجوء إلى البناء بالحجر والأسمنت إلا أخيراً بعدما طورت اليابان أساليب بناء تقاوم الزلزال بدرجة كبيرة ومتقدمة على دول العالم الأخرى في هذا المجال.

6. الطعام الياباني مكون من الرز والمأكولات البحرية، وجميع الوجبات تتكـون من هذه الأشـياء، لا غيرها. وهذه تركت آثارها في صـحة الإنسـان هناك، حيث تُعدّ اليابان من أكثر شـعوب العالم ارتفاعاً في معدلات الأعمار. ولم تعرف اليابان اللحوم الحمراء إلا حديثاً.





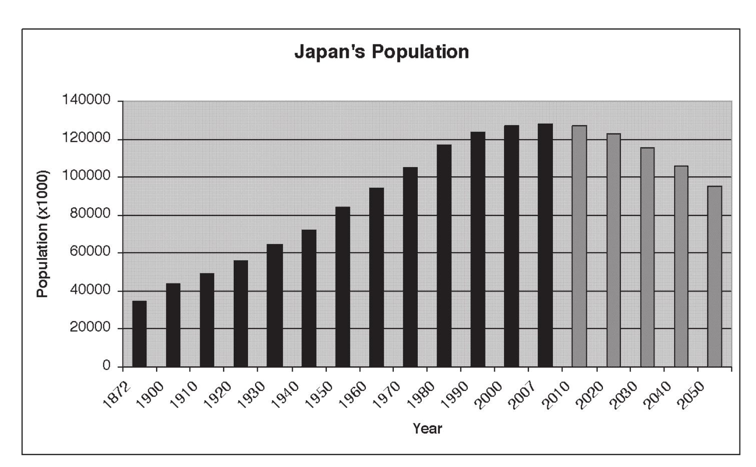
الديانات واللغات في اليابان

1.3- أصل السكان

أصل السكان الذين يسـكنون الأرخبيل الياباني غير معروف، وهنـاك نظريات اعتمـدت علـى الدراسـات الأنثروبولوجية، ومن أهمها النظرية القائلة: إن سكان اليابان عبارة عن هجين مكون من مختلف المجموعات التي نزحت إلى اليابان إبان العصور الجليدية، حـين كانت الجزر اليابانيـة مرتبطة باليابسـة في مناطق عدة من أهمها مع شـبه القارة الكورية جنوباً ومن خلال جزر (سـاخالين) التي كانت حينـذاك ترتبط مع (هوكايدو)، هاتان النقطتان مكّنتا السكان من العبور والسـكن في الجزر اليابانية، حيث تم الاختلاط بين الأجناس التي عبرت من مناطق مختلفة.

2.3- عدد السكان

يبلغ عدد سكان اليابان 127 مليوناً و510 آلاف بحسب إحصاء 2009م[1]، واليابان بذلك تُعدّ البلد العاشر في العالم من حيث عدد السكان. وتقدر الكثافة السكانية بنحو 343 شخصاً للكيلومتر المربع، وهي عالية جدّاً، وتقترب من الكثافة السكانية في الهند. وامتازت اليابان باستقرار عدد السكان على أكثر من 30 مليون نسمة مدة طويلة من الزمن بسبب مستوى الحالة الاقتصادية. ولكن مع إصلاحات (ميجي) تصاعد عدد السكان بشكل مطرد، وبلغ أعلى مستوى له عام 2007 م حيث وصل إلى 127 مليوناً و771 ألف نسمة. وتُعدّ سنة 2008 م أول سنة يتدنى فيها سكان اليابان. والرسم البياني أدناه يوضح الزيادة المطردة في سكان اليابان منذ أواخر القرن التاسع عشر وإلى بدايات القرن الحادي والعشرين:



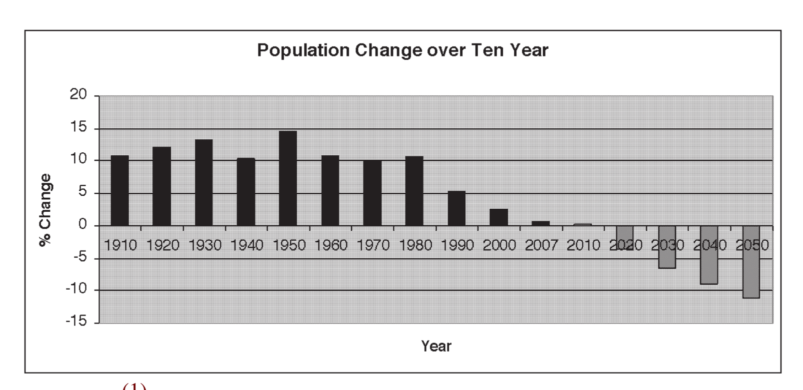
الشكل **1.3** رسم بياني يوضح التغير في سكان اليابان

(1) المعلومات من دائرة الإحصاء المركزي www.stat.go.jp.



وفي الوقت نفسه يوضح الرسم البياني توقعات عدد السكان في النصف الأول من القرن الحالي التي تبين بشكل واضح المشكلة الكبيرة التي تعانيها اليابان ألا وهي تدني معدلات الولادة وزيادة نسبة الشيخوخة في المجتمع.

وتتضح الصورة أكثر إذا ما نظرنا إلى معدلات الزيادة السكانية في اليابان في القرنين الماضي والحالي، إضافة إلى التوقعات لنسب التغيير في العقود الأربعة القادمة، كما هو مبين في الشكل الآتي:



الشكل 2.3. يوضح نسبة التغيير في السكان لكل عشر سنوات[1]

يوضح الرسم البياني نسبة الزيادة العالية في سكان اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، ويوضح نسب تدني الزيادة السكانية في العقود الثلاثة الماضية التي نتجت عن غلاء المعيشة وعزوف

(1) المعلومات من دائرة الإحصاء المركزي www.stat.go.jp.



معظم النســاء عن الإنجاب بسبب اضطرارهن إلى العمل، ويوضح النســب المتوقعــة في انخفاضـ السـكان على مـدى العقـود الأربعة القادمة. وتسـعى الحكومة اليابانية إلى معالجة المشـكلة التي تهدد اليابان بالانقراض، وذلك بإصـدار سياسـات تشجع على الإنجاب في المجتمع، مثل: الحوافز المالية وتشريعات تضمن العمل للمرأة في أثناء الولادة وإيجاد دور الحضـانة. ولكن هذه السياسـات لم تفلح إلى الآن، وخصوصـاً مع وجود الأزمـات المالية التي تعانيها اليابان ودول العالم الصناعية.

3.3- الديانات والمعتقدات في اليابان

على الرغم من أن الشـعائر التعبدية لا تشـغل حيزاً واسعاً في حيـاة المواطـن العادي اليومية، فـلا يذهب اليابانيـون إلى المعابد للصـلاة مثلما يفعـل أصـحاب الديانـات الموحدة، مثل المسـلمين والنصـارى واليهـود، وهذه الظاهرة تقود البعضـ إلى الاعتقاد أن الإنسـان اليابـاني غير متديـن، وهذا مـن أكبر الخطـأ، ذلك أن الديانات أدّت ولا تزال دوراً أساسـيّاً في صـياغة الفكر والشخصية اليابانية، بل حتى في سلوك المواطن، ولذلك فلا بد من نظرة سريعة على الديانات ودورها في اليابان التي من أهمها ما يأتي:

1- **الشنتويـة**: هي الديانـة اليابانية القديمة وكلمة (شـنتو) باللغة اليابانيـة مكونة من رمزين من الرموز الصـينية الأول (شـن)



ومعناه الإله أو المقدس والثاني (تو) ومعناه الطريق، وبذلك يكون معنى (شنتو) طريق الآلهة أو طريق المقدسات. ولأن الشنتوية هي الديانة الأصلية لليابانيين القدماء، فإن قادة التغيير في أيام (ميجي) جعلوا منها الديانة الرسمية في البلاد، وبقيت كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث اعترف الدستور الياباني الجديد الذي وضعته سلطة الاحتلال بحرية العبادة والفصل بين الدين والدولة، ولعل السبب في ذلك كان الترابط التاريخي بين المؤسسة العسكرية التي هيمنت على السياسة في اليابان الحديث والديانة الشنتوية. ولا تعرف بداية هذه الديانة ومصدرها، وهي تشكل مع البوذية المعتقد الديني لعامة المواطنين في اليابان.

تسمى الآلهة في الشنتوية (كامي) وهي عبارة عن الأشياء المقدسة التي تشتمل على أشياء عدة، مثل:

1- الطبيعة: مثل الجبال والأشجار والشمس والرياح والأنهار، فهذه جميعها من المقدسات.

2- الصفات الطبيعية الحميدة، مثل الخصوبة والنماء والإنتاج.

3- الأرواح: وخصوصاً أرواح الأجداد، وكذلك أرواح الأباطرة والأمراء والقادة والمشاهير، حيث تودع الأرواح في المعابد الشنتوية الكبيرة. ومن أشهر المعابد الشنتوية في اليابان معبد (ياسوكوني) ومعبد (ميجي)، والمعبد الأول معروف في اليابان والعالم بكونه السبب في كثير من المشكلات السياسية؛ لكونه



المعبـد الـذي تـودع فيـه أرواح القادة العسـكريين، ومـن هؤلاء عشـرة من مجرمي الحرب الذين أدينـوا بارتكاب جرائم حرب ضـد الإنسـانية في أثناء الحرب العامية الثانية وما قبلها، حيث أثارت زيارات المسؤولين اليابانيين، ومنهم رئيس الوزراء الأسبق كوئيزومـي مشـاعر الاحتجـاج عند الشـعوب التي اسـتعمرتها اليابـان، وخصوصـاً الصـين وكوريـا وإندونيسـيا وغيرهم من سـكان المنطقة الذين يعدّون زيارة ذلك المعبـد نوعاً من الإهانة لمشـاعرهم تجـاه القـادة اليابانيـين الذين تسـببوا في كثير من الجرائم تجاه تلك الشـعوب. أما المحافظون اليابانيون، فإن تلك الزيارات تمثل تمجيداً لقادة الجيش الذين حققوا الانتصـارات لليابان، وضحوا بأرواحهم في سبيل أمتهم.

4- المفاهيـم الحميـدة: هذه أيضـاً أصـبحت من المقدسـات، وهي تشـتمل على المفاهيم والمبادئ التي تضمن التنظيم الاجتماعي، مثل العدالة والنظام والتعاون وأمثال ذلك[1].

وكانت الشـنتوية هي الديانة الرسـمية إلى وقت قريب، ولكن الإشـكالية الكبيرة التي عانتهـا هذه الديانة على مـر تاريخها هي موقفها من مسألة الموت وما بعده، إذ تنظر الشنتوية نظرة استقذار إلى الموت، وهذه القضـية بالتحديد هي التـي أوجدت الحاجة عند اليابانيين إلى الاستعانة بالبوذية لمعالجة هذه الإشكالية.

(1) Sokyo Ono, Shinto: The Kami Way, Tuttle, Tokyo, 1992 p-7.



وبخلاف البوذية، فإن الشنتوية لا يعرف لها مؤسس مثل (بوذا) وكذلك بخلاف الديانات السماوية، فليس للشنتوية كتاب مقدس، ولكن لها مراجع تاريخية قديمة لعل أهمها وأقدمها كتاب (كوجيكي) الذي يرجع تاريخه إلى عام 712 ميلادي، وكذلك كتاب (نيهون شوكي) الذي ظهر بعده بثماني سنوات[1].

وكانت الشنتوية تعامل الإمبراطور على أنه إله مقدس، ويُعدّ زعيم الديانة، إلا أن هذه المعتقدات أُلغيت من قبل قيادة قوات الاحتلال بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث وضعت دستوراً جديداً لليابان ألغى مفهوم ألوهية الإمبراطور، وفُصل فيه الدين عن الدولة.



الشكل رقم **3-3** بوابة أحد المعابد الشنتوية في اليابان

(1) Sokyo Ono, Shinto: The Kami Way, Tuttle, Tokyo, 1992 p-10.

2- **البوذية**[1]: أسسـها (سدهارتا جوتاما) الملقب ببوذا (480-560 ق. م) في قرية على حدود النيبال، ومعنى بوذا (العالم). وقد انقسمت البوذية بعد انتشارها خارج الهند إلى مذهبين أساسيين:

- المذهب الشمالي، ويدين به البوذيون في بلاد الصين، وكوريا، واليابان، والتبت، وسومطرة، وكتبه المقدسة مدونة بالسنسكريتية، وهؤلاء يغالون في بوذا إلى درجة التأليه.
- المذهب الجنوبي: ويدين به البوذيون في الهند، وسيلان، وبورما، وتايلاند، وكتبه المقدسة مدونة باللغة البالية، وهؤلاء أقل غلواً في بوذا.

وصلت البوذية إلى اليابان عن طريق كوريا والصين، عندما أرسلت مملكة (كوادرا) التعاليم البوذية على شكل هدية إلى الطبقة الحاكمة في اليابان، وذلك في القرن السادس، ومع ارتياح الحكام في اليابان لهذه المعتقدات إلا أنها لم تنتشر انتشاراً واسعاً؛ وذلك بسبب الخلافات التي نشأت مع الديانة الشنتوية، وإن عامة الناس وجدوا صعوبة في فهم تعاليم هذه الديانة الجديدة، ومع مرور الزمن استطاع الحكام معالجة هذه الإشكاليات لقناعتهم بأهمية هذه المعتقدات في إحداث النظام الاجتماعي أسوة بالصين وكوريا، فأخذت البوذية تنتشر، وبدأت حركة واسعة لبناء المعابد الكبيرة،

(1) الموسوعة الميسرة، ص 107-111.



وكان أولها وأهمها معبد (توداي جي) في العاصمة نارا، ومع التوسع الكبير ازداد عدد القساوسة الذين أصبح لهم نفوذ سياسي كبير، وأصبحوا يتدخلون مباشرة في إدارة مؤسسات الدولة، ما اضطر الحكام إلى نقل العاصمة إلى مدينة (نغا أوكا) وذلك عام 784م في سبيل التقليل من نفوذ الكهنة، وبعد ذلك بعشرة أعوام نقلت العاصمة إلى مدينة (كيوتو) القريبة من العاصمة القديمة (نارا) وبقيت فيها إلى أن انتقلت إلى (طوكيو) بعد إصلاحات (ميجي).

وصلت الديانة البوذية إلى أوج نفوذها السياسي في حقبة حكم الإقطاع (توكوغاوا) حيث عدّت الطبقة الحاكمة البوذية الديانة الرسمية للدولة. ومع توسع حركة التنصير في المنطقة وازدياد نشاط الجماعات التبشيرية القادمة من إسبانيا، والبرتغال وجدت موطئ قدم لها في ميناء (ناكازاكي). ومن أجل الحد من انتشار النصرانية وحركة التنصير وخوفاً من آثارها في النظام في المجتمع الياباني، فقد فرضت الحكومة على جميع المواطنين تسجيل أسمائهم ودياناتهم في المعابد البوذية، وبذلك أصبحت البوذية أداة الدولة. أحدث هذا التقارب بين البوذية والدولة ردّة فعل عند المثقفين في تلك المدة، فكثر اهتمامهم بالديانة الكنفوشية والشنتوية، وأصبحت المجاهرة بالعداء للبوذية أمراً معتاداً عند الطبقة المثقفة التي كانت ثائرة ضد حالة العزلة والضعف التي تعانيها اليابان. وكان من نتيجة ذلك أيضاً أن الحركة التغييرية

التي جاءت بالإمبراطور ميجي في القرن التاسع عشر كانت معاداة البوذية جزءاً من مبادئها؛ لأنها الديانة التي ارتبطت بحكم الإقطاع وفي أصلها، وبخلاف الديانة (الشنتوية) فهي مستوردة من خارج اليابان، وهذه بدورها ولدت خشية كبيرة عند الرهبان البوذيين من أن إصلاحات ميجي تحمل في طياتها معاداة البوذية وأنها كانت تشكل خطراً على وجودها[1].

وفي اليابان كما في الصين وغيرها من البلاد البوذية نشأت مذاهب عدة اختلفت فيما بينها، ولعل أهم المذاهب البوذية في اليابان هي:

1- الجودو:

عام 1165 م أُسّست طائفة الجودو، ومعناها طائفة الأرض النقية (Pure Land Sect) وهي طائفة تعتقد أن الإيمان ببوذا وإخلاص الاعتقاد به هو طريق الخلاص، وكذلك تعتقد أن جزاء الإيمان هو الوصول إلى (الجنة الغربية) أو الأرض النقية، وهي الأرض التي يحكم فيها بوذا.

2- زن:

معنى (زن) في اللغة اليابانية الرياضة الروحية، وهي مدرسة من المدارس البوذية التي دخلت الصين عن طريق الراهب البوذي

(1) Martin Collcutt, «Buddhism: the Threat of Eradication, « in Japan in Transition from Tokugawa to Meiji, M.B. Jensen, et.al., ed. Princeton, New Jersey, 1988.

(بودهي دارما) الذي قدم إلى الصين عام 520 ميلادي، وهذه المدرسة تعتقد أن التنور موجود عند كل البشر، ولكنه كامن في داخلهم بسبب الجهل، وهي على عكس طائفة (الأرض النقية) تعتقد أن الإيمان ببوذا ليس هو طريق الخلاص، وإنما يحصل الخلاص عن طريق الرياضة الروحية والتدبر وتطوير القدرات العقلية. هذه الفلسفة دخلت إلى اليابان في القرن الخامس عشر، واكتسبت زخماً مع ازدياد نفوذ طبقة الساموراي[1] التي وجدت فيها طرقاً للرياضة الروحية وعنصراً مكملاً لبناء شخصية الفارس.

تُعدّ الديانتان البوذية والشنتوية ديانة معظم اليابانيين، إذ يدين بهما ما يقرب من 90% من السكان.

3- الكونفوشية[2]:

هي ديانة أهل الصين، وترجع إلى الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. وقد سعى إلى تحقيق المدينة الفاضلة، وركز في فلسفته على الأخلاق من خلال تطوير الوازع الداخلي لدى الفرد. وتركز الأخلاق عندهم على الأمور الآتية:

أ- الطاعة وخصوصاً طاعة الوالد والخضوع له وطاعة الحاكم والانقياد لأمره، وهذه من أهم ميزات النظام الاجتماعي في

(1) Encyclopedia Americana, vol. 29 pp. 760-761.

(2) الموسوعة الميسرة، ص 417 - 427.

اليابان الذي يتميز بالطاعة الكاملة لكل مسؤول مهما علت منزلته أو دنت.

ب- أهمية إدراك الشخص لموقعه وعدم تجاوزه لمنزلته، وهذه تفسر اهتمام اليابانيين بترتيب المجلس بحسب المكانة الاجتماعية، إذ لا يجوز للفرد أن يتقدم بكلام أو فعل على من هو أعلى منزلة أو أكبر عمراً منه، وإذا وجد ضرورة لذلك فعليه أن يستأذن ممن هو أعلى منزلة في المجلس.

ج- احترام الموروث وعدم تجاوزه؛ لأن الموروث عندهم جزء لا يتجزأ من الشخصية اليابانية، ولا يمكن لغير الياباني أن يكون يابانيّاً إلا إذا تقمص الشخصية اليابانية التي أساسها احترام الموروث.

د- الاعتراف بالفروق الطبقية واحترامها مع جواز أن ينتقل الإنسان الذي يمتلك الإمكانيات من طبقة إلى طبقة أعلى منها، وهذا يفسر غياب الحسد والتنافس بين اليابانيين، فالإنسان هناك لا يحاول انتزاع ما عند الآخرين، وإنما يبذل قصارى جهده للحاق بهم وتحقيق ذلك من خلال بذل الجهد.

هـ- أهمية الانسجام في الحياة التي تنعكس في كثير من الأمور في الحياة اليومية في اليابان، مثل التصميم وتنسيق الزهور والفن الياباني وكذلك التصنيع، وهي السبب في تساؤل الشركات اليابانية عن لون الأجهزة التي تحدثنا عنها في



الفصل الأول؛ لأنهم يدركون أهمية الانسجام، وهنا نذكر أن الانسجام لا يقتصر على التصميم، وإنما على السلوك كذلك.

أما أهم المعتقدات الكونفوشية، فهي:

أ- الإيمان بالإله: حيث يؤمنون بإله السماء الذي يعبده الملوك والأمراء والنبلاء فقط، أما إله الأرض فهو الذي يعبده عامة الناس.

ب- الإيمان بالملائكة.

ج- تقديس أرواح الأجداد، والأسلاف، وإقامة القرابين لهم، وهذه المسألة مشتركة مع الديانة الشنتوية إلى حد كبير.

دخلت الكونفوشية اليابان من الصين في القرن السادس الميلادي، وسرعان ما ظهر أثرها في الحياة العامة يداً بيد مع البوذية، وذلك عندما أصدر الأمير (شوتوكو تايشي 547- 622) دستور السبع عشرة مادة، وهو ليس دستوراً للدولة مثل بقية الدساتير، كما يفهم من العبارة، لكنه عبارة عن نظام سلوكي وأخلاقي لموظفي الدولة ولتنظيم العلاقة بين الرعايا والإمبراطور، حيث تبنت العائلة المالكة هذه التعاليم، وبقيت مدة طويلة بمنزلة النظام الذي يعمل بموجبه الجميع، ومن أمثلة المواد المذكورة في ذلك الدستور:

- عند تسلّمك أي أمر إمبراطوري عليك ألا تفشل في تنفيذه.
- العمل على محاربة الشر وتشجيع الخير.
- التأكيد على أهمية تحقيق الانسجام والابتعاد عن التنافر.



لكن الكونفوشية بقيت حبيسة المعابد البوذية، ولم تجد القبول الواسع عند الناس بسبب صعوبتها إلا في القرن السادس عشر، وذلك في أثناء حكم (أيئياسو توكوغاوا) (1543 – 1616) الذي تبنى العقيدة الكونفوشية جملة وتفصيلاً. وخلال تلك المدة تحولت اليابان من عالم كان تعريف البطل فيه بأنه الشخص الذي يستحوذ على أملاك الآخرين بالقوة والذي يتمكن من قطع رؤوس أعدائه إلى عالم تتركز فيه مبادئ البوشيدو (الفروسية) التي تدعو إلى توطيد السلم وبناء دولة راسخة قوية[1].

وكذلك أدّت الكونفوشية، بسبب تركيزها القوي على طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وصفات الحاكم الصالح، دوراً مهمّاً في جميع مراحل الاضطرابات الصعبة، كالحروب الأهلية التي مرت بها الصين واليابان في تاريخهما، وكانت الأفكار الكنفوشية بمنزلة الأيديولوجية التي يلتف الناس حولها في زمن الأزمات. ولذلك، فمعظم الذين اعتنقوا الكونفوشية هم من طبقة المحاربين[2] ومن الواضح أن تطبيق (الكونفوشية) في اليابان أكثر صرامة منه في الصين وكوريا؛ ولذلك استطاعت أن تساعد بشكل كبير على إيجاد نظام اجتماعي صارم وآمن في الوقت نفسه مدة طويلة.

وعندما ازدادت ضغوط الدول الغربية على اليابان في زمن العزلة عن العالم أيام حكم الإقطاع، وذلك لفتح موانيها وأسواقها

(1) توكوغاوا وناكامورا، ص 34.

(2) توكوغاوا وناكامورا، ص 35.



أمام البضائع الغربية، واضطرت الحكومة الضعيفة إلى الرضوخ أمام هذه المطالب وتوقيع اتفاقات فرضت عليها تحت ضغوط المدافع، قامت عام 1850م حركة على الأسس الكونفوشية تدعى (سوننو جوئاي) تدعو إلى رد الاعتبار وتقديس الإمبراطور وإخراج الأجانب. وهذه حركة أنشئت بالطريقة نفسها والاسم لحركة مماثلة نشأت في ظروف مماثلة في الصين، وذلك عندما ضعف حكم الإقطاع وجعل البلاد عرضة لغزو الغزاة، وكان لهذه الحركة الأثر الكبير في تجميع المعارضين لحكم الإقطاع في اليابان واتخاذ الإمبراطور رمزاً لحركة المعارضة التي استطاعت أن تعيد توحيد اليابان تحت إرجاع السلطة الفعلية للإمبراطور، فأحدثت بذلك أكبر انقلاب سياسي في تاريخ اليابان، هذا الانقلاب الذي شرع لمرحلة (ميجي) التي وضعت أسس اليابان الحديثة.

4- **الداوية** (Taosim):

نشأت الداوية (في اللغة اليابانية توكايو) في المدة نفسها التي ظهرت فيها البوذية في الهند والكونفوشية في الصين بين القرنين السادس والرابع قبل الميلاد. وهي تعاليم فلسفية تنسب إلى الحكيم (لاو تزو) ومعنى الاسم باللغة الصينية (الولد الكبير) حيث تدعي الروايات القديمة أنه مكث ثمانين سنة في بطن أمه قبل أن يولد، ولد وهو أشيب الشعر، كما تدعي الروايات، وقد دوّن تعاليمه في



كتاب اسمه (داو دي تشـنغ Tao-te-Ching) ومعنى (داو) الطريق، و(تشـنغ) التعاليم، فيصـبح معنى اسـم الكتاب (تعاليم الطريق) لكن البعض يشكك في وجود (لاو تزو) وينسب التعاليم إلى مجموعة من الحكماء القدماء.

وتقول روايـات أخرى: إن (لاو تزو) الـذي آلمته ويلات الحروب التي تمر بها بلاده بسـبب الصـراعات الأزلية بـين الإقطاعيات على السيادة والنفوذ، خرج باحثاً عن الحقيقة محاولاً إيجاد الطريق الذي ينهي هذه الصـراعات، ويجعل الناس تعيش في انسجام كامل، فخرج بهذه التعاليـم. ومما يؤيد هذه الرواية تأكيـد تعاليم (الداوية) على قضـايا النزاعات المسلحة، لكن هذه الفلسفة تطورت فيما بعد لتأخذ أبعاداً دينية، ولعل من أهم المعتقدات التي تدعو إليها الداوية ما يأتي:

- الوجود يتكون من عوالم أربعة هي الأرض، والحياة، والسماء، وداو، وهو السبب وراء الوجود، وهو القوة التي تسري في جميع الأحياء.
- غاية المؤمن أن يصبح واحداً مع (داو).
- الزمن يمضـي بشـكل دائري، وليس على شـكل خطي كما هو الحال مع التفكير الغربي.
- واجب كل شـخص أن يكون نفسـه، وأن يهتم بالأسس الثلاثة للأخلاق الفاضلة، وهي: الرحمة، والاعتدال والتواضع.
- الداوية تعلم أتباعها العمل ببذل أقل الجهد.



ولعل كتاب (فن الحرب) الذي ينسب إلى الحكيم (Sun Tzu) المؤلف قبل أكثر من ألفي عام، من أفضل الأمثلة العملية على الفلسفة الداوية التي تنادي بعدم الاصطدام بالقوى الطبيعية، بل محاولة تسخيرها، وتشبه ذلك بسنابل القمح التي تنحني للريح، حيث يسعى مؤلف الكتاب إلى شرح عملي لفكرة أن تعمل من خلال بذل الجهد الأدنى، فيقول: «إن الذين يساعدون القادة بوسائل (الداوية) لا يستخدمون السلاح للسيطرة على العالم؛ لأن هذه الأشياء لها نتائج عكسية، فتكثر المشكلات حيثما توجد الجيوش، وعادة ما تتبع الحروب سنوات عجاف.

إن الأسلحة هي أدوات غير مفضلة عند المتنورين. ولكن عندما لا يكون هناك خيار غير استعمالها فلا بد من العمل بهدوء ومن دون الاحتفال بالنصر؛ لأن الذين يحتفون بالنصر هم متعطشون للدماء، وهؤلاء ليس بإمكانهم فرض طريقهم على العالم»(1) ويقول في تعريف عناصر القوة: «إن القوة لا تقاس بمساحة الأرض أو عدد السكان، والنصر لا يأتي نتيجة الإعدادات العسكرية، والأمن لا يتحقق ببناء الأسوار العالية أو الخنادق العميقة، والسلطة ليست أوامر صارمة وعقوبات متوالية، وإنما الذين يبنون مؤسسات ناجحة هم الذين يقدر لهم البقاء حتى لو كانوا على قلة في العدد،

(1) Sun Tzu, The Art of War, p-xvii-xviii.

وفي المقابل، فإن الذين يبنون مؤسسات فاشلة سوف ينقرضون، حتى لو كانوا على كثرة في العدد»[1].

لم يبرز دور الأفكار والعقائد الداوية في تاريخ اليابان القديم لكن دورها ازداد أهمية في عصر الإقطاع (توكوغاوا) الذي شهد مراجعة شاملة للأفكار والعقائد الكونفوشية ما أدى إلى ظهور ما يُسمّى الكونفوشية الجديدة (Neo-Confucianism) التي لم تكن سوى أفكار نشأت في الصين، وجلبها بعض الرهبان البوذيين، وهي قائمة على فكرة توحيد الأديان الثلاثة؛ البوذية والكونفوشية والداوية، التي أطلق عليها في اليابان (سان كايو) والتي تعني حرفيّاً الأديان الثلاثة، والتي وضع الرمز الصوري لها الذي سُمّي الرهبان الثلاثة.

وفي الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الأولى التي شهدت تحول اليابان إلى إمبراطورية استعمارية وقوة عسكرية عالمية تسيطر على معظم جنوب شرق آسيا، كان لتعاليم (الداوية) العسكرية، مثل أهمية إعداد الجنود والقادة، والانسجام التام بين الجميع الدور الكبير في التعبئة. ولأن (الداوية) تركز على أهمية تحقيق الانسجام (Harmony) في الحياة، فلا غرو أن القيادة العسكرية كانت تبرر مغامراتها الخارجية أمام الشعب بأنها السبيل الوحيد لإحداث الانسجام الذي لا يتحقق إلا من إخضاع جميع الشعوب لسلطة الإمبراطور.

(1) Sun Tzu, The Art of War, p-xviii.



ولكن، بعد هزيمة اليابان المروعة في الحرب العالمية الثانية والدمار الكبير الذي أصابها على أيدي قوات الحلفاء وإلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونكازاكي، أدّت (الداوية) دوراً محوريّاً في تشكيل الفكر الياباني أمام التحدي الجديد، وعادت تلك الأفكار لتقود اليابان في محنتها وتخرجها منها في وقت قياسي، فكانت أفكار (الداوية) التي تعلم الناس أهمية عدم معارضة القوى الكونية والانحناء أمام الريح القوية، مثل السنابل في حقل الرز، وعدم كشف الخطط للخصوم وضرورة إخفاء القوة، وطرق تحقيق النصر في الحرب من دون حرب. وكذلك تحولت إستراتيجيات كتاب (فن الحرب) إلى المنهج العملي الذي ساعد على صناعة القيادات اليابانية ورجال الأعمال الذين كان لهم الفضل في إعادة إعمار اليابان، كما سنرى.

5- النصرانية:

جاءت النصرانية إلى اليابان مع قدوم المبشرين من البرتغال الذين جاؤوا ومعهم البارود والنصرانية، وكان إغراء أسلحة البارود أمراً كبيراً بالنسبة إلى القادة اليابانيين الذين أعطوا المبشرين مساحة من حرية الحركة للتبشير بالديانة، حيث لاقت جهودهم قدراً لا بأس به من النجاح في جزيرة كيوشو، وخصوصاً مدينة (ناكازاكي) التي كانت محطتهم الأولى، حيث لا تزال وإلى يومنا هذا آثار الوافدين البرتغاليين قائمة. ولكن مع حلول النصف



الثاني من القرن السـادس عشر أصـدر هيوشي تويومي قراراً بمنع التبشـير بالنصـرانية وأعدم 26 من المبشـرين في مدينة نكازاكي لإرسـال رسـالة إلى المبشـرين على جديته في منع التبشير. استمر منع التبشـير حتى جاءت إصـلاحات ميجي عـام 1873 التي فتحت اليابـان أمـام أوروبا، وضـمنت حرية التدين للجميـع، حيث ازداد اهتمام اليابانيين بالنصـرانية ليس فقط عن طريق التبشير، وإنما عن طريق الطلبة اليابانيين الذين أرسـلوا للدراسة وطلب العلم في دول أوروبا وأمريكا.

ومن الواضح ارتباط النشـاط التنصيري في اليابان بالعلاقة بين اليابان والبلدان الأوروبية، حيث تنشط الحركة مع قوة العلاقات، فإذا ما أصـاب العلاقات السياسية ضـعف كان المنصرون أول من يدفع الثمن، ويضـرب الرحالة المسـلم عبدالرشـيد إبراهيم الذي زار اليابان عام 1907م مثلاً عن النشـاط التبشـيري الأرثوذكسـي في اليابان في أواخر القرن التاسـع عشر ومطلع القرن العشرين في مذكراتـه، فيقول: «وفي كل مدينة أو بلدة أو قرية يابانية تجد عدداً من هؤلاء (المنصـرين)، وفي مدينة طوكيو نفسـها منصـر روسي اسمه (نيقولا). قيل: إنه يمارس التنصير منذ خمسة وأربعين عاماً، وبجهـود هذا الرجل بلغ عـدد الذين اعتنقوا المذهب الأرثوذكسـي خـلال خمسـة وأربعين عاماً نحو ثلاث مئة ألف. وهو أشـهر وأقدم وأنشـط المنصـرين في اليابان، ويعرف في اليابان بـ(نيكارا) لعدم



وجود حرف (ل) باللغة اليابانية. وتبذل الحكومة الروسية سنويّاً أكثر من مليون روبل في سبيل نشر المذهب الأرثوذكسي، ولهذا المنصر كنيسة ضخمة في أعلى وأحسن موقع بمدينة طوكيو، وإلى جانبها مدرسة، يدرس فيها كثير من الطلاب مجاناً.

وبعد الحرب الروسية اليابانية لم يعد المذهب الأرثوذكسي يلقى رواجاً في اليابان، ولم يعد لنيكارا أي ذكر. وانخفضت شعبية المنصرين الآخرين. وفي العامين الأخيرين بدأ العاملون في كنيسة (نيكارا) بمطالبته بزيادة الرواتب، مهددين بترك العمل إذا لم يلبِّ مطالبهم، فأسقط في يد (نيكولاي) ولكنه حاول إخفاء الحقيقة. والواقع أن الذين اعتنقوا هذا المذهب لم يعتنقوه عن اقتناع، بل للراتب الذي مناهم به (نيكارا)، فلما شحّت الموارد بدأ العاملون بالمساومة وكانوا محقين»[1].

ولعل من أشهر الذين اعتنقوا النصرانية في تلك الحقبة المفكر الياباني نيتوبي إينازو (1862– 1933) الذي درس العلوم الزراعية في جامعة سابورو، واعتنق النصرانية بتأثير أحد أساتذته في الجامعة، ثم انتقل إلى دراسة العلوم السياسية في جامعة جونز هوبكنز، وأصبح من أكبر مفكري اليابان ومن أشهر الدبلوماسيين فيها على المستوى العالمي، حيث كان من مؤسسي اليونسكو، ومن أشهر مؤلفاته

(1) العالم الإسلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرزات وكمال خوجة، دار القبلة، جدة، 2011.



كتاب (البوشـيدو: روح اليابان) الـذي كتبه باللغة الإنجليزية والذي يُعدّ أهم كتاب ألفه ياباني عن اليابان. أما اليوم فتصـل نسبة الذين يدينون بالنصرانية في اليابان إلى نحو 1% من السكان.



الشكل **3-4** مدخل كنيسة يوروكامي في مدينة هيروشيما التي بنيت على آثار أقدم كنيسة في اليابان

6 – **الإسلام**[1]:

تأخر الإسـلام في الوصـول إلى اليابان مع أن صلة اليابان بالعالم الإسـلامي ربما تعود إلى العصر العباسـي بواسطة طريق الحرير الذي ربط العالم الإسلامي بشرق آسيا. وتُعدّ البداية الحقيقية الموثقة للإسلام

(1) ميزوتاني 62.



مع وصـول الرحالة المسلم عبدالرشـيد إبراهيم الذي وصل اليابان عام 1907م ومكث فيها شـهوراً يحدث الناس عن الإسـلام وعن أهمية قيام الجامعة الشـرقية التي تضم اليابان والصين والدولة العثمانية بوصفها الوسـيلة الوحيـدة لتقـدم الأمم الشـرقية. وقد أسـلم على يـده بعض اليابانيين، وأسسوا مركزاً إسلامياً في طوكيو(1). وعام 1909م قام السيد (ميتسـوتارو ياما أوكا) بأداء فريضـة الحج الذي كان أول ياباني يؤدي هذه الفريضـة، وازداد عدد الحجاج اليابانيين حتى بلغ عدد الذين أدّوا فريضة الحج قبل الحرب العالمية الثانية نحو عشرين حاجّاً.

وعام 1905 اصـطحب الجيش الياباني خلال الحرب الروسية اليابانية عدداً كبيراً من الأسرى المسلمين من أواسط آسيا، حيث قام اليابانيون بعزل الأسـرى المسلمين، وكان لحسن سلوكهم وابتعادهم عن الجرائم والتزامهم بالعبادات والعادات الإسـلامية أثر كبير في اليابانيين، هذا وسـكن بعضـهم بالقرب من أوسـاكا، وقاموا ببناء أول مسـجد ومقـبرة إسـلامية في اليابان. وعـام 1935م قام تاجر هندي ببناء مسـجد في مدينة كوبي وعام 1938م تم بناء مسـجد في طوكيو بدعم من الحكومة التركية. وينتشر في اليابان عدد كبير من المساجد، حيث يزيد عدد المساجد والمصليات على المئة.

ويقدر عدد المسـلمين في اليابان بما يزيد على مئة ألف مسـلم غالبيتهم من المسلمين المهاجرين، وهناك نسبة منهم من اليابانيين

(1) العالم الإسـلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرزات وكمال خوجة، دار القبلة، جدة، 2011.

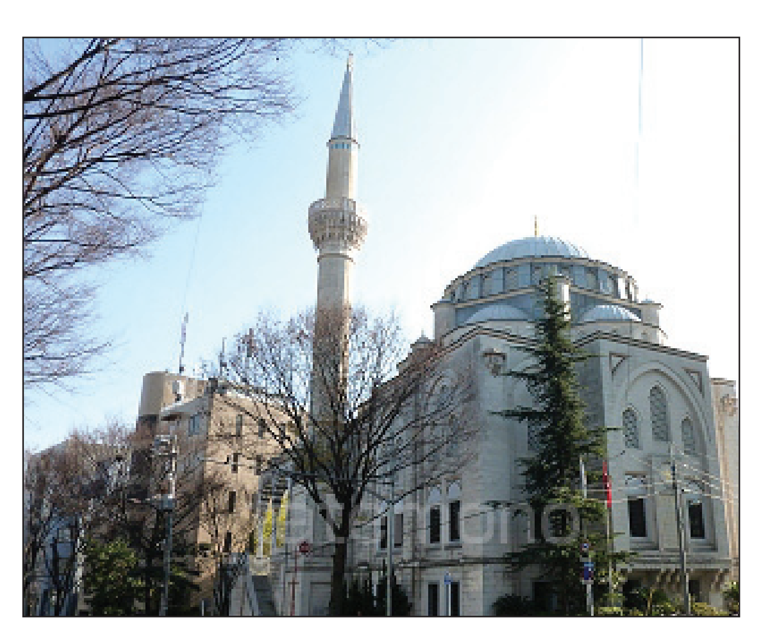


الذيـن اعتنقوا الإسـلام وأغلبهم ممـن زاروا البلاد الإسـلامية، وتعلموا فيها. ويقوم عدد من المؤسسات الإسلامية بتقديم الخدمات للمسلمين، وأهم هذه الجمعيات هي:

1- جمعية مسلمي اليابان التي أُسّست عام 1952م.

2- المركز الإسـلامي في اليابان الذي أُسّس عام 1965م وأسهم عدد من الطلبة المسلمين في إنشائه ومنهم الدكتور صالح السامرائي.

3- المعهد العربي الإسلامي في طوكيو الذي أُسّس عام 1985م بوصفه فرعاً لجامعة الإمام محمد بن سعود، ويقوم المعهد بتدريس اللغة العربية لليابانيين، إضافة إلى الخدمات الأخرى للمسلمين.



الشكل **3-5** المركز الإسلامي في طوكيو



4.3. اللغات

تشـكل قضـية اللغات في اليابان إشـكالية كبيرة بالنسـبة إلى الزائـر والمراقب. فخلافاً للقاعدة الموجودة في معظم شـعوب العالم حول وجود لغة معروفة ولها قواعد في الكتابة والقراءة، فهذه القضية غير موجودة في اليابان، فاليابانيون يتكلمون اليابانية، ولكن اليابانية لا تكتب بلغة واحدة، بل بطرق عدة وفي آن واحد، وهذه الطرق هي:

1- **الرمـوز الصينيـة أو (الكانجي)**: وهـذه الرموز قدمت إلى اليابان مع اللغة الصينية، ولكن مع تطور الزمن نشأت الحاجة إلى رموز جديدة اسـتحدثها اليابانيون، ثم إن اليابانيين غيروا في أسـلوب نطق بعض الرموز، ومن هنا تجد أن الصيني قد يستطيع قراءة معظم ما يكتبه اليابـاني في الكانجي، ولكنهما لا يسـتطيعان التفاهـم بالكلام؛ لأن طريقـة النطق لكثير مـن الرموز تختلف بين اليابان والصـين مع أن المعنى واحد. ومن خصائص هذه اللغة أن المعنى المقصود من الكلمة المفردة لا يمكن فهمه من دون الرجوع إلى شـكل الرمز الصيني؛ لأن المعنى يفهم من الرمز، وليس الصوت؛ لأن الأصوات تتشابه بين كثير من الرموز خصوصـاً إذا ما علمنـا أن عدد الرموز في الكانجي ربما تصل إلى أكثر من مئة ألف رمز، ولكن ما يحتاج إليه الإنسان العادي لقراءة الصحيفة اليومية قد يتراوح بين خمسة إلى سبعة آلاف رمز.

2- **الهيراغانا**: بسـبب كثرة عدد الرموز الصـينية التـي يحتاج إليها المرء للكتابة، فقد نشأت الحاجة إلى إيجاد طريق موازية للكتابة باستخدام



حــروف الهجاء، وهذه الطريقة تســتخدم 46 حرفاً من حروف الهجاء مكونة من الأصوات الرئيسة والحركات، كما هو مبيّن في الشكل أدناه:

n	w–	r–	y–	m–	h–	n–	t–	s–	k–		
ん N	わ WA	ら RA	や YA	ま MA	は HA	な NA	た TA	さ SA	か KA	あ A	–a
	ゐ WI	り RI		み MI	ひ HI	に NI	ち CHI	し SHI	き KI	い I	–i
		る RU	ゆ YU	む MU	ふ FU	ぬ NU	つ TSU	す SU	く KU	う U	–u
	ゑ WE	れ RE		め ME	へ HE	ね NE	て TE	せ SE	け KE	え E	–e
	を WO	ろ RO	よ YO	も MO	ほ HO	の NO	と TO	そ SO	こ KO	お O	–o

الشكل **6-3** حروف الهجاء التي تستخدم في الكتابة اليابانية

إن اســتخدام (الهيراغانا) أوجد حلولاً لكثير من المشــكلات المرتبطة بالكتابة الصينية، ومن أهم هذه المشكلات تعليم الأطفال الكتابة، أولاً إنما يتم باســتخدام هذه الحروف وليس (الكانجي)، فـإذا ما أتقنوا هــذه ينتقلون تدريجيّاً إلــى الكتابة بالرموز، ولذلك تجد كتب الأطفال مكتوبة بهذه الحروف.

أمـا الثانية وهي أهم مـن الأولى فتتعلق باســتحالة إيجاد آلة طابعة تستخدم الرموز الصـينية لكثرتها، ومن هنا جاء استخدام حروف (الهيراغانا) على المفاتيح، فإذا ما تمت كتابة الكلمة بحسب

الصـوت، فإن جهاز الحاسب يعطي خيارات عدة عن الكلمات التي تنطق بالطريقة نفسها وطرق كتابتها بالرموز الصينية، حيث يقوم الكاتب باختيار الرموز المناسبة.

3- **الكاتاكانا**: هـي طريقـة كتابة الكلمـات بحروف الهجاء شـبيهة بالهيراغانـا مـن حيث تداخل الأصـوات مع الحـركات. والفرق الأساسـي هو أن الكاتاكانا تسـتخدم حصـريّاً لكتابة الأسـماء الأجنبيـة وكل ما هـو أجنبي، لكون الأسـماء الأجنبيـة ليس لها معانٍ مرادفة في لغة (الكانجي).

ア a	イ i	ウ u	エ e	オ o
カ ka	キ ki	ク ku	ケ ke	コ ko
サ sa	シ shi	ス su	セ se	ソ so
タ ta	チ chi	ツ tsu	テ te	ト to
ナ na	ニ ni	ヌ nu	ネ ne	ノ no
ハ ha	ヒ hi	フ fu	ヘ he	ホ ho
マ ma	ミ mi	ム mu	メ me	モ mo
ヤ ya		ユ yu		ヨ yo
ラ ra	リ ri	ル ru	レ re	ロ ro
ワ wa				ヲ wo
ン n				

الشكل **3-7** حروف الهجاء التي تستخدم في الكاتاكانا



والملاحظ أن عدد الأصوات الرئيسة في الكلام الياباني محدودة بنحو العشرة فقط والباقية إضافة الحركات، وهذا يجعل عدد الأصوات محدوداً جدّاً مقارنة باللغة العربية مثلاً، فعلى سبيل المثال، فإن صوتاً مثل اللام غير موجود ولذلك يُستبدل به صوت الراء في معظم الكلمات. فعلى سبيل المثال، فإن اسم (الإسلام) يتلفظ به في اليابان (إسرام).

3.5. الآثار العملية للأديان واللغات

تركت المعتقدات وخصوصاً (الشنتوية) و(الكونفوشية) آثاراً كبيرة وواضحة للعيان في سلوك الفرد والمجتمع التي لا تكاد تغيب عن عين المراقب، ومن أهمها:

1- المجتمع الياباني يحترم البيئة احتراماً كبيراً، وهذا نابع من العقيدة (الشنتوية) التي تجعل بعض العوامل البيئية من المقدسات (كامي)، وهذا الاحترام له شواهد عدة في حياة الفرد والمجتمع، منها النظافة، فلا يمكن أن تشاهد يابانيّاً يرمي النفايات في الطريق، من أجل ذلك ترى الطرق في غاية النظافة ومن دون وجود زبالين يقومون بالتنظيف؛ لأن ذلك واجب على الجميع.

2- المجتمع الياباني مجتمع تعبوي، وهذه الصفة نابعة من الطبيعة العسكرية للمعتقدات (الكونفوشية) وخصوصاً مسألة الانقياد



التام لسلطة الحاكم من دون نقاش ولا سؤال، حيث نصت تعاليم (كونفوشيوس) لأتباعه: «Let the Kings be Kings and let the farmers be farmers»، التي يمكن ترجمتها: «دع الملوك ملوكاً، ودع المزارعين يزرعون» وهذه الطاعة مقيدة بالتزام الحاكم بأداء واجبه، فإذا ما ظهر منه التقصير يقوم الجميع بانتقاده. وإن هذه العقائد تنعكس في الطاعة المطلقة من الزوجة لزوجها ومن الأبناء للأب أو كبير الأسرة.

3- النظام العائلي يُعدّ وحدة بناء المجتمع، ولا يجوز للفرد الخروج على العائلة، ومن أهم واجبات الفرد الحفاظ على شرف العائلة، وهذه أيضاً تنعكس على منزلة المرأة في المجتمع الياباني، صحيح أنها قد حققت الكثير في سبيل نيل حقوقها الأساسية، لكن طريقها لا يزال طويلاً لكي تستكمل باقي الحقوق أسوة بالمجتمعات المتقدمة، فعلى سبيل المثال لم تصل المرأة في اليابان إلى مناصب المسؤولية، ناهيك عن المناصب القيادية في الشركات والمؤسسات اليابانية، وكذلك المناصب الحكومية باستثناء المناصب الوزارية، حيث وصلت نساء إلى مناصب وزارية مهمة، مثل الخارجية والدفاع، واستطاعت في السنوات الأخيرة رفع نسبة مشاركتها في المجالس النيابية.

4- النظام الطبقي وأهمية أن يعرف الإنسان موقعه. هذه القضية من الأمور التي تحير الزائر في اليابان، وخصوصاً في المناسبات



العامة والاجتماعات، حيث يقضي اليابانيون وقتاً ليس بالقصير في محاولة معرفة الترتيب الذي يجلسون بموجبه؛ لأن المكان الذي يجلس فيه الشخص في المجلس هو الذي يحدد الدور الذي سوف يقوم به في الجلسة، فيما إذا كان متحدثاً أو مستمعاً. وإذا أراد الشخص أن يتكلم في حضور من هو أعلى منه منزلة، وهذه نادرة جدّاً، فعليه طلب الإذن ممن هو أعلى منه قبل الكلام؛ لأن ذلك قد يفسر على أنه تجاوز منه لمنزلته.

5- أهمية الانسجام (Harmony) في الحياة حيث يسعى الياباني بكل جهده إلى تحقيق التوافق والانسجام في الحياة، ولقد استفادت المؤسسة العسكرية على سبيل المثال من هذه القضية في تبرير احتلال منشوريا وكوريا بأن إخضاع تلك الشعوب لسلطة الإمبراطور الياباني هي السبيل الوحيد لتحقيق الانسجام في حياة تلك الشعوب. ولعل من الشواهد على أهمية الانسجام الاهتمام الكبير الذي يوليه الياباني للتنسيق والترتيب بوصفه جزءاً من مسألة الانسجام الذي هو انعكاس لفلسفة (زن). ومن شواهد ذلك أنك ترى الياباني يجيد مسألة تصميم الزهور (أكي بانا) لدرجة فائقة، وكذلك إجادة فن التصميم الذي يجمع بين البساطة والجمال. من أجل ذلك تقضي المرأة اليابانية أو الطباخ الياباني دقائق في إعداد الطعام البسيط، وربما ساعات في عملية التنسيق، حيث يقدم الطعام وكأنه لوحة فنية تراعي



التنسيق بين الألوان والأشكال، حيث يضاف كثير من الأشياء، مثل الزهور أو ما شابه ذلك.

6- ومن الملاحظات الأخرى المهمة التي لا يصعب على الزائر ملاحظتها في المجتمع الياباني هي (البساطة) التي هي قيمة مهمة في المجتمع، وأذكر أني عندما دخلت القاعة الإمبراطورية في القصر الإمبراطوري لمقابلة جلالة الإمبراطور (أكيهيتو)، ذهلت من بساطة القاعة وجمالها، وما زاد في إعجابي أنها لا تحوي كثيراً من الأثاث سوى كرسي الإمبراطور، وهو كرسي بسيط لكنه جميل جدّاً. وقمت بزيارة أحد القصور الإمبراطورية القديمة في مدينة (نمازو) الذي تم تحويله إلى متحف، وذهلت من البساطة التي رأيتها، إذ إن العائلة المالكة التي كانت تستخدم القصر إلى قبل نحو أربعين سنة كانت لا تزال تستخدم الأدوات الموروثة، مثل فراش النوم التقليدي الذي يفرش على الأرض.

7- هناك سمة بارزة في المجتمع الياباني، وهي رفض كل ما هو غريب، ربما لأنه يُعدّ نوعاً من الخروج عن الانسجام أو مخالفة المألوف، ولذلك أوجب المجتمع تعريف الغريب بالطريقة التي يكتب فيها اسمه مثلاً، حيث تكتب الأسماء الأجنبية بحروف (الكتاغانا) وليس برموز (الكانجي) باستثناء الأسماء الصينية. وهذه الطريقة تؤدي إلى تميز الأجنبي مباشرة ومن دون جهد. أما الأجنبي الذي يحصل على الجنسية اليابانية، وهذه نادرة جدّاً،



فعليـه اختيار اسـم ياباني مثلاً اسـم عائلـة الزوجـة، إذا كان متزوجـاً من يابانية، لكي يكتب برموز (الكانجي)، إضـافة إلى التأكد من أنه أصـبح خبيراً في العادات والتقاليد اليابانية؛ لكي لا يتميز عن باقي الشعب الياباني.

8- الياباني يمتـاز بكونه (عمليّاً) إلى أعلـى درجات العملية، ولذلك لا يـدع الأمـور العقديّة تقف حاجـزاً أمامه. فعلى سـبيل المثال، فإن كثيراً من الشـباب الذين تعجبهم مناظر الزواج في الأفلام الغربية ومنظر القسـيس يقوم بعملية التزويج، يفضـلون الزواج النصـراني، ولكي يحقق ذلك، فإنه يتنصـر قبل الزواج، ويعقد قرانـه في الكنيسـة، ثم يعود بعد ذلك إلى ديانته الأصـلية، ومن هنا جـاءت المقولة المشـهورة: إن الياباني يولد شـنتويّاً، ويتزوج نصرانيّاً، ويموت بوذيّاً.

6.3. النظام السياسي:

النظام السياسـي في اليابان إمبراطوري دستوري، حيث يمنح الدستور الذي تبنته اليابان بعد الحرب العالمية الثانية للإمبراطور، الذي يُعدّ ركز الأمة، صلاحيات سياسية محدودة جدّاً. والإمبراطور الحالي هو (أكيهيتو) المولود في 23 ديسـمبر 1933م، وتسلّم العرش بعد وفاة أبيه الإمبراطور (هيروهيتو) عام 1989م، ويُعدّ الإمبراطور رقم 125 بحسب التسلسل الإمبراطوري للعائلة الحاكمة، ويُعدّ عيد



ميلاد الإمبراطور هو اليوم الوطني لليابان. ويشغل الابن الأكبر للإمبراطور الأمير (ناروهيتو) منصب ولي العهد، ولأن الأخير لم ينجب سوى بنت، حيث لا يحقّ لها تولي العرش؛ لأن ذلك محصور في الذكور، ما جعل بعضهم يطالب بتعديل التعليمات للسماح للإناث بالصعود إلى العرش!

والإمبراطور عند تسلّمه العرش يختار اسماً لمرحلة حكمه تستخدم في تاريخ الأحداث، فعلى سبيل المثال فإن اسم الحقبة الحالية لحكم الإمبراطور (أكيهيتو) هي (هي سي أو Heisei)، ولذلك ينادى الإمبراطور رسميّاً بـ(إمبراطور هي سي) ويقال في وصف الأحداث: إن حدث كذا وكذا حصل في (هي سي 22) أي في السنة الثانية والعشرين من حكم الإمبراطور التي تقابل عام 2011 ميلادي.

والسلطات مقسمة بين البرلمان والحكومة، حيث يوجد مجلسان للبرلمان: الأول هو مجلس النواب، وهو صاحب الدور الأقوى في تكوين الحكومة التي تنبثق منه، ويتكون من (480) عضواً ينتخبون انتخاباً مباشراً كل أربع سنوات أو عندما يطلب رئيس الوزراء من الإمبراطور حل المجلس والدعوة إلى انتخابات جديدة. ولا يوجد فصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، حيث يحتفظ الوزراء بمقاعدهم في مجلسي النواب إن كانوا من الأعضاء، ونظام الانتخاب معقد، حيث يشتمل على التصويت المباشر لمرشح واحد في



الدائرة الانتخابية، إضافة إلى التصويت لمصلحة قائمة من القوائم التي تقدمها الأحزاب على مستوى المقاطعة، مقاطعة (كانتو)، بالنسبة إلى سكان العاصمة طوكيو. أما مجلس المستشارين، الذي يشبه في دوره مجلس اللوردات الإنجليزي، فيتكون من (240) عضواً ينتخب نصفهم أي (120) كل ثلاث سنوات، ولا يحق لرئيس الوزراء حل مجلس المستشارين؛ لأن دور المجلس هو ضمان نوع من الاستمرارية في العملية السياسية التي يمكن أن تتأثر بالتقلبات التي تحصل في مجلس النواب.

أما الصلاحيات التنفيذية فهي بيد رئيس الوزراء الذي هو رئيس الكتلة الأكبر في مجلس النواب والذي يشكل حكومة معظم أعضائها من مجلسي النواب، حيث لا يوجد فصل بين السلطتين التشريعية والتنفذية، إذ يحتفظ الوزراء ونواب الوزراء بعضويتهم في البرلمان. وتتكون الحكومة من (11) وزارة (وهي وزارات الخارجية، والدفاع، والبيئة، والتربية، والاتصالات، والعدل، والمالية، والصحة، والبنية التحتية، والاقتصاد والصناعة والتجارة)، إضافة إلى ستة وزراء دولة، إضافة إلى سكرتير الحكومة (Chief Cabinet Secretary) وهو المنصب الأهم في الحكومة بعد رئيس الوزراء، حيث يقوم بدور المتحدث باسم الحكومة.





تاريخ اليابان

ليست الغاية هنا عرض دراسة مفصلة عن التاريخ الياباني، فليس هذا غرضنا في هذا الكتاب، وإنما المقصود هو تقديم عرض موجز للتاريخ الياباني نحاول أن نفهم من خلاله العوامل الداخلية والخارجية التي أدّت دوراً في بناء الفرد والمجتمع في اليابان. ومن أراد الاستزادة من المعلومات التاريخية فعليه الرجوع إلى المصادر المعتمدة، وهي كثيرة جدّاً، ذكرنا بعضها في المراجع، ولقد تم تقسيم الفصل إلى ثلاثة أقسام: يتناول الأول تاريخ اليابان القديم إلى نهاية عصر الإقطاع، والقسم الثاني تم تخصيصه لتاريخ اليابان الحديث منذ بداية إصلاحات (ميجي) إلى الحرب العالمية الثانية، أما القسم الثالث والأخير فقد تم تخصيصه لحقبة الحرب العالمية الثانية ووصف الدمار الكبير الذي لحق باليابان من جرائها.

القسم الأول: تاريخ اليابان القديم

وينقسم هذا القسم إلى ثلاث مراحل: أولها يتناول عصور ما قبل التاريخ، والثانية حقبة التاريخ القديم إلى بداية عصر الإقطاع، والثالثة تتناول الحقبة الزمنية الممتدة من حكم الإقطاع إلى بداية إصلاحات (ميجي).

1.4. عصور ما قبل التاريخ

1- عصور جومون: وهي الحقبة التي تمتد من آلاف السنين قبل الميلاد إلى عام 300 ق.م. وامتازت هذه الحقبة بأن سكان الأرخبيل الياباني كانوا مجرد صيادي أسماك وحيوانات برية. والمكتشفات الأثرية من تلك الحقبة عبارة عن فخاريات وأدوات صيد، أما الملابس فهي مكونه من جلود الحيوانات.

2- عصور (يايوئي): وهي الحقبة التي تمتد من 300 ق. م. إلى 250 ميلادي، وسميت على اسم الموقع الأثري الذي اكتشفت فيه أهم آثار تلك الحقبة، وهو موقع (يايوئي) قرب مدينة طوكيو العاصمة الحالية. وأهم ما امتازت به تلك الحقبة عن سابقتها ما يأتي:

- بداية تعلم حياكة الملابس.
- دخول الزراعة، وخصوصاً زراعة الرز.



- بدايـة اسـتخدام الأواني والأدوات البرونزيـة، والحديديـة، وتعلم صـناعتها التـي ربما جاءت إلى اليابان من الصـين أو كوريا أو كليهما.

وأول ذكر ورد لليابان في الوثائق الصينية يعود إلى هذه الحقبة، حيث وصف مؤرخو حقبة (هان) عام 57 ميلادي اليابان بأنها:

«على الجهة الأخـرى من المحيط وفي مقابل (ليو يانغ) هناك شـعوب (وا) تتكون من أكثر من مئة قبيلة». وهذا الاسـم (وا) هو مـن الأسـماء القديمة التي كانت تطلق علـى اليابانيين في المدونات القديمة.

2.4. التاريخ القديم:

نعنـي بالتاريخ القديم المراحـل الزمنية التي امتدت من بداية الكتابـة والتدوين في القـرن الثالث وحتى عـام 1185م وبداية عهد الإقطـاع. حيـث مرّت اليابـان في تاريخها القديم ومـن حيث تطور نظامها السياسي بثلاث مراحل مهمة:

1- مرحلـة (كوفن): تمتد هـذه الحقبة من القـرن الثالث الميلادي وحتى القرن السـابع، وترجع التسـمية إلى طريقة دفن الموتى في المقابر التي هي عبارة عن تلال. وامتازت هذه المرحلة التاريخية بقيام حكومات عسكرية قوية نشأت لتعكس قوة العشائر ونفوذها



في أماكن وجودها وخصوصاً في منطقة سهل (ياموتو) وهي المنطقة التي تقع حول مدينة (نارا) التي أصبحت فيما بعد عاصمة اليابان. وكان تشكيل الحكومات مشابهاً لما هو موجود في الصين.

ولقد امتازت هذه المرحلة بقوة العلاقات والروابط في جوانبها المختلفة، كالسياسي أو الثقافي والاقتصادي بين اليابان من جهة والصين وكوريا من جهة أخرى، حيث شهدت نهاية القرن الرابع الميلادي بداية علاقات قوية بين اليابان والممالك الكورية الثلاث. ولعل من أهم الإنجازات في هذه المرحلة دخول الديانة البوذية التي قدمت إلى اليابان عن طريق كوريا كما أسلفنا وبداية استخدام الرموز الصينية (كانجي) في الكتابة مع ما مثلته هذه الخطوات من زيادة في قوة الترابط بين اليابان والصين وكوريا.

2- مرحلة نارا: امتدت هذه المرحلة، التي أخذت تسميتها من مدينة نارا التي كانت العاصمة السياسية والفكرية لليابان، معظم القرن الثامن الميلادي. وأهم ما امتازت به هذه الحقبة تأسيس النظام الإمبراطوري، وذلك على شاكلة النظام السياسي في الصين. ومع ظهور النظام الإمبراطوري ومحاولة السلطة السياسية بسط نفوذها نشأت بوادر صراع شديد بين المؤسستين: السياسية التي يقف على رأسها الإمبراطور والدينية التي يقودها الكهنة البوذيون.



3- مرحلة هييان: أو مرحلة السلام والاستقرار التي امتدت من أواخر القرن الثامن وحتى عام 1185 ميلادي. امتازت هذه الحقبة باستقرار الوضع السياسي وتمركز السلطات بيد الإمبراطور، ذلك أن المؤسسة السياسية استطاعت بعد التحالف مع العائلات الأرستقراطية ذات النفوذ في المجتمع مثل عائلة (فوجيوارا) أن تحسم الصراع مع المؤسسة الدينية لمصلحتها. وللتخلص أو لتقليل نفوذ المؤسسة الدينية والرهبان البوذيين المتمركزين في أهم المعابد البوذية في (نارا) ومنها معبد (توادايجي) الشهير تمّ نقل العاصمة من مدينة نارا إلى مدينة (كيوتو) القريبة منها. ونتيجة من نتائج ذلك الصراع مع المؤسسة الدينية، ولكون البوذية فكراً مستورداً من الصين وكوريا، نشأت حركة قوية تدعو إلى الاهتمام بالثقافة اليابانية والفن الياباني ونبذ الثقافات والفنون المستوردة من الصين وكوريا. فنشط الفن الياباني، وظهرت نتيجة ذلك كثير من الرموز الكتابية في (الكانجي) التي ليس لها أصل صيني، وكذلك استخدام الألفاظ اليابانية لرموز (الكانجي) بدل الألفاظ الصينية.

3.4. عصر الإقطاع

شهد القرن الثاني عشر الميلادي بروز القوة العسكرية لكثير من العوائل الأرستقراطية اليابانية، مع بدايات التنافس على النفوذ

بين هذه العوائل الذي أخذ الطابع المسلح، وأدخل اليابان في حروب أهلية دموية لم تنته إلا بتقاسم العوائل النفوذ وتقسيم اليابان إلى إقطاعيات شبه مستقلة تخضع لسلطة العائلة الإقطاعية (داميو) التي تحظى بتأييد قادة المليشيات العسكرية المحلية التي يطلق عليها تسمية (شوغان) وأصبح بذلك دور الإمبراطور دوراً رمزيّاً، وأنشئت الحدود بين الإقطاعيات، ووضعت نقاط التفتيش بين المقاطعات المختلفة لضبط حركة التنقل بين المقاطعات. وامتدت هذه الحقبة من القرن الثالث عشر إلى أن انتهت بظهور اليابان الحديثة بعد إصلاحات (ميجي) في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

وينقسم عصر الإقطاع في اليابان إلى حقب عدة مميزة، أهمها:

1- **حقبة كاماكورا**: تمتد هذه الحقبة من عام 1185 إلى 1333 ميلادي، حيث امتازت بسيطرة إقطاعية (كاماكورا) التي كان الحكم فيها خاضعاً لسيطرة طبقة العسكر أو (الساموراي). ومن أهم الأحداث التي مرّت بها اليابان في هذه الحقبة محاولة المغول غزو اليابان؛ لأن غزو المغول لكوريا والصين وسيطرتهم عليهما جعل من غزو اليابان مسألة وقت. ولذلك، فعام 1274 أعد المغول قوة كبيرة استخدمت السفن البحرية الكورية،



واستطاعت أن تحتل كثيراً من الجزر حتى وصلت إلى ميناء (هاكاتا) في جزيرة (كيوشو) الذي احتلته دون مقاومة تذكر. لكن المغول أعادوا النظر في حساباتهم، فقرروا العودة إلى كوريا لكون القوة الغازية لا تستطيع الصمود مدة طويلة من دون إمدادات، فغادروا المناطق التي احتلوها على أمل أن يعودوا ثانية وبقوة أكبر تستطيع أن تضمن لهم خطوط الإمداد الطويلة. وبالفعل، فقد عادوا ثانية عام 1281م حيث أعدّوا أسطولاً بحريّاً كبيراً قوامه 140 ألف جندي توجه لغزو اليابان، وكانت وجهتهم ميناء (هاكاتا) مرة ثانية؛ لكونها أضعف النقاط لعدم وجود دفاعات بحرية يمكنها أن تصمد أمام هذه القوة الكبيرة التي لم تَرَ اليابان مثلها، ولكن القوات الغازية واجهها إعصار شديد سُمّي (الكامي كازي) أو (الريح الإلهية) التي دمرت الأسطول الغازي قبل أن يصل إلى سواحل اليابان[1]. على أن هذه التجربة القاسية كشفت نواحي الضعف في حكم إقطاعية (كاماكورا) وأدت بالنتيجة إلى نهايته، وذلك عام 1333م واستعاد الإمبراطور صلاحياته، وأحدث كثيراً من الإصلاحات.

2- **حقبة مروماتشي**: تمتد هذه الحقبة من عام 1336 إلى 1573م التي شهدت سيطرة إقطاعية (مروماتشي) على السلطة السياسية.

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p46-45

امتازت هذه الحقبة بالصراعات والحروب الداخلية. ومن أهم الأحداث التي شهدتها هذه الحقبة وصول سفينة برتغالية إلى اليابان، عندما ضلت طريقها إلى الصين، وكانت تحمل الأسلحة البارودية، فكانت المرة الأولى التي يجرب فيها اليابانيون هذا النوع من السلاح، ولأجل ذلك رحبوا بالسفينة على مضض، وتمثل هذه هي المرة الأولى التي تتواصل فيها اليابان مع أوروبا.

3- **حقبة أزوتشي- موموياما**: امتازت هذه الحقبة القصيرة من عمر اليابان التي امتدت من 1568 إلى 1600م بوحدة اليابان واستقرارها تحت حكم قيادة واحدة قامت ببناء قوة عسكرية، وكانت تعتقد أن السبيل الوحيد لوحدة اليابان هو توجيه الأنظار نحو أهداف خارجية، فوضعت لنفسها أهدافاً طموحة ربما كانت أكبر من قدراتها بكثير، فكانت تطمح إلى أن تجعل من اليابان قوة استعمارية، فأرادت أن تحتل كوريا والصين، وفاقت أطماعها حدود المعقول، فصارت تفكر في احتلال الهند. وبالفعل، فقد أعدت أسطولاً بحريّاً توجه لغزو كوريا، ولكن القوات اليابانية واجهت مقاومة من القوات الكورية التي استنجدت بدورها بالقوات الصينية التي هبّت لنجدتها ما أدى إلى إلحاق الهزيمة الساحقة بالقوات اليابانية، وكانت النتيجة نهاية حقبة حكم (أزوتشي- موموياما).

4- **حقبة أدو**: الاسم يعود إلى مدينة (أدو) وهو الاسم القديم لمدينة طوكيو، والسبب في التسمية أن مدينة أدو (طوكيو) أصبحت



العاصمة السياسية ومركز الحكم، ومع حلول القرن التاسع عشر أصبحت أكبر مدن العالم. وتمتد هذه الحقبة التي تُعدّ من أهم الحقب في عصر الإقطاع من 1603 إلى 1876م وفي هذه الحقبة أصبح الحكم شراكة بين نحو 200 عائلة إقطاعية كانت أقواها عائلة (توكوغاوا)، التي تسمّى الحقبة باسمها أحياناً. امتازت هذه الحقبة بمسألتين على درجة كبيرة من الأهمية في تاريخ اليابان، هما:

أ- النظام الطبقي: حيث شهدت هذه الحقبة من تاريخ اليابان ظهور النظام الطبقي الذي قسم الناس إلى طبقات أعلاها العوائل الإقطاعية والقادة العسكريون وأدناها طبقة الفقراء والمعدمون والمتسولون، وهؤلاء في الحقيقة لا حقوق لهم ولا واجبات، ولا يسمح لأي من أعضاء الطبقات الأخرى بالارتباط بهم، وهذه الطبقة تشبه طبقة المنبوذين في الهند. وبين أولئك وهؤلاء انقسم الناس إلى أربع طبقات بحسب تسلسلها من الأهمية:

1- طبقة الساموري: هم حملة السلاح، ولا يسمح لغيرهم ممن هم دونهم بحمل السيف، ولا يسمح للساموراي بممارسة المهن والحرف، إذ إن ذلك أدنى من منزلتهم الاجتماعية، وهؤلاء يعيشون على ما يقدمه المزارعون من الضرائب وواجبهم حفظ الأمن والدفاع عن الإقطاعية. ويحرم عليهم استخدام السيف لتحقيق منافع ذاتية. أما الذين يستخدمون

السـلاح لتحقيق منافع شخصـية لأنفسـهم فهم الخارجون على القانون، ويُسـمّون الـ(جنجا)، ويحق للساموراي تطبيق القانـون مـن دون الرجوع لأحد، فعلى سـبيل المثـال إذا رأى شخصاً يحمل السـلاح من غير الساموراي، قام بقطع رأسه على الفور.

2- طبقة المزارعين: وهي أعلى طبقات أصحاب الحرف، وتحظى بمنزلة خاصـة؛ لكونها التي تختص بدفع الضـرائب للعوائل الإقطاعية وللسـاموراي، التي هي نسـبة عالية من محصول الرز والتي تتجاوز نصـف المحصـول، وهذه تشـكل مصـدر الرزق الأساس للحكام والساموراي.

3- طبقة الحرفيين وأصحاب الصنائع.

4- طبقـة التجار: وهي أدنى الطبقات الاجتماعية، وينظر إليهم بعين الريبة؛ وذلـك لكونهم طبقة غير منتجة مثل المزارعين وأصـحاب الحرف، حيث يعمـل أبناء هـذه الطبقة على بيع منتجات المزارعين وأصـحاب الحـرف، وكذلك يؤخذ عليها اتصالها بالأجانب الذين هم مصدر التلوث في المجتمعات.

ب- العزلـة عن العالم: في أوائل القرن السـابع عشـر أخذت الشـكوك تحـوم حول التجار، وبدأت الاتهامـات تتوجه لهم بأنهم يعملون في سـبيل إعانة الأوروبيين في غزو اليابان، وأن المنصرين النصارى،



الذين قدموا مع البرتغاليين إلى اليابان خلال حقبة (موروماتشي)، إنما يمثلون واجهة للاستعمار الغربي. ولذلك قامت السلطات بوضع قيود شديدة على التجار ومنها منع صناعة السفن الكبيرة، وفرضت عقوبة الإعدام على كل من امتلك أو قام ببناء سفينة تتجاوز في حجمها المواصفات المسموح بها[1] وهذه المواصفات مقتضاها أن السفينة لا تستطيع أن تبحر لأكثر من عبور بحر اليابان والوصول إلى كوريا أو الصين. وإن السلطات قامت بإعدام كثير من المنصرين، ومنعت الأوروبيين من دخول اليابان، وحرمت اعتناق النصرانية، ولكنها بسبب الحاجة إلى التعامل التجاري مع الأوروبيين وخصوصاً فيما يتعلق باستيراد الأسلحة البارودية، كالبنادق والمدافع، فقد سمح للأوروبيين باستخدام جزيرة صناعية صغيرة قبالة ميناء (ناكازاكي) حيث لم يسمح لليابانيين بالعبور إلى الجزيرة باستثناء الرهبان البوذيين، وذلك لكونهم محصنين وغير قابلين للتلوث بالأفكار الغربية.

ومع أن هذه الحقبة شابها كثير من السلبيات، مثل تقسيم اليابان إلى إقطاعيات، والعزلة عن العالم الخارجي، وقيام النظام الطبقي، إلا أنها امتازت بالاستقرار السياسي الذي كان بمنزلة فرصة استطاعت اليابان أن تركز فيها على البناء، سواء كان بناء الفرد أو بناء المجتمع وأن تتم عملية البناء على أسس اجتماعية

---

(1) Ruth Benedict, The Chrysanthemum and the Sword, Tutle, 1994, p62.

قوية وذات جذور تراثية راسخة، وقد تمثلت عملية البناء بوضوح في أمرين مهمين، هما:

الأول: بناء النظام التعليمي

كان التعليم في الحقب السابقة حكراً على أبناء النبلاء والساموراي وغير متوافر لأبناء العامة من الطبقات الاجتماعية الأخرى. ولكن حقبة (أدو) شهدت طفرة اجتماعية كبيرة كان لها أكبر الأثر في بناء الفرد والمجتمع الياباني ألا وهي المدارس الدينية المرتبطة بالمعابد البوذية التي سميت (التراكويا). هذه المدارس منحت أبناء العامة فرصة نادرة للتعلم والارتقاء في السلم الاجتماعي. ومدارس التراكويا التابعة للمعابد انتشرت مع انتشار المعابد ليس في المدن فحسب وإنما في القرى والأرياف والمناطق النائية، ووفرت التعليم لأبناء العامة إضافة إلى أبناء النبلاء وطبقة الساموراي. وازداد إقبال الناس على هذه المدارس بشكل كبير حتى إن بعض التقارير ذكرت أن عدد الطلاب في مدارس (التراكويا) وصل إلى أكثر من 70% من أطفال منطقة (أدو).

ومن الواضح أن هذه المدارس التي كان لها الفضل الأكبر ليس في شيوع التعليم في اليابان ووضع أسس النظام التعليمي المميز فحسب، وإنما في إيجاد طبقة من المتعلمين من الطبقات الدنيا في المجتمع، وخصوصاً طبقة التجار، التي استطاعت فيما بعد أن تتحدى النظام الطبقي وأن تلغيه من الوجود في حقبة قصيرة جدّاً.



أمـا المنهـج التعليمي في هـذه المدارس فكان يركـز على المواد الأساسـية مـن القراءة والكتابة والحسـاب والجغرافيـة والتاريخ. هذا، ووضـعت برامج تعليمية موازية للفتيات تشتمل على الخياطة وآداب حفـلات الشـاي وتصـفيف الـورد. أما المعلمـون فكانوا من عامة الناس إضـافة إلى الرهبان والسـاموراي. وإضافة إلى ذلك، فإن نظام (التراكويا) كان يشـتمل علـى تعليم خاص يتعلم فيه كل طالب ما ينفعه، فمثلاً كانت المدارس تعلم أبناء التجار كيفية إلقاء التحيـات وأسـاليب كتابـة الرسـائل وكل ما يحتاج إليـه التاجر في حياته العملية والاجتماعية. وعلمت أبناء الحرفيين أسـماء المعدات وأسـاليب اسـتخدامها وطرق إصـلاحها وأنواع الأخشاب، وكذلك علمت أبناء الصـيادين الأنواع الخاصة من الأسماك والمواسم التي تظهر فيها وفي الوقت نفسه، ركزت على تعليم القيم الأخلاقية التي هي أساس الشخصية اليابانية[1].

ألغـي التعليـم في مدارسـ (التراكويـا) ضـمن إصـلاحات (ميجي) التي جعلت التعليم إلزامياً وحقاً عاماً من حقوق المواطنين تقـوم به مؤسسـات الدولة التعليمية، وكذلك بوصـفه خطوة لتقليل نفوذ المعابد البوذية والحد من اتصالها المباشر بالناس، وخصوصاً الأطفال والشباب واستغلال المدارس لتشكيل طريقة تفكيرهم.

(1) توكوغاوا وناكامورا، ص37.

الثاني: التربية القيادية وخصائص شخصية الساموراي

لأن طبقة الساموراي هي الوحيدة في المجتمع التي يسمح لأفرادها بحمل السلاح واستخدامه، ولأن الصلاحيات الممنوحة لهم في تطبيق القانون واسعة، فعلى سبيل المثال ينص قانون الإقطاعيات (باكوفو) «أن أي إنسان من عامة الناس الذي يسيء للساموراي أو لا يظهر الاحترام لمن هم أعلى رتبة منه، فإنه يحق للساموراي أن يقطع رأسه في الحال»[1]. ولذلك، فإن طبقة الساموراي ليست في حقيقة الأمر طبقة من الطبقات، وإنما هي أعلى بكثير من الطبقات التي هي دونها.

ومع الصلاحيات الواسعة التي تتمتع بها هذه الطبقة، إلا أنهم كانوا يعيشون عيشة التقشف، فكان لزاماً أن يضع المجتمع ضوابط واضحة لسلوك هؤلاء تضمن عدم إساءتهم استخدام السلاح والصلاحيات الواسعة الممنوحة لهم لتحقيق أغراض شخصية أو ظلم الناس، ولذلك فقد طورت مجموعة من الضوابط الأخلاقية التي سميت (البوشيدو) والتي هي عبارة عن منهاج حياة لكل من يريد الوصول إلى درجة الساموراي. وكلمة (بوشيدو) مكونة من ثلاثة رموز صينية: الأول والثاني منها (بوشي) والكلمة المركبة من الرمزين تعني الساموراي، والثالث وهو (دو) أو (تو) بمعنى

(1) Ruth Benedict, The Chrysanthemum and the Sword, Tutle, 1994, p-64.



(الطريق)، فكلمة (بوشيدو) إذاً معناها طريق الساموراي، التي تنبني على ثلاث ركائز، وهي: الولاء، والإخلاص، والشرف.

وخير من شرح صفات الساموراي المفكر الياباني الكبير نيتوبي أنازو (1862–1933) نائب الأمين العام لعصبة الأمم ومؤسس اليونيسكو في كتابه القيم (البوشيدو) الذي طبع للمرة الأولى عام 1900 ويُعدّ أشهر وأهم مؤلف ياباني في العصر الحديث؛ ولذلك ترجم إلى أغلب لغات العالم، ومنها العربية. ويذكر المؤلف صفات الساموراي السبع[1]:

1 - العدل والحزم في أداء الواجب: وتعرف بأنها قدرة الساموراي على الوصول إلى الاختيار الصحيح وخصوصاً في المواقف الصعبة، وذلك عن طريق التدبر والمضي بعد ذلك بعزم ودون تردد، وتعرف هذه الصفة بأنها المضي إلى الموت متى كان الموت هو الخيار الصحيح.

2 - الشجاعة والإقدام والتفاني في سبيل إحقاق الحق.

3 - الرحمة: ذلك أن الساموراي له الحق في مراعاة تطبيق القانون، فهو القاضي، والمدعي العام، والجلاد إن اقتضت الضرورة؛ ولذلك كان عليه أن يتصف بصفات الرحمة والعطف التي هي بحسب رأي كونفوشيوس (أهم صفات الحاكم).

(1) Inazo Nitobe, Bushido, Bilingual Books, Japan, 1998.



4 - الأدب والالتزام بالسلوك العام: وهذه انعكاس للرحمة بالآخرين. وهـذه الصـفات هي أكثر مـا يجلب انتبـاه الزائر إلـى اليابان، عندما يرى الالتزام بالتعليمات والأدب العام والابتعاد عن كل ما من شأنه إيذاء الآخرين.

5 - الصـدق والإخلاصـ: من علامـات ذلك أن السـاموراي لا يحب المال، ولا يعمل لأجله، ويُعدّ الحرص على المال مخالفاً للإخلاص. ولذلك، فليس من شـيم السـاموراي الحديث عن المـال، فكانوا يعلمـون صـغارهم أن الجهـل بالتعامـلات المالية مـن علامات النبـل. والملاحظ اليـوم أن الياباني لا يحـب الحديث عن المال. ومن علامات الصـدق الإتقان، فالساموراي يتقن أي عمل يقوم به بغض النظر عن طبيعة العمل، ويُعدّ الإهمال دليلاً على هبوط المرتبة.

6 - الشـرف: إن الشـعور بالشـرف والنبـل وقيمـة الـذات مـن أهم خصـائص السـاموراي، ولذلك يعتقـد أن انتماءه لهـذه المرتبة الاجتماعية هو شـرف عظيم عليه أن يحرص عليه كل الحرص، وذلك يكون بألا يأتي أي فعل من شـأنه أن يدنس شـرف مكانته. ولـذا وجب على السـاموراي أن يتحمل الكثير؛ ذلـك لأن الخطأ غير مقبول ممن هم بهذه المكانة، ومن هنا كان شعارهم «الصبر الحقيقي هو تحمل ما لا يطاق». وهذا أيضاً دافع مهم على إتقان العمل، فمهما كانت درجة الإتقان في أداء العمل، فإن الساموراي



يخشــى ألا تكون لائقة بمرتبته وشرفه، ولذلك فهو حريص دائماً علــى الإتقان بغض النظر عن طبيعة المهمة، فســواء كانت مهمة تتطلب اســتخدام الإســتراتيجيات القتالية أو تعلم فنون الدفاع عن النفس أو تعلم الخط أو الرسم التقليدي أو أي فن آخر، فإن عليه أن يتقنه غاية الإتقان، وفي الوقت نفسه يعتقد أنه في حاجة إلى تحسين الأداء.

أما إذا أخطأ الســاموراي فالســبيل الوحيد أمامه لاسترداد شــرفه أنمــا يكــون بأدائــه لما يســمى (ســيببوكو) وهــي عملية الانتحار عن طريق بقر البطن بالخنجر من اليمين إلى اليســار. ولذلك فسلاح الســاموراي هو السيف الذي يدافع به عن نفسه، ويحارب به أعداءه وكذلك الخنجر الذي يحافظ به الســاموراي على شــرفه إذا ما زلّ أو فشــل أو أتى أي فعل يجلب له أو لعائلته العــار. ومــن هنا نفهــم الســر وراء انتحار الأعــداد الكبيرة من الضــباط اليابانيين عند سماعهم خطاب الإمبراطور، وهو يعلن الاستسلام في نهاية الحرب العالمية الثانية؛ لشعورهم بأنهم هم الذين خذلوا الإمبراطور، ووضعوه في هذا الموقف المحرج.

7 - الــولاء: المصــالح الشخصــية، وبالتحديــد الماديــة منهــا تدمــر العلاقات البشــرية، ومن هنا كان ولا بد للساموراي من أن يجعل ولاءه لسيده فوق كل شيء، وأن يعيش حياة التقشف، وهذا الولاء



إنمـا يكون لأسـباب فوق المـادة. ومن القصـص التاريخية التي يذكرهـا اليابانيون كثيراً التي تدلّ على ولاء السـاموراي قصـة (السـبعة وأربعين سـاموراياً) التي توضـح المدى الذي يمكن أن يصل إليه الساموراي في ولائه لسيده.

ومـن أهم الأمور التـي يهتم لها السـاموراي معرفة مكانته، فسـواء قابـل شخصـاً غريبـاً أو دخل إلـى مجلس يجمـع عدداً من الحضـور، فإن المهمـة الأولى هي أن يعرف مكانته بالنسـبة إلـى الآخرين؛ لأن تحديد هذه المسـألة تترتـب عليها الكثير من الأمور، منها الـدور الذي يقوم به ودرجة الاحترام التي يجب أن يقدمها للآخرين وهل هو المتحدث مثلاً أم أن هناك من هو أعلى مرتبـة منه، وعليـه ألا يتجـاوز مرتبته، ويبدأ بالحديـث، ثم إن لغـة التخاطب تعتمد على مكانـة المقابل، ومن ذلك طريقة إلقاء التحيـة، فتحية الزميل تختلف تمامـاً عن تحية الرئيس، وكذلك تحية الولد تختلف عن تحية الوالد، ومنها اختلاف درجة الانحناء أمام الآخر، وهكذا. ومن هنا نفهم الأهمية الكبيرة التي يضـعها اليابانيـون على تبادل البطاقات الشخصـية في بداية اللقاءات؛ لأنها الوسيلة التي يتعرف من خلالها إلى مكانة المقابل ومرتبته، ومن ثم، يحدد بناءً على ذلك دوره بالنسبة إلى الآخرين[1].

---

(1) Benedict p-43-75.



قصة السبعة وأربعين ساموراياً

يروى أنه في عصر (توكوغاوا) كان يجب على جميع الحكام المحليين أن تكون لهم قصور في مدينة (أدو) وأن عوائلهم يجب أن تعيش في أدو، وليس في مدنهم، وكذلك يجب على القادة أن يعيشوا في (أدو) سنة كاملة مقابل سنة أخرى في مدنهم، كل ذلك لكي يضمن (توكوغاوا) ولاءهم له، وكان في مرة من المرات أن حضر أحد الحكام من مقاطعة (أكوياما) الجنوبية في أدو واسمه (يوسانو) وقد عرف هذا الحاكم بأنه طور طريقة استخلاص الملح من البحر، وهذه الطريقة وأهميتها ربما جلبت عليه الحسد من الحكام الآخرين وخصوصاً السيد (كامئي) الذي كان منافساً له، وحصل أن حدثت مشادة بين الاثنين، وحاول فيها (يوسانو) قتل غريمه بسيفه، ولم ينجح، وإنما أصابه بجرح. كانت هذه المبارزة مخالفة لتعاليم (البوشيدو) ولذلك تسببت في حدوث مشكلة في القصر، ولذلك أمر (توكوغاوا) السيد (يوسانو) بالانتحار عن طريق بقر البطن بالخنجر؛ لمخالفته التعاليم وجلب العار لشرفه الذي يستوجب عليه أن يستعيده بخنجره. وبالفعل، فقد أدى السيد (يوسانو) عملية (السيببوكو).

أثارت هذه الحادثة مشاعر الاستياء عند الساموراي الذين كانوا يدينون بالولاء للسيد (يوسانو) والذين أصبحوا يعرفون بـ(رونين) لأنهم فقدوا سيدهم، وما زاد في استيائهم أن (توكوغاوا) لم يعاقب غريم سيدهم مع أنهم يعتقدون أنه كان السبب في المشاجرة، ولذلك

خططوا للانتقام لشرف سيدهم مع علمهم بأن عملهم هذا سوف يجلب عليهم عقوبة الانتحار؛ لأنه أيضاً يخالف تعاليم الساموراي. وبالفعل، فقد تآمر هؤلاء على قتل الغريم وكانوا سبعة وأربعين إضافة إلى شقيق السيد (يوسانو). وفي اللحظة المناسبة انقضوا على الغريم، وقتلوه، وفرّ واحد منهم إلى مقاطعة (أكوياما) لنقل البشارة بثأرهم لسيدهم، وألقي القبض على الستة وأربعين والسيد (يوسانو) وأمروا بالانتحار، فما كان منهم إلا أن أدوا (السيببوكو) جميعاً، ودفنوا في معبد (سنكا كوجي) الشهير في طوكيو. وقصتهم مشورة جدّاً، وتروى على شكل فيلم في الأعياد من كل عام.

وهناك من أكمل صفات طبقة الساموراي لتصل إلى عشر، وذلك بإضافة ثلاث صفات أخرى، هي:

8 - احترام الآباء والأسلاف وطاعتهم.

9 - الحكمة.

10 - العناية بكبار السن والضعفاء.

إن هذه الصفات لم تبقَ حكراً على طبقة الساموراي، وإنما أصبحت المدرسة التربوية للقيادات على مختلف الأجيال، وبذلك يمكن اعتبار هذه الصفات الجذور الأخلاقية للشعب الياباني كما يقول (أنازو)[1]. والذي يتعامل مع اليابانيين أو يتعايش معهم يلاحظ أن هذه الصفات والخصائص لا تزال حية بين الناس.

(1) Inazo Nitobe, Bushido, Bilingual Books, Japan, 1998. p-253.



4.4. نهاية نظام الإقطاع

أخذ نظام الإقطاع يتهاوى أمام الضغوط الخارجية وبروز عوامل اجتماعية جديدة. أما الضـغوط الخارجية فقد بلغت أوجها في الثامن من شـهر (يوليو) عام 1853م مع وصـول (الكومودورماثيو بيري) مع أربع سـفن تابعة للبحرية ألأمريكية إلى مينـاء (أدو)[1] ووجه المدافع العملاقـة لسـفنه الراسـية تجـاه المدينة، وطلب مـن اليابـان إنهاء سياسة العزلة وفتح موانيها أمام السفن الأمريكية، وكانت الولايات المتحدة تريد من وراء ذلك الاسـتفادة من الموانى اليابانية لسفنها الذاهبة في طريقها إلى الصـين وبقية آسـيا، وكانت ترغب في فتح الأسـواق اليابانية أمام بضـائعها، هزّت هذه الحملة أركان النظام السياسي المتمثل في حكم إقطاعية (توكوغاوا) التي لم يكن أمامها خيـار سـوى الاسـتجابة، إذ إن أي مقاومة لن تكـون إلا بمنزلة نوع من الانتحار أمام التفوق العسكري للبحرية الأمريكية، ولأن سياسة العزلـة حرمت اليابان من فرصـة بناء قوات بحريـة كان يمكن أن تمنحها الفرصـة للدفـاع عن نفسـها. ويقـال: إن اليابانيين بهروا أمام هذه القوة العسـكرية، ولم يكن أمامهم سـوى مراقبتها وكتابة التقارير المفصـلة حول السـفن الراسـية وتحركاتها، فكانت الريح تأتي وتحرك الشراع، وفي اليوم المقبل يكتب اليابانيون التقارير عن الوضع الجديد لأشرعة السفن ظنّاً منهم أنها تعني شيئاً مهمّاً.

---

(1) طوكيو القديمة عند منطقة شيناغاوا الآن.



فكـر اليابانيـون أولاً في المقاومـة، وبالفعل فقد قاموا بإنشـاء دفاعـات علـى مدخل الميـنـاء، وذلك بإقامـة جزيرة اصـطناعية، ووضعوا عليها المدافع التي اكتشفوا أنها ليست من القوة التي يمكن أن تصـمد أمام السـفن الأمريكية. ولا تزال هذه الجزيرة موجودة عند المنطقة التي فيها جسـر (Rainbow Bridge) الذي هو الجسـر المعلق فوق خليج طوكيو مقابل الميناء اليوم.

وفي 31 (مارس) عاود (الكومـادور بيري) الكرّة مرة أخرى، ولكن هذه المرة بسبع سفن حربية، وفرض على اليابان التوقيع على معاهـدة (كاناغاوا) التي وقعها هو بالنيابة عن الرئيس الأمريكي، ووقعهـا حاكـم إقطاعيـة (توكوغـاوا) بالنيابـة عـن الإمبراطور، حيـث فرضـت هـذه الاتفاقيـة التي تكونـت من مقدمـة و13 مادة علـى اليابان أموراً عدة، أهمها فتح ميناءين هما ميناء (شـينودا) وميـنـاء (هاكوديد)، الذي يقـع في جزيرة (هوكايدو) الشـمالية، أمام السـفن التجارية والحربية الأمريكية وفتح قنصـلية أمريكية في ميناء (شينودا) كذلك ألزمت الاتفاقية اليابان مساعدة السفن الأمريكيـة المعطوبـة أو المدمرة في البحـر أو بحارتها وتقديم العون لهم وإيصالهم إلى أي من الميناءين أعلاه.

كانت الأهداف الحقيقية لحملتي (الكومودور بيري) والاتفاقية التـي نتجت عنها أهدافاً عسـكرية إسـتراتيجية متمثلة في حصـول الولايات المتحدة على تسهيلات في استخدام سفنها البحرية للمواني



اليابانية، إضــافة إلــى الأهداف الاقتصــادية المتمثلة في فتح الموانى والأســواق اليابانية أمام البضائع الأمريكية. وهذه الحملة ما هي إلا فصل من فصول الأطماع الغربية في جنوب شرق آسيا عامة والصين بالتحديــد طمعــاً في مواردها. هــذه الحملة الغربية التــي بدأت منذ قــرون، وحاولت الولايات المتحدة منــذ 1784 اللحاق بها والتي تهدف من ورائها إلى الحصول على موطئ قدم يساعدها على الوصول إلى جنوب شرق آسيا، ويمنح سفنها محطة في طريقها إلى الصين[1].

إضــافة إلى تلــك الاتفاقية مــع الولايات المتحــدة، فقد وقعت اليابان اتفاقيات أمليت عليها مع دول أخرى.

أما الســبب الداخلــي في نهاية الإقطــاع، فيعود إلــى العوامل الاقتصــادية التي يشرح دورها السيد يوشيدا، رئيس وزراء اليابان في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأحد أهم مؤسسي نهضتها الحديثة، في شرحه لأسباب نهاية عهد الإقطاع:

«ومن هذه العوامل التوســع في الســوق الاقتصــادي مع تزايد نفــوذ طبقة التجــار. فمع اقــتراب نهاية مرحلــة (توكوغاوا) حقق الناتج الاقتصــادي نمواً مطرداً مصــاحباً بنمو في الاســتهلاك في المدن مع تأســيس أعداد كبيرة من المصــانع الصــغيرة. وفي الوقت نفســه، فإن التجار أخذوا يجمعون أموالاً كبيرة، التي من شأنها أن

(1) Walter W. McLaren, Political History of Japan During the Meiji Era, Frank Cass, London, 1965, p-38.



تجلب النفوذ والتأثير معها على الرغم من المستوى الطبقي المتدني لهم في مجتمع منقسم طبقيّاً[1]».

وبعبارة أخرى، فإن للانفتاح الاقتصادي وما سبقه من بدايات النشاط الاقتصادي آثاراً كبيرة تجاوزت الاقتصاد، وأحدثت تغييرات اجتماعية؛ ذلك أن النبلاء وطبقة الساموراي الذين كانوا يعيشون على الضرائب التي يدفعها المزارعون، وهي ليست بالكثيرة، ألزمتهم بأن يعيشوا حياة التقشف، ولم يجدوا وسيلة للوصول إلى الثروات التي أصبحت في حوزة طبقة التجار سوى الاختلاط بهذه الطبقة التي هي أدنى الطبقات الاجتماعية، وذلك عن طريق الزواج. أنشأت هذه الحالة حركة اختلاط بين الطبقات، وفتحت أبواب التأثير أمام التجار الذين أخذوا يستخدمون ثرواتهم بوصفها وسيلة الوصول إلى دوائر القرار السياسي ومحاولة إحداث تغييرات اجتماعية وسياسية تلغي الطبقية من المجتمع.

القسم الثاني: تاريخ اليابان الحديث

5.4. حرب بوشن 1868 وتوحيد اليابان تحت سلطة الإمبراطور

أحدثت الاتفاقيات المجحفة التي فرضت على اليابان من قبل الدول الغربية حالة من التململ عند كثير من النبلاء وطبقة

(1) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), p18.



الساموراي من أصحاب المشاعر الوطنية الذين التفّوا حول الإمبراطور بوصفه رمزاً للوطنية اليابانية، وأخذوا يحمّلون حكومة (توكوغاوا) المسؤولية المباشرة عما آلت أليه الأمور، من أجل ذلك تعالت صيحاتهم بضرورة توحيد البلاد تحت سلطة الإمبراطور وبناء مؤسسات الدولة؛ لكونه السبيل الوحيد الذي من شأنه أن يمكّن اليابان من التصدي لمحاولات الدول الغربية فرض هيمنتها على البلاد، وأمام الضعف الواضح لحكومة (توكوغاوا) أمام مواجهة التحديات لم يجد كثير من الإقطاع سوى التنازل عن صلاحياتهم ووضع إمارتهم وإمكانيتهم تحت إمرة الإمبراطور. وهذه الحالة وضعت أمام الإمبراطور الشاب (ميجي) الذي ورث العرش توّاً من والده الفرصة مواتية، فقام بإصدار الأوامر بإلغاء حكم (توكوغاوا)، وعندها لم تجد حكومة (توكوغاوا)، وخصوصاً بعد قيام القوى الموالية للإمبراطور بالتحرش بها في (أدو)، بدءاً من مهاجمة القصر الإمبراطوري في (كيوتو)، لكن القوة الموالية للإمبراطور التي تميزت بالحماسة وحداثة الأسلحة استطاعت، ليس فقط أن تصدّ الهجوم، وإنما استغلت الفرصة للقيام بهجوم معاكس في اتجاه (أدو) والانتصار على القوة المدافعة عن المدينة.

لم تجد قوة (توكوغاوا) أمامها سوى الانسحاب إلى شمال جزيرة (هونشو) تاركة وراءها معظم اليابان التي أصبحت تحت سلطة الإمبراطور باستثناء المقاطعات في القسم الشمالي من جزيرة

(هونشو) التي اتحدت مع بعضها في مواجهة القوات الإمبراطورية، وشكلت ما سمي تحالف المقاطعات الشمالية. هذه القوى استطاعت أن تجمع أعداداً كبيرة جدّاً من المقاتلين، ولكن كانت تنقصهم العدة من السلاح الحديث، حتى إنهم قاموا بصناعة المدافع من جذوع الأشجار التي حفروها، ثم لفّوها بالحبال لتقويتها، إضافة إلى أنهم استطاعوا شراء ثلاثة مدافع ألمانية مع مئتي بندقية. وفي (مارس) 1868م حدثت موقعة (هوكوئيتسو) في مقاطعة (ناغا أوكا) التي تمكنت فيها قوات التحالف الشمالي من إنزال خسائر فادحة بقوات الإمبراطور قبل أن تهزم أمامها.

بعد الهزيمة اضطرت قوات التحالف الشمالي إلى عبور المضيق إلى جزيرة (هوكايدو) حيث أعلنت المنطقة استقلالها عن اليابان تحت اسم جمهورية مستقلة باسم جمهورية (أزو)، ولكن القوة الموالية للإمبراطور لم تمهلها كثيراً، وهزمتها في معركة (هاكوديت) التي حسمت الأمر، ووحدت البلاد تحت حكم الإمبراطور (ميجي). ففي 26 (أكتوبر) ابتدأت حقبة حكم الإمبراطور (ميجي) رسميّاً، وكان عمره آنذاك 16 سنة. وتم نقل العاصمة من (كيوتو) إلى مدينة (إدو) التي تغيرت تسميتها إلى (طوكيو) وتعني العاصمة الشرقية. والحقيقة أن الإمبراطور بسبب حداثة سنه وقلة خبرته، لم يكن سوى الرمز الذي اتخذته مجموعة من القادة الذين خططوا لعملية توحيد اليابان. وسوف نأتي إلى ذكر سيرتهم فيما بعد.



قصة المئة كيس رز:

درس مهـم في إعادة الإعمار من واقع الأحداث التي شـهدتها اليابـان في حرب التوحيد، وهي قصـه طالما ذكرنا بها رئيس وزراء اليابان الأسبق السيد (جونشيرو كوئيزومي) في لقاءاته مع الضيوف القادمـين مـن بـلاد العالم الثالث، مثل العراق، وهـي قصـة تعرف في اليابـان بـ (**كومـي هيابيـو**) أو (**مئة كيس رز**) وهي قصـة يعود تاريخها إلى النصـف الثاني من القرن الثامن عشـر، وذلك عندما قرر قادة اليابان أن تتوحد البلاد تحت حكم الإمبراطور، وأن ينتهي العمل بنظام الإقطاع والطبقات الاجتماعية، كما وضحنا أعلاه.

اجتمـع عقلاء اليابان ورؤسـاء الإقطاعيات، وقـرروا أن الرد علـى التحدي الأمريكي هـو بوحدة اليابان تحـت حكم الإمبراطور (ميجي) وأن يتنازل حكام الإقطاعيات عن أملاكهم وصلاحياتهم إلـى الإمبراطور، وأن تقوم اليابان بانتهاج برنامج نهضـة شـاملة قائـم على دراسـة تجربـة الـدول الغربيـة والاسـتفادة منها قدر الإمـكان. ولذلك اختـار الإمبراطـور مجموعة من خيرة الشـباب اليابانيين المتشبعين بالثقافة اليابانية والفلسفة الصينية وإرسالهم إلـى خيرة الجامعـات الأوروبيـة، وكذلك قـام باسـتقدام العلماء والمهندسين الأوروبيين ووزّعهم على المحافظات لإقامة مراكز تعليم وإبداع صناعي باليابان.

على أن عملية التوحيد هذه لم تحدث بين عشية وضحاها، ذلك أن بعض الإقطاعيات رفضت الفكرة وأبت الانصياع للحكم المركزي، فما كان من الإمبراطور إلا أن أرسل قواته لإخضاع هذه الإقطاعيات بالقوة، وكانت حروباً كبيرة. وكان من هذه الإقطاعيات التي رفضت الانصياع للحكم المركزي محافظة (ناغا أوكا) وكانت النتيجة حرباً أحرقت الأخضر واليابس، وحصلت مجاعة كبيرة في المنطقة التي دمرتها الحرب. فما كان من الحكومة المركزية إلا أن سارعت بإرسال معونة عاجلة لإغاثة المحتاجين، وكانت عبارة عن مئة كيس رز. تسلّم المعونة السيد (كوباياشي) بالنيابة عن السكان، وأخذ يفكر في أحسن الطرق للاستفادة من المعونة.

نعم، لقد فكر السيد (كوباياشي) في أن يبيع أكياس الرز، وأن يستفيد من المبلغ الكبير الذي يمكن أن يأتي من بيعها. ولعل أول ما يتبادر إلى الذهن أن السيد (كوباياشي) يذكرنا بكثير من المسؤولين في بلاد العالم المنكوبة الذين يستغلون معاناة الناس في سبيل الإثراء غير المشروع، لكن الحق يقال: إنه لم يفكر في أن يستفيد من الأموال لنفسه، ولكنه فكر مثلما يفكر الساموراي في نفع الآخرين، وذلك بالاستفادة منها في بناء مدرسة لأبناء المحافظة التي دمرتها الحروب، لم تلاقِ فكرة السيد (كوباياشي) قبولاً من كثير من أهل المنطقة، خصوصاً أولئك الذين هم في أمسّ الحاجة إلى وجبة طعام تسدّ رمقهم، لكن السيد (كوباياشي) أصر على



فكرته، وقرر الدعوة إلى اجتماع لأهل المنطقة، لعرض الفكرة عليهم وحثهم على قبولها، وقال لهم: «إننا إذا قمنا بتوزيع المئة كيس رز، وأكلناها، انتهى أثرها على الفور، ولكننا إذا استثمرنا أموالها في التعليم، فإن المئة كيس رز قد تصبح عشرة آلاف كيس، وقد تصبح مليون كيس» وبمثل هذه الحجة استطاع السيد (كوباياشي) إقناع الأهالي بفكرته. وبالفعل بيعت المئة كيس رز، وبني بثمنها مدرسة (كابو غوكان).

هذه القصة توضح أهمية الاستثمار في العنصر البشري، وأن هذا الاستثمار هو المفتاح لنهضة الشعوب، ما أحوجنا في هذه الأيام إلى مسؤولين من أمثال السيد (كوباياشي) وإلى فكر مستنير مثل الفكر التي تمثله هذه القصة. ولقد صدق المثل القائل: «إنك إذا أهديت جائعاً سمكة أشبعته يوماً، أما إذا علمته الصيد، فقد أشبعته طوال حياته».

6.4. إعادة بناء اليابان في مرحلة ميجي[1]

يُعدّ الإمبراطور (ميجي) بحق رمز النهضة اليابانية الحديثة، فمن هو هذا الإمبراطور؟ وما الأحداث المهمة التي مكّنته من أداء هذا الدور التاريخي في تلك السن المبكرة من حياته؟

(1) Encyclopedia Americana, vol. 18 pp 596 .



1.6.4. الإمبراطور ميجي:

- ولد الأمير (موتسوهيتو) في مدينة (كيوتو) العاصمة القديمة لليابان في الثالث من (نوفمبر) عام 1852م أي قبل أقل من سنة على وصول حملة (الكومودور ماثيو بيري) على رأس الحملة الأمريكية التي أيقظت اليابان من سباتها، ووالده هو الإمبراطور (كومي).
- في 30 (يناير) عام 1867م توفي الإمبراطور (كومي) فخلفه ولي العهد الأمير (موتسوهيتو) وتولى العرش رسمياً في الثالث من (فبراير) من العام نفسه وكان عمره 14 سنة، واختار لحقبة حكمه اسماً هو (ميجي) وتعني الحكم المتنور. وهذا هو العرف المعمول به في اليابان إلى يومنا هذا، إذ يتخذ الأباطرة اسماً لحقب حكمهم، ويبدأ من حينها التاريخ لتلك الحقبة، فمثلاً يؤرخ الحدث الذي وقع في العام الأول بعد تولي الإمبراطور (ميجي واحد) وهكذا تحسب الأعوام.
- بعد تسلّمه العرش أصدر القسم الإمبراطوري، وحدد فيه النقاط الخمس التي هي أسس مشروعه الإصلاحي وهي:

1- إنشاء المجالس التي تتم فيها مناقشة الشؤون العامة من قبل الممثلين بصورة علنية.

2- كل الطبقات يجب أن تتحد في الخدمة الإدارية في مؤسسات الدولة.

3- إزالة جميع شروط الانتماء الطبقي للعمل.

4- إلغاء كل العادات السيئة وإزالة آثارها من المجتمع.

5- طلب العلم من جميع أنحاء العالم والاستفادة من ذلك لتقوية أسس الإمبراطورية.

قد يتبادر إلى الذهن أن المقصود من الفقرة الأولى هو إنشاء نظام ديمقراطي، والحقيقة أن هذه لم تكن واردة في أذهان القادة، ومنهم الإمبراطور، لكن المقصود منها هو إعطاء تطمينات لطبقة الساموراي بأنه سوف يكون لهم دور مستقبلي في إدارة شؤون البلاد[1]. لكن ذلك لم يمنع بعضهم وخصوصاً أولئك الذين هم على دراية بالأنظمة الديمقراطية في أوروبا من أن يفهموها على أنها تسير بهم في ذلك الاتجاه، كما يشير إلى ذلك (شيغرو يوشيدا)[2].

مما سبق يتضح أن الإمبراطور، وإن لم يقم بإلغاء النظام الطبقي إلا أنه خطا الخطوة الأولى في سبيل ذلك، وهي خطوة إلغاء الشروط الطبقية في العمل، وهذه بدورها كانت خطوة كبيرة في الاتجاه الصحيح ومرحلة أولى في طريق إلغاء الطبقية.

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p118.

(2) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), pp. 10-11.



وعـام 1871م تم إلغـاء النظـام الإداري القـديم الذي قسـم اليابان إلى مقاطعات شـبه مسـتقلة واسـتُبدِل به نظـام الإدارات المحلية التابعـة للحكومة المركزية. وفي العام المقبل تم إلغاء النظام الإقطاعي ونظام الطبقات ونظام الساموري، واستُبدِلت بها أنظمة جديدة للتعليم والخدمة العسكرية والخدمة المدنية.

ولم تمضِ مـدة طويلة حتى أخذت إصـلاحات (ميجي) تؤتي بعض ثمارها، فعام 1899م نتيجة لاعتراف الدول الغربية بالوضـع الجديد في اليابان، فقد تم إعادة النظر في الاتفاقيات التي فرضت على اليابان من طرف واحد. ونتيجة الوضـع الجديد بدأت اليابان تتحول تدرجيّاً إلى مصافّ الدول المستعمرة، وكانت أولى الخطوات هـي الحـرب اليابانية – الصـينية عـام 1894–1895م التي هزمت اليابان فيها الصـين، وكان من أوضـح علامات التغيير في الوضـع الدولي لليابان أنها عام 1902م دخلت في حلف مع المملكة المتحدة.

وكانت المفاجأة الكبرى ونقطة التحول الواضـحة في التاريخ الياباني في هـذه المرحلة هي الحرب اليابانية الروسـية عامـي 1904–1905م التي هزمت اليابان فيها روسيا، وفرضت عليها اتفاقية تنازلت بموجبها روسيا عن بعض الأراضي. هذه الحرب جاءت نتيجة التوسع الكبير الذي قامت به الإمبراطورية الروسـية في اتجاه الشـرق وخصوصاً في منشـوريا وكوريا التي تعدّها اليابان من المواقع الحيوية بالنسبة



إليها، ولذلك دخلت في سبيلها الحرب لإبعاد النفوذ الروسي. وكانت النتيجة أن استطاع الجيش الياباني أن يحسم الحرب وخصوصاً بعد معركة (بورت آرثر). لقد كان لهذه الحرب الأثر الكبير في النفسية اليابانية التي بدأت تشعر بالزهو، وأنها استطاعت أن تحقق الحلم الذي راود القادة الذين قاموا بالعملية التصحيحية التي وحدت اليابان قبل أقل من أربعين سنة. إن الانتصار في الحرب اليابانية - الروسية أغرى القيادة اليابانية بالتوسع، فقامت عام 1912م بتوسيع الإمبراطورية اليابانية، وذلك بضم كوريا و(فرموزا أو تايوان) إضافة إلى (منشوريا).

- في 30 (يوليو) عام 1912م توفي الإمبراطور (ميجي) بعد مدة حكم امتدت 45 سنة، وشهدت أكبر وأهم التحولات في تاريخ اليابان التي انتقلت من دولة ضعيفة ممزقة ومسلوبة الإرادة إلى واحدة من الدول العظمى في العالم في مدة قياسية. وخلف الإمبراطور (ميجي) ابنه الأمير (يوشيهيتو) المولود في 31 (أغسطس) عام 1879م الذي حكم باسم (تايشو) التي تعني مدة الحكم البار.

2.6.4. دستور ميجي:

أقر الإمبراطور (ميجي) عام 1889 دستوراً لليابان الذي حول اليابان إلى دولة إمبراطورية دستورية، وذلك على شاكلة النظام السياسي الألماني. والدستور الجديد مكون من مقدمة و55 مادة موزعة على خمسة فصول وخاتمة:

- يحتوي الفصل الأول على سبع مواد منحت الإمبراطور صلاحيات تنفيذية وتشريعية واسعة منها حل البرلمان وتشكيل الحكومة ووضع الموازنة وقيادة القوات المسلحة.
- الفصل الثاني الذي يحتوي على 15 مادة تتعلق بحقوق وواجبات المواطنين، وفصلت حقوق وواجبات المدنيين والعسكريين وكذلك ميزت بين حالات السلم والحرب.
- الفصل الثالث احتوى على 22 مادة تتعلق بالسلطة التشريعية وصلاحيات البرلمان الذي شكل على غرار البرلمان البريطاني بمجلسي النواب والأعيان، وإن كان بصلاحيات أقل بكثير من نظيره البريطاني، حيث افتقدت المواد أي ذكر للبرلمان فيما يتعلق بالإشراف على السلطة التنفيذية. ونصت المواد على أن دورة انعقاد البرلمان مدة ثلاثة أشهر، ويمكن أن ينعقد في دورة غير عادية عندما تقتضي الضرورة.
- الفصل الرابع احتوى على مادتين تتعلقان بتشكيل مجلس الوزراء ومجلس البلاط، ونصت على أن واجب المجلسين تقديم المشورة للإمبراطور الذي له الحق في تعيين الوزراء وإعفائهم، وكما ذكرنا، فإن المادتين لم تتطرقا إلى أي دور إشرافي للبرلمان.
- الفصل الخامس يتكون من خمس مواد تتعلق بالسلطة القضائية، وتنص على تشكيل ثلاثة أنواع من المحاكم المدنية



والجنائيـة والإدارية. وتحتوي الخاتمة علـى أربع مواد تتعلق بتعديل الدستور[1].

3.6.4. نتائج إصلاحات ميجي:

كمـا ذكرنا سـابقاً، فإنه من الخطأ الاعتقاد أن الإصـلاحات التي حدثت في اليابان بعد تنصـيب الإمبراطـور (ميجي) هـي من جهـود الإمبراطور وحـده، ذلـك لأن العملية الإصـلاحية إنما هي ثمرة جهود حركة سياسـية أُسسـت قبل ميـلاد (ميجي) وفي أثناء حكـم والـده الذي شـجع هذه الحركة التـي كانت ترمي إلـى إنهاء حكـم الإقطـاع وتوحيد اليابـان والتصـدي للنفـوذ الأجنبي الذي ابتدأ يفرض شـروطه على حكومـة (توكوغاوا) الضـعيفة. وكانت هـذه الحركة ذات الجذور الكنفوشـية واسـمها (سـوننو جوئاي) كما أسـلفنا قد أعدت برنامجاً إصـلاحيّاً متكاملاً، الغاية منه بناء القوة الذاتية لليابان على أسـس حديثة مـن دون الإخلال بالثوابت الاجتماعية، وذلك للتصدي لمحاولات الهيمنة الغربية، واستطاعت هـذه الحركـة أن تتخذ مـن الإمبراطـور ميجي رمزاً لها. ويشـرح (شـيغرو يوشيدا) وهو رئيس وزراء اليابان وأهم شخصية سياسية في اليابـان في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وواضـع أسـس نهضة اليابان الحديثة هذه المسألة، فيقول:

(1) Walter Wallace McLaren, A Political History of Japan During the Meiji Era, Fran; Kase, London, 1965 193-199.



«في بداية مساعيهم الرامية إلى الإطاحة بحكم الإقطاع اكتسب القادة المؤسسون لمرحلة (ميجي) فهماً دقيقاً للعملية السياسية، وذلك من خلال سفرهم إلى الخارج الذي جعلهم على غاية الإعجاب بالحضارة الغربية والحاجة الماسة لاقتباسها. فعلى سبيل المثال نذكر مثالاً واحداً من أولئك ألا وهو (توشيميتشي أوكوبو) الذي أدّى دوراً أساسيّاً في إصلاحات ميجي وبالتحديد في دائرة تطوير التصنيع. فهو كان قد قضى أربع سنوات في أوروبا، بعد إعادة الصلاحيات للإمبراطور، وكان حينها في أوائل الأربعينيات من عمره. فقد أعجب بالمصانع وسكك الحديد والطرق والقنوات المائية في إنجلترا، ما أدى إلى اعترافه بالهوة الهائلة بين الوضع هناك والأحوال في بلده. إن جهده الكبير الذي بذله في رعاية حركة التصنيع الناشئة في اليابان يعود مباشرة إلى علمه بالأوضاع الخارجية»[1].

إن انقلاب 1867م نفذ بدقة وبسرعة بسبب الإعداد الدقيق الذي سبق التنفيذ من قبل أنصار حركة إعادة الإمبراطور. لقد كانت القوة التي دفعت بالإمبراطور إلى تسلّم مقاليد الأمور مكونة من عدد من الأفراد من مختلف الخلفيات والميول والتوجهات وبعض العسكريين، وكانت الحركة تمثل جهود قرون عدة، وإن

(1) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), pp. 10-11.



كان بعضهم عمل فيها عقدين من الزمن. وكانت الوسائل التي اتخذت لضمان تحقيق الهدف بعضها يعود لرجال عظماء ضحوا بمصالحهم الشخصية في سبيل خدمة أمتهم، وإن كان بعضهم من أصحاب الأهداف الشخصية كبعض رجال الساموراي الذين كان همهم الانتقام أو تحسين أوضاعهم الشخصية[1] ولذلك نرى أنه ما إن استتب الأمر للإمبراطور حتى بدأت وتيرة الإصلاحات تسير بسرعة كبيرة علماً بأن الإمبراطور (ميجي) كان فتى عمره 15 سنة عندما تسلّم السلطة. وفيما يأتي أهم هذه النتائج التي تحققت من خلال العملية الإصلاحية:

1 - بناء مؤسسات الدولة الحديثة:

قام الإمبراطور (ميجي) بإصلاحات جذرية في إعادة بناء الإنسان في اليابان وبناء الدولة الحديثة، وللوصول إلى ذلك حاول ومن حوله الاستفادة قدر الإمكان من التجارب الأوروبية، فعلى سبيل المثال أولى الإمبراطور أهمية كبيرة لكتابة دستور حديث، فشكل لجنة قامت بدراسة دساتير كثير من البلدان الغربية، فدرست دستور الولايات المتحدة، ووجدت أنه متحرر أكثر مما يلائم اليابان، وأن فيه تركيزاً كبيراً على الحريات، وقامت

(1) Walter Wallace McLaren, A Political History of Japan During the Meiji Era, Fran; Kase, London, 1965 15.

بدراسة دستور المملكة المتحدة، ورأت أنه يعطي صلاحيات واسعة للبرلمان على حساب الإمبراطور، وكذلك درست اللجنة دساتير فرنسا وإسبانيا، وخلصت إلى نتائج مماثلة، ولكن اللجنة وجدت ضالتها في الدستور الإمبراطوري الألماني خصوصاً فيما يتعلق بدور الإمبراطور وصلاحياته. ومن أهم ما جاء به الدستور بناء البرلمان الذي أخذ شكل البرلمان البريطاني بمجلسيه.

إضافة إلى ذلك أنشئت مؤسسات مهمة للعملية الديمقراطية، مثل الصحافة التي كانت بدايتها مع بداية إصلاحات (ميجي) فعلى سبيل المثال ظهرت الصحيفة اليومية الأولى في اليابان واسمها (يكوهاما مينيتشي) عام 1870 لتتبعها بداية إحدى الصحف التي شكلت فيما بعد صحيفة (ماينيتشي شمبن) عام 1872 وبعد ذلك بعامين أُسّست صحيفة (اليوميوري شمبن) ثم (الأساهي شمبن) عام 1879م.

2- التصنيع والتعليم:

وضعت الحكومة اليابانية في عهد (ميجي) خطة متكاملة للانتقال باليابان من بلد زرعي إلى بلد صناعي، وكان ذلك القرار قد اتخذ على حقيقة أن اليابان لا يمكن أن تكون بلداً زراعيّاً؛ وذلك لأن مساحة الأرض القابلة للزراعة في اليابان لا تتجاوز 15% من مجمل الأراضي، حيث إن معظم الأرض في اليابان عبارة عن جبال



صخرية وعرة. ولتحقيق هذا الهدف وضعت حكومة (ميجي) خطة متكاملة قامت فيها باختيار الآلاف من صفوة الطلبة اليابانيين، وقامت بإرسالهم في بعثات إلى الولايات المتحدة والدول الأوروبية والدراسة فيها ونقل الخبرات العلمية والتكنولوجية والحرص على ألا يصبح هؤلاء سفراء للثقافة والفكر الغربي، ولذلك قامت باختيار الطلبة المتشبعين بالتعاليم التراثية والدينية والفلسفية اليابانية. إضافة إلى ذلك قامت الحكومة اليابانية باستقدام نحو ثلاثة آلاف أستاذ جامعي ومهندس وخبير، ووزعتهم على مختلف المراكز التي اختيرت بوصفها مراكز للتصنيع والدراسة، وذلك لتعليم اليابانيين العلوم والرياضيات واللغات وأسس الصناعة والمكننة. وإن الحكومة قامت بتوفير الحوافز التي ساعدت على انتشار التصنيع، فأنشأت المصانع الكبيرة التي قامت بإعطائها إلى الإقطاعيين وأعضاء طبقة الساموراي القدماء، وذلك لتحويلهم إلى صناعيين جدد والاستفادة من قدراتهم الفنية والإدارية التي اكتسبوها من خلال تدريبهم.

أدرك القادة اليابانيون الجدد أهمية التعليم وضرورة تطوير نظام تعليمي بوصفه جزءاً مهمّاً ومكملاً لبناء الدولة الحديثة، فسارعوا إلى إنشاء وزارة التعليم عام 1871م التي اتخذت لنفسها برنامجاً طموحاً لنشر التعليم لعامة الناس، وجعلت مسؤولية التعليم من مهمات الدولة، فأنهت المدارس الدينية (التراكويا) وحلّت

محلها المدارس الحكومية العامة، وجعلت التعليم الأساسي إلزامياً على السكان مدة ست سنوات، وتبنت في البداية نموذج التعليم الفرنسي، وتحولت عنه إلى النظام الألماني. أثبتت هذه الخطوات نجاحاً كبيراً، وارتفعت نسبة الطلبة المسجلين في المدارس من نحو 40% عام 1870م إلى 90% مع حلول عام 1900م وهذه تشكل ارتفاعاً عالياً في مدة قياسية جداً ومع حلول 1907م أصبح التعليم متوافراً لكل أطفال اليابان[1].

ولم يقتصر ذلك على التعليم الأولي بل تعداه إلى التعليم الثانوي والعالي، وإن كان في البداية حكراً على الذكور دون الإناث، فأنشئت جامعة طوكيو عام 1877م وجامعة (واسيدا) عام 1882م وتم تحويل (كييو) من مدرسة خاصة إلى جامعة في 1890م، كما سنروي في الفقرة الآتية.

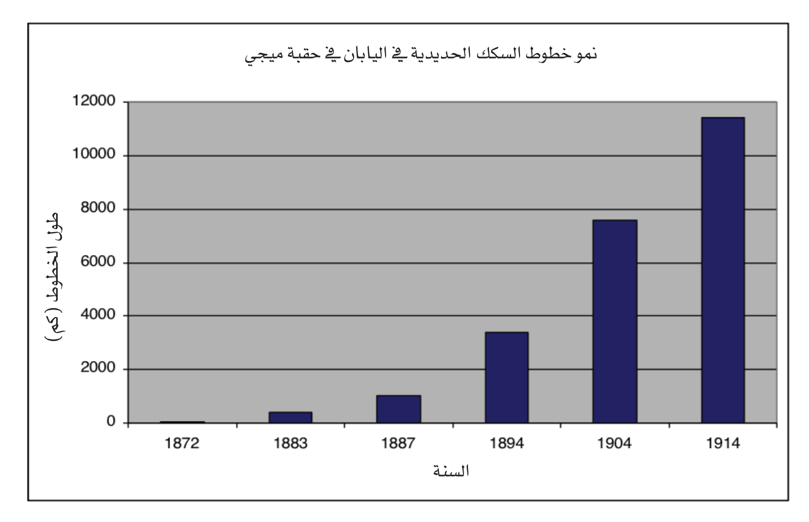
لقد كان قرار حكومة (ميجي) جعل التعليم في اليابان حكراً على الدولة عاملاً مهمّاً في إبعاد كثير من المؤثرات الخارجية السلبية وخصوصاً المؤسسة الدينية والأرستقراطية كما كانت عليه الحال في أوروبا، فأصبح النظام التعليمي في اليابان أكثر حرية وتقدماً عن مثيلاته في أوروبا[2].

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p107.

(2) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p107.



مما لاشك فيه أن أحد العوامل المهمة في نهضة التصنيع هو توافر شبكة متكاملة من المواصلات البرية والبحرية التي تقوم بنقل المواد الأولية من أماكن وجودها إلى المصانع ونقل المواد المصنعة من المعامل إلى المستهلكين، وهذه الحاجة أكبر منها في اليابان من غيرها؛ وذلك لقلة الموارد الأولية في اليابان مقارنة بغيرها من الدول الصناعية. والرسم البياني أدناه يوضح النمو الكبير في مد خطوط السكك الحديدية في اليابان في عهد (ميجي):

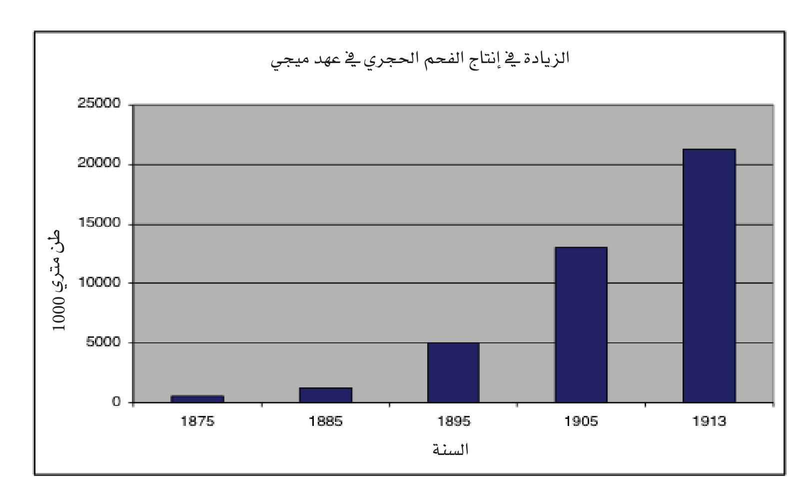


الشكل **1-4** رسم بياني يوضح النمو السريع في شبكة خطوط السكك الحديدية في اليابان بعد إصلاحات (ميجي).

ومع نمو شبكة المواصلات البرية والبحرية ازدادت الحاجة إلى الوقود، ولذلك كان العامل الأول الذي يدل على التصنيع هو استهلاك الطاقة، حيث شهدت اليابان نمواً كبيراً في إنتاج الفحم



الحجـري الذي يُعدّ المادة الأساسـية في اسـتهلاك الطاقة في ذلك الوقت، كما هو مبين في الرسم البياني:



الشكل 4-2 زيادة إنتاج الفحم

3- التصنيع العسكري ونمو المؤسسة العسكرية

وضـعت الحكومـة اليابانيـة في عهد (ميجي) خطـة طموحة لبناء الجيش والتصـنيع الحربي الغاية منهـا الارتقاء باليابان إلى المكانـة التـي تمكنها مـن أن تدفع عن نفسـها الضـغوط الأجنبية، وتنهـي إلى الأبد المرحلة التي اسـتطاعت بها الـدول الغربية فرض إرادتهـا على اليابان التـي لم تجد بدّاً من القبـول بتلك المعاهدات المجحفة في حقها التي فرضت عليها بقوة المدافع. سارعت الحكومة عام 1873م إلى حل النظام العسكري القديم (الساموراي) وأبدلت



بـه نظاماً جديداً مقتبسـاً مـن الـدول الأوروبية. فقامت بتشـريع الخدمـة الإلزامية، وعملت على بنـاء الجيش على النموذج الألماني (البروسـي) وبناء القـوة البحرية على النمـوذج البريطاني. وكان من نتيجة تنامي القوة العسكرية اليابانية ما يأتي:

أ- الحرب الصينية اليابانية

ازدادت ثقة اليابان في نفسها وفي الوقت نفسه ازدادت حاجتها إلى الأسـواق والموارد الأولية فوجدت نفسـها وجهاً لوجه في منافسة مع كثير مـن القوى ذات الهيمنة الإقليميـة والعالمية، وكان أول هذه القوى الإمبراطورية الصينية التي استطاعت أن تبسط نفوذها على منشـوريا وشبه الجزيرة الكورية التي تعدّها اليابان في ذلك الزمان وربمـا إلى الآن خنجراً موجهاً إلى صـدرها. قامت القوات اليابانية بإعلان الحرب على الصـين عام 1894م، واسـتطاعت هذه القوات أن تهزم الصـين، وأن تفرض عليها عام 1895م الاستسلام والقبول بشروطها لإيقاف الحرب التي اقتضت أن تتنازل الصين لليابان عن كوريا ومنشـوريا وجزيرة فرموزا (تايـوان) وأن تفتح موانيها أمام السفن اليابانية، وأن تدفع فوق ذلك كله غرامات حرب لليابان.

ب- الحرب اليابانية الروسية

خرجـت اليابـان من حربها على الصـين، وقـد ذاقت حلاوة النصـر، وهي أكثر ثقة بنفسها من السـابق؛ وفي الوقت نفسه ظهر

منافس إقليمي آخر يطمع في ملء الفراغ الذي تركته الصين باندحارها أمام اليابان. وذلك المنافس هو روسيا القيصرية التي أصبحت في حاجة ماسة إلى الوصول إلى المياه الدافئة جنوباً، ذلك أن الميناء البحري الجديد الذي دشنته في (فلاديفوستوك) لا يصلح للملاحة في موسم الشتاء، ولذلك اتجهت صوب ميناء (بورت آرثر) في منشوريا، وبذلك تكون قد وصلت إلى نقطة الصدام مع المصالح اليابانية في المنطقة.

فشلت الجهود للوصول إلى حل عن طريق التفاوض وفي (فبراير) عام 1904 أعلنت اليابان الحرب على الإمبراطورية الروسية، ولكن الأسطول الياباني فاجأ الأسطول الروسي في (بورت آرثر) بهجوم مفاجئ بساعات قبل إعلان الحرب، وألحق به خسائر فادحة لم يستطع بعدها الأسطول الروسي الذي أفقدته الهجمة اليابانية المفاجئة توازنه استرجاع زمام المبادرة، واضطرت الصين بعد خسارة معارك عدة أخرى إلى القبول بمبادرة السلام الأمريكية، خصوصاً أن الضغوط الداخلية أخذت في التزايد؛ وذلك لأن أحداً لا في داخل روسيا ولا في خارجها كان يتوقع أن تهزم روسيا صاحبة الخبرة الكبيرة في الحروب البحرية أمام اليابان وقواتها الحديثة. وكانت نتيجة المفاوضات اتفاقية (بورتسموث) التي تنازلت بموجبها روسيا عن نصف جزيرة ساخالين لليابان، ولم تسترد سيطرتها على المنطقة حتى عام 1952 وذلك بموجب



اتفاقية سان فرانسيسكو، وكذلك حصلت اليابان على حق إيجار ميناء (بورت آرثر) مدة 25 سنة. كان الانتصار الياباني غير المتوقع كبيراً، حيث إنها المرة الأولى في العصر الحديث التي تنتصر فيها قوة آسيوية على قوة أوروبية عظمى، وأحدث تغييراً في موازين القوى العالمية، وأصبحت اليابان بمقتضاه من القوى العالمية التي يحسب لها حساب. وإن هذه الانتصارات مكّنت المؤسسة العسكرية من الإمساك بزمام الأمور داخليّاً وإحكام قبضتها على العملية السياسية.

مما تقدم يمكن أن نخلص إلى القول: إن مرحلة (ميجي) كانت مرحلة البناء الحقيقي لليابان بوصفها دولة حديثة، واستطاعت في مدة قياسية أن تنتقل باليابان من دولة إقطاعية ضعيفة وممزقة ومهددة من قبل الدول الكبرى حينذاك إلى دولة عصرية قوية ومن عداد الدول الكبرى، بل تهزم عسكريّاً بعض هذه الدول، روسيا وبعد ذلك ألمانيا. وقد تمت عملية البناء هذه على أسس متينة تمثلت في الاستفادة من تجارب الآخرين، وخصوصاً الدول الأوروبية وأمريكا وكذلك البناء على الموروث. يقول يوشيدا:

«إن تقدم الأمة في مرحلة ميجي كان ممكناً بسبب استناده إلى أساس قوي من الموروث التاريخي. فعلى سبيل المثال، فإن صفات الجدية في العمل والتقشف إنما هي صفات مأخوذة من التراث

الكونفوشي. وكذلك، فكون اليابان كانت بلداً موحداً، ويستخدم لغة واحدة كان عاملاً على القدر نفسه من الأهمية في إخراج اليابان الحديث المتطور إلى حيز الوجود»[1].

4.6.4. بعض قادة التغيير في مرحلة ميجي

كما ذكرنا، فإن الحركة التغييرية التي جاءت بالإمبراطور (ميجي) قام عليها رجال آمنوا بأهمية العمل من أجل رفعة وطنهم، وكان أغلبهم من طبقة الساموراي التي وفرت لهم التدريب النفسي والعقلي والفكري من أجل قيادة الأمة والانتقال بها هذه النقلة الكبيرة، وفي هذه العجالة نذكر سيرة بعض أولئك القادة على سبيل المثال؛ ذلك لأن عددهم كبير، وربما يضيق عن ذكر سيرتهم المجال، فنكتفي بذكر سيرة ثلاثة منهم، وهم:

أ. الأمير إيتو

يُعدّ الأمير (إيتو) من أهم القادة اليابانيين الذين أدّوا الدور المميز في إعادة بناء اليابان في حقبة حكم (ميجي) والذين كان لهم الأثر الواضح في تشكيل البنية الأساسية في اليابان الجديد. ولد عام 1841 في عائلة من الساموراي في مقاطعة (تشوشو) الواقعة في غرب اليابان. عام 1863 أرسل مع أربعة من أقرانه من المقاطعة

(1) Shigeru Yoshida, Japan's Decisive Century 1867-1967, Praeger, New York (1967), p 17.



إلـى بريطانيـا للدراسـة في جامعـة لندن تحت إشـراف الأسـتاذ (الكسـندر وليامسـون) في وقت كان الاتصال بالغرب، ناهيك على السـفر للدراسـة، من أكبر المحرمات في زمن حكم الإقطاع. تركت الرحلة الدراسـية في نفس (إيتو) أكبر الأثر، وأقنعته بأهمية إعادة بناء الأنظمة في اليابان على أسـس حديثة والاسـتفادة من التجربة الأوروبية المتقدمة في مختلف المجالات. في العام اللاحق عاد السيد (إيتـو) ليعمـل في المقاطعة، ثـم انتقل منهـا إلى طوكيـو للعمل في الخارجية. عام 1871 أرسـل للعمل مع بعثة (إيواكورا) الدبلوماسية التي كانت من أهم البعثات التي أرسلتها اليابان إلى الغرب.

في أثنـاء تلـك الرحلـة نال (إيتـو) إعجـاب السـيد (أوكوبو توشيميتشـي) وهو من أقرب المقربين إلى الإمبراطور وأحد النبلاء الثلاثـة الذين وضـعوا ونفذوا خطة توحيد اليابان وإعادة السـلطة للإمبراطور بوصـفها الرد الوحيد على التحديات الغربية. عاد إلى أوروبا ثانية عام 1882 في رحلة هدفها دراسـة الدسـاتير الأوروبية وملاءمتها للبيئة اليابانية، وهو الذي قرر أن الدستور المعمول به في بروسـيا هو الأكثر ملاءمة لليابان؛ لأنه خلافاً للدسـتور البريطاني الذي يمنح الملك سـلطات رمزية، فإنه يمنح الإمبراطور صلاحيات واسـعة في الإشـراف على عمل السـلطتين التنفيذية والتشـريعية. ولذلـك كلف بوضـع مسـودة الدسـتور الياباني والقانـون الخاص

بالقصـــر الإمبراطوري ونظام الوراثة، إضافة إلى وضع نظام عمل الحكومة وشكلها ومسؤولياتها.

يقول في شرح مهمته في حديث له مع الرحالة المسلم عبد الرشيد إبراهيـم الذي التقاه عام 1907م: «أما أنـا فذهبت إلى أوروبا على رأس وفد لدراسـة دساتيرها. كنا خمسـة، درسنا أصول الحكم في الدول الأوروبية صـغيرها وكبيرها، عرفنا محاسنها ومساوئها، ثم عملنا على ترجمتها إلى اللغة اليابانية ونشرها. كانت مهمتي صعبة جـدّاً. قـال لي الإمبراطور: إن حيـاة البلاد هي في هذا الدسـتور، يجـب ألا يكون مجرد تقليـد للأوروبيين، بل يجـب أن يكون موافقاً لطبيعـة الأمة وأخلاقها، فكل المسـؤولية تقع عليك، إن حياة البلاد أمانة في ضميرك، ستكون مسؤولاً عن كل شيء... استغرقت جولتي في أوروبا ثلاث سنوات كاملة وبعد عودتي عملت مدة خمس سنوات علـى تنظيمها وتنسـيقها، ثـم كلفت عشـرة من الرجـال بالتجول داخل البلاد لشرح أصول الانتخاب ولتقديم التجربة الفعلية لعملية الانتخـاب، فتجول هؤلاء في الولايات والمدن، وجندوا بدورهم رجالاً تجولوا في القرى، وبذلت جهود كبيرة في هذا المجال.

ومـن جهة أخرى أرسـلنا نحو مئتـي طالب إلى بلـدان العالم المختلفة بعد أن طلبنا منهم أن يعمل كل عشرين طالباً في اختصاص معين وكسـب الخـبرة العملية في مجـال الاختصـاص. عملنا بهذه



الصـورة. لا بـد أن يكون العمل شـاقّاً، ولكن النتيجة أسـفرت عن نجـاح باهر»[1]، من أجل ذلك، فلا غـرو أن يكلفه الإمبراطور عام 1885 برئاسـة الـوزارة اليابانية الأولى. لم تكن تلـك المرة الأخيرة التي يشـكل فيها الأمير إيتو الحكومة، بل هي الأولى من أربع مرات في السنوات 1892 و1898 وأخيراً عام 1900.

كان الأمـير (إيتو) يطمح لإيجاد حل لمشـكلة قلة مسـاحة الأرض في اليابـان ونقص المـوارد الطبيعية، ولذلك وجد أن الحـل الوحيد هو بالتوسع في اتجاه شبه الجزيرة الكورية والصين. وعام 1905 عين حاكماً لكوريا وعام 1908 اغتيل في الصين من قبل أحد المعارضين الكوريين.

ب- شيغنوبو أوكوما مؤسس جامعة واسيدا

إن قصـة الأمير (إيتو) ليسـت الوحيدة في اليابان، بل هناك العشـرات، لا بـل المئات مـن أمثالها عن قـادة التحـول الياباني أو النقلـة الثقافيـة اليابانية التي قادهـا جيل من أبناء السـاموراي، وللتدليـل على ذلك نأخذ المثـال الثاني من حياة السـيد (أوكوما) مؤسس جامعة (واسيدا)، فمن هو، وكيف أسس الجامعة؟

ولد (شيغنوبو أوكوما) عام 1838 الابن الأكبر لإحدى عائلات السـاموراي، وكأي مـن أقرانه من أبناء السـاموراي، فقد درس في

(1) العالم الإسلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرحات وكمال خوجة، دار القبلة، ٢٠١١، الجزء الأول، ص 314.



المدرسة الخاصة بأبناء الساموراي في تلك الإقطاعية، لكنه لم يتقبل جميع التعليمات التي كان يجب أن يتعلمها، ولذلك فقد طرد من المدرسة. وكانت تلك منحة مغلفة بمحنة، كما تقول الحكمة اليابانية، حيث قادته أقداره إلى إحدى المدارس الأوروبية التي افتتحها المنصرون في مدينة (ناكازاكي). وهناك اكتسب خبرة كبيرة، وإن لم يكن يدرك أهميتها بعد، في وسائل التعامل مع الأوروبيين. وأدرك أهمية التعرف إلى وسائل التخاطب مع الغربيين بوصفها وسيلة مهمة لنقل خبرتهم التي تحتاج إليها اليابان في بناء نفسها، ولذلك قام بفتح مدرسة لتعليم اللغة الإنجليزية في (ناكازاكي). لكن خبرته في هذا المجال حان وقتها مع وصول الإمبراطور (ميجي) إلى الحكم، حيث انتقل إلى طوكيو للعمل في وزارة الخارجية.

ولم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت قدرات (أوكوما) في التعامل مع الغربيين، وذلك في أثناء المفاوضات التي أجرتها اليابان مع بريطانيا ممثلة في وزير خارجيتها (السير هاري سميث)، ما أكسب (أوكوما) خبرة كبيرة بوصفه أحد القادة المتنورين في ثورة (ميجي). تنقل (أوكوما) بعدها بين وزارتي الخارجية والمالية ليتولى وزارة المالية عام 1873م وليصبح العقل المدبر وراء بناء القطاع المالي الياباني، حيث وضع النظم الأساسية التي قام عليها



الاقتصـاد الياباني، ومن أهمها وضع نظام العملة اليابانية (الين) ووضـع أنظمـة البنوك والمصـارف، ووضـع نظام الموازنـة وأنظمة الضـرائب والبريـد، وغيرهـا من الأنظمة الأساسـية التي شـكلت البنيـة التحتية للنهضـة الاقتصـادية اليابانيـة. وكان من الخبراء الدسـتوريين في اليابـان، حيـث تخصـص في النظـام الدسـتوري البريطاني، ودعا إلى تطبيقه في اليابان، وهي القضية التي أكسبته عـداوة كثير من السياسـيين، ومن أهمهم (إيتو) الذي كان رئيسـاً للـوزراء، الذين كانـوا يميلون إلى النظـام الإمبراطوري المعمول به في بروسـيا آنذاك، ولذلك أسـس الحزب التقدمي الدستوري عام 1882 الذي يدعو إلى تلك الأفكار. وفي السـنة نفسـها أسـس السيد (أكومـو) كلية في منطقة (واسـيدا) في طوكيو، وهي التي صـارت تعرف فيما بعد بجامعة (واسـيدا). وعلـى الرغم من خلافاته مع رئيس الوزراء (إيتو) إلا أنه أصـبح وزيراً للخارجية في أربع وزارات في الأعوام 1888، 1886، 1896، 1915، وأصـبح رئيساً للوزراء مرتين عام 1998 في حقبة حكم ميجي وعام 1914 في حقبة حكم الإمبراطور (تايشو). توفي (أوكومو) عام 1916.

أما قصـة تأسـيس الجامعة، فنذكرها هنا كما رواها بنفسه للرحالة المسـلم عبدالرشيد إبراهيم عند زيارة الأخير له في منزله في طوكيو عام 1907: «لي مؤسسـة تعليمية أسسـتها بنفسي يدرس بالقسـم الجامعي منها خمسـة آلاف طالب. وفي القسـم الإعدادي

ثلاثة آلاف، والمجموع ثمانية آلاف، فيهم من الطلبة الصينيين،...
إن هدفي من إنشاء هذه المؤسسة هو تربية العنصرين (الصينيين واليابانيين) في مدرسة واحدة لجلب التآلف بينهما. وكانت المؤسسة في أول افتتاحها لا تسع سوى مئة وخمسين طالباً، أما الآن فقد وصل العدد إلى ثمانية آلاف. وقبل ثلاث سنوات افتتحت قسماً خاصّاً بالبنات. فإذا وفقنا في مسعانا، فإننا سنوحد هذين القسمين»[1].

ج- السيد فوكوزاوا مؤسس جامعة كييو

أما المثال الثالث والأخير فهو السيد (يوكيتشي فوكوزاوا) الذي كان له الدور الريادي في إصلاح النظام التعليمي في اليابان وإحداث تغييرات جذرية في نظام التعليم، فمن السيد (فوكوزاوا)؟

- ولد السيد (فوكوزاوا) لعائلة فقيرة من عائلات الساموراي في مدينة (أوساكا) عام 1835م. وتوفي والده في صغره، فأصبح تحت رعاية أخيه الأكبر الذي وجهه لدراسة الفلسفة الصينية والكونفوشية.
- عام 1854م وصلت سفن البحرية الأمريكية بقيادة (الكومودور بيري) التي منحت اليابان مهلة سنة لفتح موانيها أمام السفن الأمريكية. فكرت القيادة آنذاك في وسائل تمكنها من

(1) العالم الإسلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرحات وكمال خوجة، دار القبلة، ٢٠١١، الجزء الأول، ص٢٣٤-٢٣٥.



الصمود أمام الضغوط الأمريكية، ولذلك أمر الشقيق الكبير لـ(فوكوزاوا) أخاه الأصغر بالسفر إلى مدينة (نكازاكي) لتعلم اللغة الهولندية وصناعة المدافع من الهولنديين في جزيرة (ديجيما الهولندية)، وبالفعل سافر إلى هناك، لكن لم يطل به المقام، فعاد أدراجه إلى مدينة (أدو).

- عندما قامت اليابان بفتح ثلاثة من موانيها أمام السفن الغربية في العام المقبل، قرر السفر إلى أحد هذه المواني، وتعلم اللغة الهولندية. وبالفعل، فقد اختار ميناء (كاناغاوا) وحط فيه رحاله، وسرعان ما اكتشف أن التجار الغربيين لا يتكلمون الهولندية، بل الإنجليزية، ولذلك عزم على تعلم هذه اللغة.
- سنحت له فرصة نادرة، عندما أرسلت حكومة الإقطاع (توكوغاوا) بعثة دبلوماسية إلى الولايات المتحدة، فقرر التطوع لمصاحبتها، وبالفعل فقد وصل إلى سان فرانسيسكو عام 1860 ومكث فيها شهراً انكب فيه على تعلم اللغة الإنجليزية، وحصل من هناك على نسخة من قاموس (وبستر) الإنجليزي الذي وجد فيه ضالته، فتفرغ لتعلمه.
- عاد إلى اليابان في السنة نفسها، وعينته حكومة (توكوغاوا) مترجماً رسميّاً للغة الإنجليزية، وفي العام نفسه أصدر كتابه الأول الذي هو عبارة عن قاموس إنجليزي-ياباني.



- سـافر إلى أوروبا عام 1862م مع البعثة الدبلوماسية اليابانية إلى أوروبا، ومكث معها سـنة دوّن فيها الكثير من المشاهدات والملاحظـات حول الحيـاة الغربية ليعود بعدهـا إلى اليابان، ويبدأ إصـدار سلسـلة من الكتب عنوانها (الأشياء الغربية) صدر منها عشرة مجلدات.
- أصبح الخبير الأول في اليابان عن الغرب، وأدرك أهمية توعية الشـعب اليابـاني بطبيعـة الغرب ووسـائله والاسـتفادة مما عندهـم من علوم ومعارف، من أجـل ذلك جعل هدف حياته تثقيف الشعب الياباني بالعادات وأساليب التعامل الغربية.
- عام 1868 غيّر اسـم المعهد اللغوي الذي افتتحه لتدريس اللغة الهولنديـة إلـى مدرسـة (كييو) للدراسـات الغربيـة. وعام 1890م تحول المعهد إلى جامعة (كييو).
- تُعـدّ جامعة (كييو) مـن أقدم الجامعـات وأرقاها في اليابان اليوم، وفيهـا أكثر من ثلاثين ألف طالـب وطالبة في مختلف نواحي العلوم. وقد تخرج فيها كثير من كبار المسـؤولين منهم رؤساء وزراء، مثل (هاشيموتو) و(كوئيزومي).
- عـام 1886م ألقى السـيد (فوكوزاوا) خطبته المشـهورة التي شـرح فيهـا نظرتـه للتعليم والتي هـي رسـالة الجامعة: «لن أكتفـي بجعل (كييو) مدرسـة للتعليم فقط، وإنمـا أطمح أن



أجعل منها منصــة لبناء الشخصــية النبيلة، ونموذجاً للفكر والأخلاق لجميع الشعب الياباني»[1].

- من أقواله المشــهورة التي تعكســ إيمانه القوي بأهمية التعليم في بناء الإنســان: «يقولون: إن السماء لا تخلق إنساناً أعلى أو أقل شــأناً من إنســان آخر، وأي فروق نشــاهدها بين الحكيم والغبي، الغني والفقير إنما تعود إلى شيء واحد، وهو التعليم».
- توفي عام 1891م، وصورته تزين ورقة العشرة آلاف ين.



الشكل **3.4** عملة العشرة آلاف ين على صدرها صورة السيد (فوكوزاوا).

5.6.4. اليابان بين الحربين العالميتين

1.5.6.4. حقبة تايشو وازدهار الديمقراطية

- انتهــت حقبة (ميجي) بوفــاة الإمبراطــور في 30 (يوليو) 1912م، وابتــدأت حقبــة جديدة بتســلّم ولي عهــده الأمير (يوشــيهيتو)

(1) www.keio.ac.jp.

المولود في 31 (أغسطس) 1879 الحكم، واختار الاسم (تايشو) لحقبة حكمه.

- أصيب الأمير في طفولته بمرض السحايا التي تركت آثارها على الإمبراطور، وحدّت من قدراته الفكرية لدرجة أنه لم يتمكن من إكمال الدراسة في المدارس؛ ولذلك كان تعليمه عن طريق المدرسين الخصوصيين في القصر الإمبراطوري، ولأنه كان مولعاً بتعلم اللغات، فقد تعلم الفرنسية والصينية. وقد أثرت حالته الصحية في حياته، فكان يميل إلى العزلة والانطواء إلا في حالات الضرورة.
- ولد للإمبراطور أربعة أولاد أكبرهم ولي العهد (هيروهيتو) وأصغرهم الأمير (ميكاسا)[1].

امتازت حقبة حكم (تايشو) بحدثين كبيرين، هما: الحرب العالمية الأولى وزلزال (كانتو) الكبير.

أ- الحرب العالمية الأولى:

عام 1914 بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى في أوروبا، وما لبثت بريطانيا أن طلبت من حليفتها اليابان التي ترتبط معها

(1) ولد الأمير (ميكاسا) عام 1915 وهو أستاذ التاريخ المعروف والرئيس الأسبق لجمعية التاريخ اليابانية الذي زار العراق مرتين الأولى عام 1956 ونزل ضيفاً على الأمير عبدالإله مدة زادت على العشرين يوماً، ودشن فيها أول بعثة آثار يابانية إلى العراق، والثانية عام 1978م التي نزل فيها ضيفاً على نائب رئيس الجمهورية طه محيي الدين معروف.



باتفاقية الدفاع المشترك عام 1902م التي جعلت اليابان في موقع المسؤولية عن جنوب شرق آسيا بالنسبة إلى المملكة المتحدة أن تساعدها على إنهاء الوجود الألماني من المنطقة. ومن الجدير بالذكر هنا أن ألمانيا كانت كغيرها من الدول الكبرى ذلك الوقت استغلت حالة الضعف والتمزق في الصين لتفرض عليها معاهدات، وتحصل منها على تنازلات إستراتيجية واقتصادية كبيرة. فعلى سبيل المثال فرضت ألمانيا على الصين التنازل عن خليج (كياو جاو) الإستراتيجي وميناءه المهم (تسنغ تاو) وألمانيا فرضت على اليابان التنازل عن ميناء (بورت آرثر) لمصلحة روسيا. ولذلك لم تنسَ اليابان ذلك، فسارعت بعد اندلاع الحرب في أوروبا إلى أن تقدمت لألمانيا بإنذار في 15 (أغسطس) 1914م منحت بموجبه ألمانيا مهلة محددة لعمل ما يأتي:

- الانسحاب الفوري من المياه الصينية واليابانية.
- تسليم منطقة (تسنغ تاو) فوراً إلى اليابان وإعادتها إلى السيادة الصينية في موعد لا يتجاوز 15 سبتمر.

بطبيعة الحال لم تأبه ألمانيا بالتهديدات اليابانية، ولم تكلف نفسها عناء الرد عليها، فأعلنت اليابان الحرب على ألمانيا، وهاجمت أسطولها، واستطاعت أن تنهي الوجود الألماني، وتفرض سيطرتها على منشوريا ومنغوليا. وعام 1917م توسعت منطقة



عمليات البحرية اليابانية في مساعدة البحرية البريطانية لتشمل منطقة (كيب تاون) في جنوب إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. وعندما عقد مؤتمر السلام في (فرساي) شاركت اليابان مع الأطراف الرئيسة: بريطانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا وإيطاليا. تقدمت اليابان في المؤتمر بمقترح لإضافة فقرة تضمن المساواة بين الأعراق، لكن المقترح جُوبه بمعارضة من الولايات المتحدة وغيرها؛ ولذلك لم يعتمد.

خرجت اليابان من الحرب مع المعسكر المنتصر، وأخذت مكانتها بين الدول الكبرى. وكانت المكاسب الكبيرة التي جنتها اليابان من الحرب، على الرغم من أن مشاركتها الفعلية ليست بالكبيرة، ولم تكن تقارن بأي حال بأدوار الدول الأوروبية التي تحملت العبء الأكبر من الحرب، إلا أن ذلك لم يمنع اليابان من الجلوس مع المشاركين الكبار، وذلك لم يمنع المؤسسة العسكرية من تجيير النصر العسكري لمصلحتها في المعترك السياسي الداخلي الذي نشأ نتيجة للفراغ الذي تركته وفاة الإمبراطور (ميجي) وصعود ابنه الإمبراطور (تايشو) الضعيف. ذلك أن وفاة الإمبراطور (ميجي) تركت آثاراً بعيدة على نمط إدارة الدولة، وأدت إلى نشوء صراع بين مراكز القوى الكثيرة وعلى رأسها البرلمان الياباني والجهاز البيروقراطي الذي كان بنفسه منقسماً إلى مراكز قوى، وكذلك



الجيش والمؤسسة العسكرية. وإضافة إلى ذلك، فكون المساهمة اليابانية في الحرب كانت محدودة جعلت آثارها على نمو الاقتصاد الياباني محدودة، فكان النمو الاقتصادي محدوداً مدة قصيرة جدّاً. وكأن المشكلات السياسية والاقتصادية القائمة آنذاك لم تكن كافية، فقد حلّت باليابان كارثة طبيعية لم تكن في الحسبان.

ب- زلزال كانتو الكبير:

كما ذكرنا في الفصل الأول، فإن الأرخبيل الياباني يقع على تقاطع الألواح القارية، بل إن هذه الجزر الكثيرة التي تشكل الأرخبيل ما هي إلا نتاج كثير من الفعاليات الزلزالية على مر الملايين من السنين. إذن، فإن الزلازل أمر طبيعي في حياة الإنسان في اليابان، إذ تتعرض الجزر اليابانية إلى ما يقارب عشرة آلاف زلزال في السنة منها الضعيف الذي تتحسس به أجهزة الأرصاد فقط وأخرى تكون من القوة وفي موقع يحدث أضراراً في النفوس والممتلكات. ولعل من أشهر الزلازل التي ضربت اليابان في تاريخها كان زلزال (كانتو) ففي الأول من (سبتمبر) 1923م وقبل دقيقتين من وقت الظهيرة ضرب الجزيرة الكبيرة (هونشو) زلزال عظيم (قدر فيما بعد بأنه كان بقوة تراوحت بين 7,9 -8,4 على مقياس ريختر). دمر الزلزال مدينتي (طوكيو) و(يوكوهاما) وكذلك المحافظات المجاورة، وهي (تشيبا) و(كاناغاوا) و(شيزوكا).



ولقد بلغت أعداد ضحايا الزلزال الذي يُعدّ أكبر كارثة طبيعية في القرن العشرين نحو 140 ألف قتيل، وتسبب في تدمير كامل لأعداد لا تحصى من المباني والمرافق العامة. وكان ما زاد في الطين بلة الحرائق التي نشبت بسبب الزلزال الذي ضرب المدينة عند الظهيرة في الوقت الذي يقوم فيه كثير بطبخ وجبة الغداء، وما ساعد على انتشار النيران أن المنطقة كانت تحت تأثير رياح إعصار كبير ساعد على سرعة انتقال النيران التي كانت السبب الأول في ارتفاع أعداد الضحايا إلى تلك الأعداد الكبيرة.

2.5.6.4. حقبة شوا وصعود العسكر:

تُعدّ حقبة حكم الإمبراطور (شوا) من أهم الحقب في تاريخ اليابان الحديث، ذلك أننا إذا اعتبرنا حقبة الإقطاع بمنزلة مرحلة التأسيس، وحقبة (ميجي) مرحلة البناء الحقيقي لليابان، فإن الجزء الأول من حقبة (شوا) التي امتدت بين عامي 1921م عندما صار (هيروهيتو) وصيّاً على العرش ونهاية الحرب العالمية الثانية، حقبة الصعود الكبير للقوة العسكرية التي أدت إلى دمار اليابان وتخريب كل ما تم بناؤه في تلك العقود الطويلة في سنين قصيرة. فمن الإمبراطور (شوا)؟:

- ولد الأمير (هيروهيتو) في 29 (إبريل) عام 1901 وهو الابن الأكبر للإمبراطور (تايشو).



- بعد إنهائه الدراسة الجامعية والدراسة الخاصة سافر ولي العهد إلى أوروبا في رحلة استغرقت ستة أشهر زار خلالها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا وبلجيكا.
- عام 1921 وبعد اشتداد المرض بوالده الإمبراطور (تايشو) أصبح الأمير (هيروهيتو) وصيّاً على العرش. وفي أثناء حقبة الوصاية حدثت كثير من الأحداث المهمة، منها:

أ- الاتفاقية الرباعية بين اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا التي أقرت الأوضاع القائمة في المحيط الهادي.

ب- قررت اليابان وبريطانيا إنهاء العمل باتفاقية الدفاع المشترك.

ج- تم إبرام اتفاق واشنطن الذي أتمت بموجبه اليابان انسحابها من سيبريا.

د- زلزال كانتو.

هـ- في 5 (إبريل) تم إصدار قانون الانتخاب العام الذي منح الرجال من عمر 25 سنة فما فوق حق الاشتراك في الانتخابات، مع العلم أن حق الانتخاب كان منذ العشرينيات حكراً على دافعي الضرائب فقط ما جعل حق التصويت حكراً على الأغنياء وملاك الأراضي.

- في 20 (ديسمبر) 1926م أصبح (هيروهيتو) إمبراطوراً على اليابان بعد وفاة والده، واتخذ حقبة حكمه اسم (شوا) التي تعني (السلام المتنور).
- تزوج عام 1924 وولد له خمس بنات وولدان هما ولي العهد، إمبراطور اليابان الحالي الأمير (آكيهيتو) المولود عام 1933م، والأمير (هيتاتشي).
- اتهم الإمبراطور بارتكاب جرائم حرب، وبأنه المسؤول الأول عن الجرائم التي ارتكبها الجيش الياباني في أثناء الحرب العالمية الثانية وقبل ذلك في المستعمرات اليابانية، وبأنه المسؤول الأول عن وضع سياسة الجيش التي كانت تقوم على المقولة: «اقتل الجميع، أحرق الجميع، انهب الجميع».

سيطرة المؤسسة العسكرية:

كانت كوريا تشكل نقطة الاهتمام الأولى في الإستراتيجية العسكرية اليابانية في حقبة حكم (ميجي) وأول حقبة حكم (تايشو) وربما يعود ذلك لكون الإستراتيجية في هاتين الحقبتين كانت دفاعية في طبيعتها. ولكن مع الانتصارات التي حققتها اليابان في النزاعات العسكرية، كالحروب مع الصين وروسيا وانتهاء بالحرب العالمية الأولى جعلت اليابان تتذوق حلاوة النصر التي بدورها وضعت المؤسسة العسكرية في موضع القوة. ولذلك، ومع حلول العقد الثالث من القرن العشرين تغيرت الإستراتيجية



العسكرية اليابانية بسبب قناعة القادة اليابانيين بأن السلام الذي أنتجته الحرب العالمية الأولى لن يدوم طويلاً، ولذلك فقد وضعت إستراتيجية جديدة مبنية على أساس (إعداد اليابان داخليّاً وخارجيّاً لحرب عالمية من المؤكد أنها سوف تأتي عاجلاً أم آجلاً).

وبسبب هذه الإستراتيجية الجديدة، فقد أصبحت منشوريا محط الاهتمام الأول للقادة العسكريين في اليابان، وذلك في سبيل إقامة دائرة نفوذ يابانية قادرة على الاعتماد كليّاً على إمكاناتها ومواردها الذاتية في سبيل الاستعداد للحرب العالمية المقبلة، وكان لا بد لهذه الحسابات أن تشمل منشوريا، وهي المنطقة الغنية بمواردها الطبيعية وخصوصاً الحديد والفحم»[1].

ولكن حصل ما لم يكن في حسبان قادة العسكر اليابانيين، وذلكم هو الكساد الاقتصادي العالمي الذي أصاب أكبر الاقتصادات في العالم، وعبارة (الكساد) تطلق على الدورة الاقتصادية التي تتمثل في مرحلة طويلة من الانكماش الاقتصادي (أي النمو السلبي)، ويُعدّ الكساد العالمي الذي حصل في حقبة الثلاثينيات الأسوأ في التاريخ، حيث شلّ أغلب الاقتصادات العالمية وخصوصاً الولايات المتحدة. فعلى سبيل المثال أعلن أكثر من 11 ألف بنك أمريكي (أي 44% من عدد البنوك الأمريكية) إفلاسها في المدة من

(1) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p 202.

1929-1931، مــا أدى إلــى اختفاء مليارات الــدولارات من الودائع. أمــا القطاع الزراعي فلم يكن أحســن حالاً من القطاع المالي، حيث هبطت أسعار المزارع بنسبة 53% عما كانت عليه في حقبة قصيرة، مــا أدى إلى ارتفاع معدلات البطالة ارتفاعــاً كبيراً، وما زاد الطين بلــة أن الولايات المتحدة تعرضــت لموجة شــديدة مــن الجفاف بين 1934 و1936م أدى إلى نقص كبير في المحاصــيل وارتفاع شــديد في أسعار السلع الأساسية[1].

وشمل الكســادُ الاقتصــادَ الياباني حاله حال الدول الأخرى، وإن كان بدرجــة أقل مــن تلك التي كانت عليها الحــال في الولايات المتحــدة، فعلى ســبيل المثال، فإن اليابان شــهدت هبوطــاً كبيراً في أســعار الرز، وهو المحصــول الأساســي في اليابان بنســبة أكثر من النصــف عام 1931م ولم تكن أســعار الحرير، وهو المادة المصــنعة الأساســية في اليابان التي تدر عليها بالعملة الصــعبة، بأفضل من ذلك، فارتفعت معدلات البطالــة، وهاجر العمال إلى القرى. وخير من وصــف الحــال في اليابان آنــذاك أحد باعة الجملــة من مدينة (كيوتو) الذي قال: «لقد تعودنا على هبوط الأسعار، فأصبحنا نبيع البضــاعة التي ســعرها مئة ين بثمانين، لا لشــيء ألا لأننا نريد أن نأكل. نحن لسنا سوى مجموعة من الكائنات الجائعة»[2].

(1) Encyclopedia Americana, vol. 13 pp. 344-345.

(2) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p 203.



لكن هذا كله لم يغير من موقف المؤسسة العسكرية وتوجهاتها تجاه منشوريا، ولذلك عمدت إلى تدبير حادثة تفجير خط السكة الحديد في 18 (سبتمبر) 1931م من قبل جيش (كوانتنغ)، الذي هو الجيش الياباني في (منشوريا)، واتخذت من تلك الحادثة ذريعة للتوسع في احتلال (منشوريا) حيث قامت بعد ذلك بإعلان استقلال شكلي لمنشوريا تحت اسم (مانتشوكو) ووضعتها تحت السيطرة اليابانية الكاملة، وقد جوبهت سياسية اليابان واحتلالها أراضي (منشوريا) باستنكار عالمي وخصوصاً من الولايات المتحدة وأوروبا التي رأت في السياسة اليابانية توسعاً استعماريّاً يهدد مصالحها في المنطقة، وانتقدت عصبة الأمم الساسة اليابانيين ما اضطر اليابان إلى الانسحاب من عصبة الأمم احتجاجاً على موقفها من استنكار السياسة اليابانية في (منشوريا)[1].

كان من نتائج المتاعب الاقتصادية والاندفاعات العسكرية في (منشوريا) والموقف الغربي المعارض للسياسة اليابانية زيادة سيطرة العسكر على مقاليد الأمور في اليابان. ولم تقتصر هذه السيطرة على العسكر فحسب، بل نشأت عند عامة الشعب مشاعر قوية في اتجاه تأييد العسكر تحت ضغط الخوف من الأفكار الهدامة والأخطار الخارجية، مثل الخطر الشيوعي القادم من روسيا وغير ذلك من الأفكار التي تهدد البنية الاجتماعية، إضافة إلى آثار الحملة

(1) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p 303.

الإعلامية التي قامت بها الحكومة اليابانية في سبيل إذكاء المشاعر الوطنية، وهذه بدورها مكّنت المؤسسة العسكرية من تبرير سياساتها الاستعمارية والقهرية في منشوريا وكوريا بأنها لأسباب دفاعية محضة، وأنها إنما تريد من وراء هذه السياسات أن تحقق الاستقرار العالمي الذي لن يتحقق إلا بإخضاع العالم لسلطة الإمبراطور.

على أن هذه الأفكار لم تكن وليدة الساعة، وإنما كانت وراءها كثير من الجماعات اليمينية المتطرفة التي نشأت تحت شعارات مبهمة منها رد الاعتبار للإمبراطور وإعادة صلاحياته التي سلبها منه المدنيون بحسب ادعائهم، ومن هذه المنظمات واحدة استهدفت صغار الضباط وعبأتهم بالمشاعر اليمينية المتطرفة، واتخذت هذه الجماعة الإرهاب وسيلة لتصفية العناصر التي لا تتفق معها أو تتجرأ على معارضة آرائها. فكان أن قامت باغتيال رئيس الوزراء عام 1930م وقامت بمحاولتي انقلاب في العامين اللاحقين[1] وبلغت حوادث العنف السياسي بين عامي 1921و 1944 أكثر من أربع وستين حادثة، واضطر الإمبراطور إلى أن يقود بنفسه الحملة العسكرية للقضاء على إحدى هذه المحاولات. ومع أن الجيش لم يكن مسؤولا عن هذه الأحداث مسؤولية مباشرة ألا أن هذا لم يمنعه من استغلالها لحشد الرأي العام ضد منافسيه من دعاة المسؤولية

(1) Peter Duus, The Rise of Modern Japan, Houghton Mifflin, Boston, 1976, p -210-211.



المدنية وأنصار العملية الديمقراطية، فمثلاً عند إقامة المحاكمات للمتورطين في الأحداث الإرهابية جعلت المحاكمات علنية، وكان يسمح لهم بإلقاء الخطب الطويلة والرنانة التي تمجد اليابان والإمبراطور، وتدين الضحايا حتى تحولت المحاكمات إلى إدانة للضحايا بدلاً من إدانة المتورطين[1] ومما ساعد المؤسسة العسكرية أن دستور (ميجي) منح قيادتي الجيش والبحرية حق النقض فيما يتعلق بتشكيل الحكومة وقراراتها المهمة. وقد استخدمت القيادة العسكرية هذا الحق في فرض إرادتها على المؤسسة السياسية وبالتحديد على السياستين المالية والخارجية وتجييرهما لمصلحة مغامراتها العسكرية وطموحاتها التوسعية التي أوردت اليابان الهلاك أو أوشكت على ذلك في مناسبات عدة، كان أكبرها دخول اليابان الحرب العالمية الثانية والطريقة التي أديرت بها الحرب.

وهنا لا بد من أن نذكر أن الصراعات المسلحة والحروب ما هي إلا وسائل لتحقيق أهداف سياسية بوسائل عسكرية، كما يقول خبراء الإستراتيجيات، ولكن يحصل العكس أحياناً، عندما تصبح المؤسسة العسكرية هي الممسكة بالقرار السياسي، وعند ذلك تصبح الحروب غايات، وليست وسائل، وتصبح الأمم مصانع لتفريخ الجنود وإمداد العسكر بالمدد اللازم لإدامة دوامة حروب لا نهاية لها.

---

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p162.

ولكي تتمكن المؤسسة العسكرية من إحكام قبضتها على زمام الأمور لجأت، مثل مثيلاتها في أوروبا النازية أو إيطاليا الفاشية أو الأفكار المكارثية في الولايات المتحدة، إلى الحد من الحريات العامة ومنع السلوك المنافي للوطنية وفرض الحظر على الأفكار الهدامة التي تتعارض مع كل ما لا يتفق مع ما تريده المؤسسة العسكرية، فلجأت إلى فصل أساتذة الجامعات الذين يحملون أفكاراً هدامة بحسب رأيها، وكذلك إلى حشو الكتب المدرسية بالأفكار الشوفينية التي من شأنها حشد تأييد الجماهير وراء طبول الحرب التي كانت تضرمها.

القسم الثالث: سنوات الدمار، اليابان في الحرب العالمية الثانية

7.4. الحرب العالمية الثانية

بدأ الإعداد للحرب العالمية الثانية أول ما بدأ بتوقيع اليابان اتفاقية (العمل المشترك ضد المد الشيوعي العالمي) مع ألمانيا النازية، وذلك في 25 من شهر (نوفمبر) عام 1936، حيث نصت مقدمة الاتفاقية على ما يأتي:

«باعتبار أن هدف الحركة الشيوعية العالمية هو استخدام كل الوسائل المتاحة بيدها في سبيل تمزيق الدول واستعبادها، وهذا في اعتقادنا لا يشكل تهديداً للأوضاع الداخلية والسلم في تلك الدول فحسب، وإنما يتعداه ليشكل تحدياً صارخاً للسلم العالمي، وهذا يتطلب تعاوناً مشتركاً في التصدي لتلك الأنشطة الشيوعية الهدامة».



والاتفاق بين الدولتين نص على ما يأتي:

أ- التشاور والتعاون لحفظ المصالح المشتركة في حالة تعرض أي من الدولتين لاعتداء من قبل الاتحاد السوفيتي.

ب- يتعهد الطرفان بعدم الدخول في اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي.

ج- قررت ألمانيا الاعتراف بدولة (مانتشوكو) وهي الحكومة الصورية التي نصبتها اليابان في منشوريا.

وفي السادس من (نوفمبر) عام 1937م انضمت إيطاليا إلى المعاهدة بين ألمانيا واليابان، وبذلك شكلت (دول المحور).

كانت الإستراتيجية اليابانية في الإعداد للحرب العالمية القادمة قائمة على افتراض أن المنافسة البحرية ستكون مع البحرية الأمريكية، وأن الحرب البرية ستكون مع قوات الاتحاد السوفيتي، ولذلك خاضت اليابان معركتين مع القوات السوفيتية، هما: معركة (ساخان) عام 1938 وبحيرة (خانخن غول) في 1939م وخسرت اليابان المعركتين، ومنيت فيهما بخسائر فادحة.

يعتقد رايشاور الذي شغل منصب السفير الأمريكي في اليابان في أوائل الستينيات والذي ولد في اليابان عام 1910م وقضى فيها معظم حياته أن الحرب العالمية الثانية لم تبدأ في أوروبا، وإنما ابتدأت في الحرب اليابانية الصينية عام 1937 وليس في الجبهة الأوروبية عام 1939م كما هو شائع. وبداية الصراع لم يكن مخططاً



لهـا لا في طوكيـو ولا في غيرها، وإنما ابتدأ الصـراع مـن حادثة وقعت عندما هاجم جنود صينيون جنوداً يابانيين قرب مدينة بيجين في السابع مـن (يوليو) 1937م. وعندما صـعّدت القيادة الصـينية مـن مطلبها، ورفعت من حدة التوتر بقصف السفن اليابانية في البحر، قررت القيادة اليابانيـة في طوكيـو التي هي تحت سـيطرة العسـكر، أن الحل الوحيد للمشكلة إنما يكون بحرب خاطفة وهجوم كاسح من الشمال والجنوب، وبالفعل استطاعت أن تهزم جيش (تشيانغ كاي شيك) وأن تستولي على العاصـمة (نانكنغ) وتتقدم، فتحتل المدينة الصـناعية المهمة (شـانغهاى)، وعندهـا أخـذت الجنود اليابانيين نشـوة النصـر، فانطلقوا يعيثون في الأرض فسـاداً في موجة من التقتيل واغتصاب النسـاء. وكذلك سـارعت اليابان إلى إقامة حكومة صورية خاضعة لإرادة الجيش الياباني في العاصمة (نانكنغ)[1].

وكـرد فعل على قيـام القوات اليابانية باحتـلال فيتنام ولاوس وكمبوديا وماليزيا وإندونيسـيا وتايلاند فرضت الحكومة الأمريكية عقوبـات اقتصـادية علـى اليابـان تقضـي بمنـع تصـدير الحديد والبترول إليها، إضـافة إلى تجميد الأمـوال اليابانية المودعة لديها. هذه العقوبات أحدثت ردود فعل معكوسة لدى القادة اليابانيين الذين ازدادوا حماسة للتوسع لضمان الموارد الأولية للصناعة الحربية.

---

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p171-172.



على الرغم من أن معظم القادة السياسيين من المدنيين وعلى رأسهم السيد (فومي مارو) رئيس الوزراء آنذاك كانوا على قناعة تامة بأن اليابان ليس بإمكانها كسب الحرب ضد الولايات المتحدة إلا أن القادة العسكريين وفي مقدمتهم وزير الجيش الجنرال توجو الذي أصبح رئيساً للوزراء في أثناء الحرب كانوا أكثر حماسة واندفاعاً في سبيل الحرب على أساس أن اليابان ليس بإمكانها الاحتفاظ بمكاسبها الإستراتيجية خصوصاً في منشوريا وكوريا دون خوض الحرب. وبالفعل استطاعوا إقناع الإمبراطور (هيروهيتو) بأفكارهم.

الجنرال توجو:



- كان من الضباط الشباب الذين عرف عنهم التفوق.
- عارض المحاولة الانقلابية التي قام بها بعض القادة الشباب.
- كوفئ بترقيته إلى منصب رئيس أركان جيش (كوانغ تنغ) وهو الجيش الياباني في منشوريا، وقاد عمليات الجيش في الحرب اليابانية الصينية الثانية عام 1937.
- شغل منصب وزير الجيش عام 1940م.
- بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ومشاركة اليابان فيها كلفه الإمبراطور برئاسة وزارة الحرب، فشغل منصب رئيس الوزراء

بـين 1941م إلــى م1944. إضــافة إلى ذلك شـغل منصــب وزير الجيش أو وزير التربية أو الداخلية أو التعليم.

- بعـد سـقوط (سـايبان) اشـتدت المعارضـة لسياسـته في إدارة الحرب، واضطر إلى الاستقالة واعتزال العمل السياسي.
- بعد استسلام اليابان أصدر الجنرال (مكارثر) قائد قوات الاحتلال، قائمة الأربعين مطلوباً وكان الجنرال (توجو) واحداً منهم.
- عندمـا حـاول الجنـود الأمريكان القبض عليه حـاول الانتحار بإطلاق رصاصة على قلبه، لكن الرصاصة لم تصب القلب.
- حوكم في المحكمة العسـكرية الدوليـة لمجرمي الحرب في طوكيو، وحكم عليه مع سبعة من قادة اليابان بالإعدام. ونفذ الحكم فيه في أحد سجون طوكيو.

كانت الإستراتيجية الحربية اليابانية قائمة على مبدأ المباغتة وتوجيه الضـربة الموجعة التي تفقد الخصم توازنه. وهذه الفلسفة نجحـت في حروب اليابان مع روسـيا والصـين وألمانيـا في الحرب العالميـة الأولى وقبلها. ولذلك اسـتقرت خطة الحـرب على توجيه ضـربة موجعة ومباغتة للقوات الأمريكيـة في ميناء (بيرل هاربر) في جزيـرة هوائـي، التـي لم تكـن ولاية حينـذاك. وبالفعـل، فقد اسـتطاع القادة العسكريون إقناع الإمبراطور بخطتهم في الأول من (ديسمبر) 1941م، وتمّ تنفيذ الهجوم في السابع من الشهر (الثامن



بتوقيت اليابان). ولأن القوات الأمريكية كانت تفترض أن اليابان سوف توجه ضربتها في اتجاه القوات الأمريكية الموجودة في الفلبين، وبنت على هذا الافتراض خططها، لذلك جاءت ضربة (بيرل هاربر) في غاية النجاح العسكري بسبب عنصر المباغتة، وحققت جميع أهدافها إلا أنها وفي الوقت نفسه شكلت خطأ إستراتيجيّاً وتعبويّاً بالنسبة إلى اليابان؛ ذلك أنها مكنت القيادة الأمريكية من إقناع الرأي العام الأمريكي المعارض لدخول الحرب بدخولها بدعوى الدفاع عن النفس.

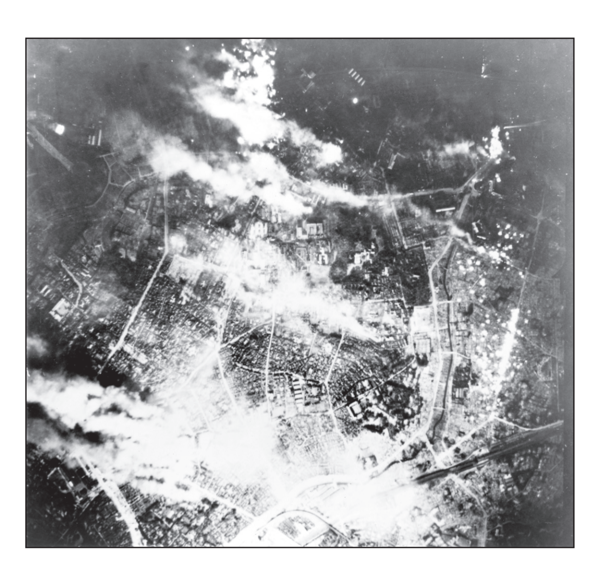
لقد جاء اشتراك أمريكا في الحرب بمنزلة هبة كبيرة للحلفاء لم يكونوا يحلمون بها، وذلك لما تمثله الولايات المتحدة من أبعاد إستراتيجية في الحرب. فهي ليست في أوروبا، ولذلك فهي بعيدة المنال بالنسبة إلى قوات المحور، إضافة إلى أن لدى أمريكا إمكانيات اقتصادية وبشرية وعسكرية ما يجعلها قادرة على ترجيح كفة الحلفاء في الحرب مقابل دول المحور، إضافة إلى موقعها الإستراتيجي على محيطين، هما: الهادي والأطلسي.

جاء رد القوات الأمريكية على الهجوم الياباني في جبهتين: ففي الأولى قامت البحرية الأمريكية بعد إعادة بنائها بسلسلة من المعارك الدامية الغاية منها احتلال جزر المحيط الهادي، وكانت أولى هذه المعارك وأهمها معركة (ميدواي) وهي جزيرة



في منتصف المحيط الهادي بالقرب من جزر (هوائي) وذلك بعد ستة أشهر من الهجوم على (بيرل هاربر)، وفي تلك المعركة تكبدت البحرية اليابانية أكبر خسائرها في الحرب، إذ أغرقت البحرية الأمريكية أربع حاملات طائرات وسفينة حربية يابانية، وفقدت حاملة طائرات واحدة وسفينة حربية. وبدأت بعد ذلك سلسلة من المعارك الحربية لاحتلال الجزر في المحيط الهادي، واستطاعت بعد معارك ضارية أن تحتل جزر المارشال، وفي (يونيو) 1944م نجحت في احتلال الجزيرة المهمة (سايبان) التي تأتي أهميتها في أنها جعلت المدن اليابانية في مرمى الطائرات الأمريكية. ومن هذه الجزيرة قامت الطائرات الأمريكية بحملات قصف متواصل على جميع المدن اليابانية، وقصفتها بالقنابل الحارقة التي أحدثت خراباً كاملاً في جميع المدن اليابانية باستثناء المدن التاريخية، وهي (كيوتو) و(نارا) و(كاماكورا). وفي حملة واحدة في 12 (مارس) عام 1944 قامت الطائرات الأمريكية وفي ليلة واحدة بإحراق مدينة طوكيو العاصمة، وأحدثت فيها خراباً كثيراً، وبلغت أعداد الضحايا في تلك الليلة فقط أكثر من مئة ألف قتيل. وكان من نتائج هذا القصف، إضافة إلى الخسائر في الأرواح والمال أنها شلت حركة الاقتصاد الياباني، ودفعت بمن بقي من السكان إلى ترك المدن والفرار إلى الأرياف؛ هرباً من القصف والأمراض التي بدأت تتفشى والأوضاع الإنسانية المأساوية.





الشكل **4-4**. صورة التقطتها الطائرات الأمريكية للحرائق التي سببها قصف طوكيو ليلة السادس والعشرين من (مايو) **1945**.



الشكل **4-5** طوكيو بعد الحرائق، وتظهر الصورة آثار الدمار الشامل الذي أصاب المدينة والجثث المتفحمة من الحرائق.



أمـا الجبهة الثانيـة فكانت عمليات الجيشـ الأمريكي بقيادة الجـنـرال (مكارثـر) حيث اسـتطاع بعد معارك ضـارية من إعادة احتلال الفلبين بعد أن أجبرته القوات اليابانية على الانسحاب منها عام 1942م. ففي (فبراير) 1945 استعاد الجيش الأمريكي احتلال مدينتي (لوزان) والعاصـمة (مانيلا)، وكان لهذه الانتصـارات في الفلبـين أن مهدت الطريق أمام القـوات الأمريكية للتقدم في اتجاه اليابـان. وبالفعـل، فقد اتحـدت الجبهتـان في هجـوم موحد على جزيرة (أوكيناوا) وذلك في (مارس) من العام نفسه.

وكانـت معركـة ضـارية حشـدت لها اليابـان كل مـا لديها من إمكانـات، ولم تجد بدّاً من اسـتخدام طائراتها في عمليات انتحارية ضد القوات الأمريكية المتقدمة، وسميت هذه العمليات (الكاميكازي) على اسـم الرياح الإعصارية التي قضـت على الأسطول المغولي عند محاولتـه غـزو اليابـان. لم تجدِ هـذه العمليـات نفعاً، واسـتطاعت القـوات الأمريكية أن تحتل (أوكيناوا) بعد أن أنزلت خسـائر كبيرة في الأرواح في اليابانيين، حيث بلغت الخسـائر أكثر من 110 آلاف من العسكر و75 ألفاً من المدنيين وهو ما يعادل ثمن سكان الجزيرة[1].

فقدت اليابان إرادتها على القتال، وصـار واضحاً عند القيادة أنه ليس أمامها إلا خيار الاستسـلام، وبالفعل فقد دعا الإمبراطور

(1) Edwin Reischaur, Japan, The Story of a Nation, 4th ed. Tutle Publishing, Boston 2004, p175-178.

المجلس الأعلى إلى الانعقاد، واتخذ القرار بالطلب إلى الاتحاد السوفيتي التوسط مع الولايات المتحدة. ولأجل ذلك تم الاتصال بالقيادة في موسكو لإيصال رغبة إمبراطور اليابان في التوسط لإنهاء الحرب، لكن ستالين لم يكن في عجلة من الأمر، وهو يرى المنافس الإقليمي للاتحاد السوفيتي يدمر، فلم يوصل الرسالة. والقيادة اليابانية لم تكن تعلم أن ستالين كان قد قدم الوعد للحلفاء في أثناء قمة (يالطة) في شهر (فبراير) 1945 بأن الاتحاد السوفيتي سوف يعلن الحرب على اليابان بعد استسلام ألمانيا[1].

8.4. مؤتمر بوتسدام:

في المدة بين 17 (يوليو) و2 (أغسطس) 1945 عقد في مدينة (بوتسدام) القريبة من العاصمة الألمانية (برلين) مؤتمر بين قادة الحلفاء حضره الرئيس الأمريكي (ترومان) والرئيس الصيني (تشانغ كاي شيك) ورئيس الوزراء البريطاني (تشرشل) الذي خسر الانتخابات العامة في بريطانيا في أثناء حضوره المؤتمر، فغادر المؤتمر الذي انقطع عن الاجتماع، حتى حضور رئيس الوزراء العمالي الجديد (آتلي) إضافة إلى (جوزيف ستالين) رئيس الاتحاد السوفيتي. وأقر المؤتمر القرارات الآتية فيما يتعلق باليابان:

(1) Duus, p-236.

1- إن الوقت قد حان لليابان أن تقرر فيما إذا تريد أن تبقى تحت سيطرة القادة العسكريين الذين أوصلوا اليابان إلى حافة الانهيار بسبب حساباتهم الخاطئة.

2- فيما يأتي نضع الشروط الآتية:

3- يجب إزالة كل سلطات وتأثير القيادات التي خدعت، وأضلت الشعب الياباني في سبيل خوض مغامرة غزو العالم، ونحن نصرّ على إقامة نظام مبني على السلم والعدالة والأمن، وأن هذا سوف يكون مستحيلاً حتى يتم إزالة النزعة العسكرية من العالم.

4- إلى أن يتم التأكد بالدليل القاطع أن الآلة الحربية قد أزيلت، فإن اليابان سوف تبقى تحت احتلال الحلفاء؛ وذلك لضمان تحقيق الفقرات التي تم الاتفاق عليها.

5- السيادة اليابانية يجب أن تكون محصورة على الجزر الأربع (هونشو) و(هوكايدو) و(كيوشو) و(شيكوكو) وبعض الجزر الصغيرة الأخرى حسبما نقرر.

6- القوات المسلحة اليابانية بعد أن يتم نزع سلاحها سوف يسمح لأفرادها بالعودة إلى ممارسة حياة مدنية.

7- على الحكومة اليابانية العمل على إزالة كل العوائق أمام الديمقراطية وحرية التعبير وحرية العبادة.



8- يسمح لليابان بالحفاظ على الصناعات الضرورية لضمان إدامة الاقتصاد ودفع تعويضات الحرب، ويستثنى من ذلك الصناعات التي تمكنها من إعادة التسلح.

9- قوات الحلفاء سوف تنسحب من اليابان عندما يتم تحقيق هذه الشروط، وسوف يتم إقامة حكومة مسالمة بحسب اختيار الشعب الياباني ورغبته.

10- ندعو الحكومة اليابانية لإعلان الاستسلام غير المشروط... وإلا فإنها سوف تعرض اليابان للدمار الشامل.

واضح أن إعلان (بوتسدام) لم يشر بأي شكل من الأشكال إلى أن اليابان معرضة، في حالة عدم الاستجابة لمطالب الحلفاء، للتدمير بالسلاح الذري. مع أنه يقال: إن الرئيس (ترومان) أطلع (جوزيف ستالين) في أثناء المؤتمر على أن الولايات المتحدة قد طورت السلاح النووي، وأنها تنوي استخدامه ضد اليابان لإجبارها على الاستسلام.

9.4. نهاية الحرب وإلقاء القنابل الذرية على هيروشيما وناكازاكي:

في الثامن من (أغسطس) ألقت الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذرية الأولى على مدينة (هيروشيما). ففي الساعة

الثامنة و15 دقيقة ألقت طائرة أمريكية فوق سماء هيروشيما قنبلة انشطارية مكونة من 60 كجم من اليورانيوم -235. وبعد ذلك بـ 57 ثانية من الهبوط انفجرت القنبلة وعلى ارتفاع 600 متر فوق المدينة، وأحدثت انفجاراً هائلاً يعادل 13 ألف طن من قنابل (تي إن تي).

أحدث الانفجار خسائر كبيرة في الأرواح والمباني، فقدر عدد ضحايا التفجير في لحظاته الأولى أكثر من 70 ألف قتيل بعضهم تبخر من شدة الحرارة التي بلغت نحو مليون درجة مئوية في نقطة الانفجار، إضافة إلى عشرات آلاف الجرحى والمشوهين. وبلغت نسبة الدمار في المباني أكثر من 90% من مباني المدينة. واستمر نزيف الخسائر من الجرحى بعد التفجير، وذلك لغياب العناية الطبية والدمار الذي أصاب البنية التحتية في المدينة والآثار الإشعاعية للتفجير، فبلغ العدد الكلي لضحايا التفجير مع نهاية عام 1945 ما بين 90 إلى 140 ألف قتيل، ووصل العدد إلى نحو 200 ألف مع نهاية 1950. وفي كل سنة تضيف مدينة هيروشيما عدداً من الضحايا ممن يموتون بالأمراض السرطانية التي سببتها القنبلة الذرية الأولى.





الشكل **6-4** مدينة هيروشيما بعد إلقاء القنبلة الذرية عليها، وتظهر الصورة آثار الدمار الكامل الذي أصاب المدينة.

إلقاء القنبلة الذرية الثانية على ناكازاكي:

تُعدّ مدينة (ناكازاكي) بوابة اليابان إلى العالم؛ ذلك أنها أحد أهم الموانئ وأقربها إلى شبه الجزيرة الكورية، ولذلك شكلت نقطة اتصال مع العالم الخارجي وحتى قبل أن تنفتح اليابان على العالم، كانت المدينة على صلة بأوروبا، وذلك عن طريق الجزيرة الهولندية الصغيرة الموجودة قبالتها، ولذلك كانت المدينة مركزاً للجمعيات التبشيرية النصرانية منذ ذلك الزمن وفيها بنيت أول كنيسة في اليابان. ومع انفتاح اليابان على العالم الخارجي ازدادت أهمية الميناء، وأصبح من أهم الموانئ والمراكز الصناعية لصناع السفن وبالذات الصناعة الحربية، حيث إن المدينة كانت، ولا تزال

مركز شركة ميتسوبيشي للصناعات الثقيلة التي تقوم ببناء السفن وحاملات الطائرات اليابانية.

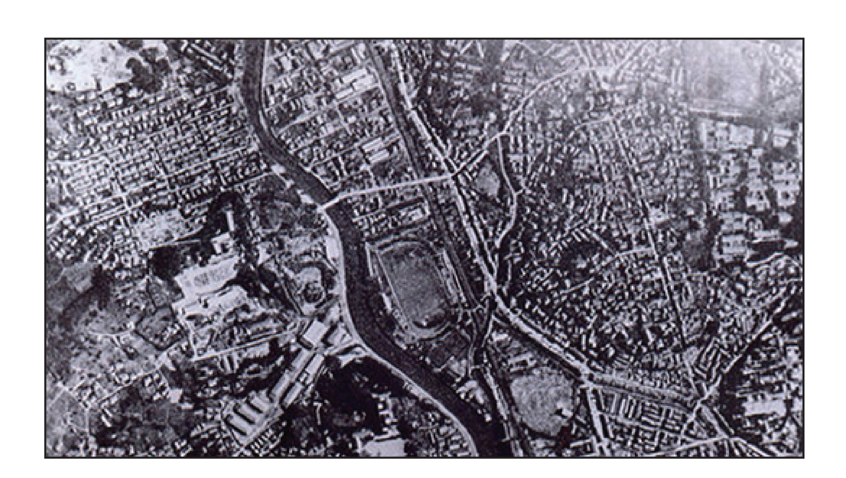
وفي صباح التاسع من (أغسطس) انطلقت طائرات القوات الجوية الأمريكية وعلى متن واحدة منها قنبلة ذرية مكونة من 4.6 كجم من مادة (البلوتنيوم 239). وكان هدف الرحلة الأول هو مدينة (كوكيورا) وإذا لم تكن الأحوال الجوية ملائمة، فإن الهدف يصبح مدينة (ناكازاكي) ذلك أن صفاء الجو كان شرطاً من شروط العملية؛ لكي تتمكن الطائرات المصاحبة من تصوير التفجير وتقدير آثاره على الأرض. وصلت الطائرات إلى سماء (كوكيورا) وكانت ملبدة بالغيوم، واضطرت إلى مغادرتها إلى الهدف الثاني الذي وصلته نحو الساعة الحادية عشرة، وحصل حينذاك انفراج في سماء المدينة ما جعل قائد الطائرة يقرر أن الأجواء تسمح بإلقاء القنبلة، وبالفعل ففي الساعة 11:01 ألقيت القنبلة التي هبطت مدة 43 ثانية، وانفجرت على ارتفاع 469 متراً فوق سماء المدينة. وقدرت قوة التفجير بما يزيد على 21 ألف طن من (تي إن تي) وهي أكبر بكثير من قوة القنبلة الأولى التي ألقيت على (هيروشيما)، ووصلت درجة الحرارة على الأرض تحت نقطة الانفجار إلى 3900 درجة مئوية، ووصلت سرعة الرياح إلى أكثر من ألف كيلومتر في الساعة.

بلغ عدد ضحايا التفجير في يومه الأول بين 40 إلى 75 ألف قتيل، ومع نهاية السنة وصل عدد الضحايا إلى ما يزيد على 80 ألف قتيل.



لم يكـن الدمـار الـذي أصـاب الأرواح والممتلكات كبـيراً؛ وذلك لأن المدينة محاطة بالتلال التي جعلت آثار التفجير تكون محدودة مقارنة بمـا كان يمكـن أن تكـون عليه لو كانـت الأرض مسـتوية، مثل مدينة (هيروشـيما). وهناك روايات تقول: إن عدداً من أهالي هيروشـيما نزحوا بعد القصف إلى (ناكازاكي) ليواجهوا القصف النووي ثانية.

في الثامـن من (أغسـطس) أعلن الاتحاد السـوفيتي الحرب علـى اليابان، وهاجمت قواته الجيش الياباني في منشـوريا التي لم تجدِ فيها مقاومة تذكر. كانت نية الاتحاد السوفيتي تقسيم اليابان بين المعسـكرين الشرقي والغربي، كما قسـمت ألمانيا وكوريا، ولكن الرئيس الأمريكي ترومان عارض تلك الفكرة.







الشكل **7-4** صورة جوية لمدينة (ناكازاكي) قبل التفجير النووي وبعده يوضح الدمار الواسع الذي أحدثه التفجير.

وفي العاشر من (أغسطس) أعلنت اليابان الاستسلام تحت شروط إعلان (بوتسدام) وفي الرابع عشر من الشهر أذاع الإمبراطور (هيروهيتو) بياناً على الأمة أعلن فيه قرار استسلام اليابان للحلفاء، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يسمع فيها اليابانيون صوت الإمبراطور. وفي اليوم نفسه، أعلن الرئيس الأمريكي ترومان تعيين الجنرال (مكارثر) قائداً أعلى لقوات الحلفاء وحاكماً عسكريّاً على اليابان الذي يشتمل على الجزر الأربع (هونشو، هوكايدو، كيوشو، وشيكوكو) وبعض الجزر الصغيرة، أما الباقي فقد تم التعامل معه على الشكل الآتي:



أ- الاتحــاد الســوفيتي: مُنــح كوريا الشــمالية وجزيرة (ســاخالين) وجزر (الكوريل).

ب- جمهورية الصين: مُنحت (تايوان) و(البسكادور).

ج- الولايــات المتحدة: مُنحــت كوريا الجنوبية، وجزيــرة (أوكيناوا) وممتلكات أخرى.

وفي اليــوم الثــاني مــن (ســبتمبر) وقعــت اليابــان وثيقــة الاستســلام، وجــرت مراســم التوقيع علــى متن الســفينة الحربية الأمريكية (ميزوري) في ميناء طوكيو، ووقعها عن الحلفاء الجنرال (مكارثر) وعن الإمبراطــور وزير الخارجية الياباني ورئيس أركان الجيشــ بالنيابة عن الجيش. وكانت الســفينة خالية من كل الرموز باســتثناء علمــين أمريكيين: أحدهمــا كان من الأعــلام التي كانت بصحبة (الكومودور بيري) عندما فرض على اليابان الانفتاح على العالم وتوقيع الاتفاق الذي فرض عليها آنذاك بقوة المدافع.

وبذلك وضــعت الحــرب أوزارها بعد ســنين عجــاف، وأنهت اليابــان ملف الحرب العالمية الثانية مخلفــة وراءها أكثر من ثلاثة ملايــين قتيــل في اليابان فقط، ثلثهــم من المدنيين وأعــداداً كبيرة مــن الجرحى، وكان معظــم اليابانيين بلا ملجأ أو مــأوى، حيث إن معظــم المدن قد دمرت دماراً كاملاً أو شــبه كامل، وفرّ أغلبهم إلى الأرياف هرباً من القصف وجلهم بلا عمل ولا مصدر رزق، فالمزارع والمحاصــيل مدمرة؛ لعدم وجود الأسمدة، ولأن الجهود، كل الجهود كانت منصبة من أجل المجهود الحربي.

10.4. جرائم الحرب اليابانية:

تتهم اليابـان بارتكاب جرائم حرب في أثنـاء الحرب العالمية الثانيـة وقبلهـا في أثنـاء احتلالهـا للمسـتعمرات. فتتهـم اليابان بارتـكاب جرائـم ضـد الإنسـانية، مثل عمليـات القتـل الجماعي للمدنيين، كالمذبحة التي حصلت في (ينكنغ) عام 1937م في الصين التي -بحسب تقارير المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأدنى التي حوكم فيهـا مجرمو الحرب بعد الحرب العالميـة الثانية- قتل فيها مـا يزيد على 200 ألف قتيل وكذلك مذبحـة مانيلا في الفلبين التي قتـل فيها ما يزيد على 100 ألف قتيل ومذابح في كوريا وإندونيسـيا وغيرهـا. وتتهـم اليابان بارتـكاب جرائـم أخرى، مثل اسـتخدام الغازات السـامة المحرمة دولياً وقتل الأسـرى والتعذيب واستخدام الأسرى والرهائن في السخرة وإجبار النساء على البغاء.

ولذلك أصدر الجنرال (مكارثر) أمراً بتشكيل محكمة عسكرية لمحاكمـة مجرمي الحـرب من القـادة اليابانيين، وسُـمّيت المحكمة العسكرية الدولية للشرق الأقصى، وتسمّى أحياناً محاكمات طوكيو. وعقدت جلساتها في المدة ما بين الثالث من مارس 1946م إلى الثاني عشر من (نوفمبر) 1948م. ومَثُل أمام المحكمة الآلاف من المسؤولين اليابانيين المتهمين بارتكاب جرائم حرب، وقسموا إلى ثلاث مراتب بحسب نوعية الجرائم المنسوبة إليهم. وقد قرر الجنرال (مكارثر)



إعفاء الإمبراطور والعائلة المالكة من المسؤولية على الرغم من أن هناك أصواتاً، بعضها من داخل العائلة المالكة مثل الأمير (ميكاسا) شقيق الإمبراطور كانت تطالب بمحاسبة الإمبراطور وإحالته إلى المحكمة؛ لأنه المسؤول الأول، وبذلك يجب أن يتحمل تبعة قراراته، كما تقتضي العادات والتقاليد اليابانية، لكن (مكارثر) رأى غير ذلك، وتمّت إدانة نحو خمسين من المسؤولين السابقين بجرائم حرب، ولكنهم لم يحاكموا عليها، ومنهم (نوبوسوكي كيشي) وزير الصناعة والتجارة في أثناء الحرب الذي كان مسؤولاً عن التصنيع العسكري، لكن هؤلاء لم يمثلوا أمام المحكمة، حتى إن (كيشي) أصبح رئيساً لوزراء اليابان فيما بعد، وسيؤدي دوراً مهمّاً في تشكيل مستقبل اليابان، كما سيأتي فيما بعد.

أتمت المحكمة محاكمة 25 متهماً بارتكاب جرائم من الدرجة الأولى، وحكم على سبعة منهم بالإعدام، منهم الجنرال توجو قائد الجيش الياباني في منشوريا ورئيس وزراء اليابان في أثناء الحرب ووزير الخارجية ورئيس أركان الجيش، ونفذ الحكم فيهم في سجن طوكيو، ومات اثنان في أثناء المحاكمة، وحكم على الباقين بالمؤبد، وأفرج عنهم بعد استقلال اليابان.







إعادة البناء الهيكلي في اليابان

هذا الفصل عبارة عن محاولة للوقوف على العوامل المهمة التي ساعدت على إعادة بناء البنية التحتية والهيكلة السياسية في اليابان مروراً بعملية مراجعة النفس التي جرت في اليابان والخطة الأمريكية لإعادة هيكلة اليابان في مرحلة ما بعد الحرب والنظام السياسي الذي برز بعد حقبة الاحتلال، وندرس سيرة بعض القيادات السياسية اليابانية التي أدّت دوراً مميزاً في تأسيس النظام الجديد وإبرازه إلى حيز الوجود.

1.5. مراجعة النفس:

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية بجراحات أقل ما توصف به أنها قاتلة. لقد كانت جميع الأسباب التي تدعو اليابانيين إلى اليأس متوافرة، ولكنهم بدلاً من النزوع إلى اليأس والقنوط، وبدلاً من اللجوء إلى الهيجان واتهام الآخرين، أو اتهام قوى خارجية بالتآمر

على اليابان، قام الشعب الياباني بما يقوم به أي شعب متحضر يمر بالأزمة القاسية والظروف الصعبة التي يمر بها، قاموا بأمرين مهمين، هما: تضميد الجراح ومراجعة النفس. لقد كانت عملية المراجعة هذه من أروع الدروس التي يمكن أن يستفاد منها في مثل تلك الظروف التي مرت بها اليابان، ومرت بها أمم من قبل، ومع الأسف سوف تمر بمثلها أمم من بعد. لقد أقرت اليابان بأنها هزمت في الحرب، وأن معنى ذلك أن أهدافها السابقة والوسائل التي اتخذتها لتحقيق تلك الأهداف، جميعها في حاجة إلى مراجعة شاملة. يقول السيد (يوشيدا) الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء في اليابان(1):

«التقيت الأدميرال (كانتارو سوزوكي) الذي كان رئيساً للوزراء عند نهاية الحرب، والذي علق على نهاية الحرب: (من المهم أن تكون منتصراً جيداً في الحروب، ولكن بالأهمية نفسها أن تكون خاسراً جيداً). لقد أصبحت هذه الكلمات هي المبادئ التي اعتمدت عليها في تفاوضي مع سلطة الاحتلال عندما أصبحت رئيس وزراء اليابان فيما بعد».

وإضافة إلى ذلك، فبعد خمسة أيام من استسلام اليابان كتبت صحيفة (الماينيتشي) اليومية، وهي من أكبر وأعرق الصحف اليابانية في افتتاحيتها حول هزيمة اليابان والتحولات السياسة التي فرضت عليه(2):

---

(1) Yoshida, p-48-49.

(2) Ruth Benedict, The Chrysanthemum and the Sword, Tutle, 1994, pp-304-305.



«لقد كان كل ذلك جيداً ومقبولاً من أجل الخلاص الوطني. ودعا المقال المواطنين إلى ألا ينسوا، ولو لحظة واحدة أنهم قد هزموا هزيمة كاملة؛ ذلك أن جهودهم التي انصبت على بناء اليابان على أساس القوة العسكرية فقط قد أصابها الفشل الذريع، ولذلك فواجب عليهم أن يسلكوا طريق السلام».

وكتبت صحيفة أساهي، وهي أيضاً من كبريات الصحف اليابانية في الأسبوع نفسه في افتتاحيتها حول الموضوع نفسه، وقالت:

«إيمان اليابان المفرط بالقوة العسكرية كان خطأً فادحاً على المجالين الداخلي والخارجي. إن السياسات السابقة التي لم تحقق لنا شيئاً، وجلبت علينا الكثير من المآسي يجب أن نسقطها من حساباتنا، وأن نبدّل بها أخرى متأصلة على التعاون الدولي وحب السلام».

وبعد عشرة أيام من إعلان الاستسلام كتبت صحيفة أخرى، وهي اليوميوري - هوتشي:

«يجب أن يكون هناك إيمان قاطع بأن الهزيمة العسكرية ليس لها علاقة بقيم المجتمع. إن الهزيمة العسكرية يجب أن تكون نقطة انطلاق... ذلك أنه ربما ليس هناك أقل من الهزيمة لكي ترتقي بأفكار اليابانيين إلى العالم، ولكي يروا الأشياء



بالموضوعية التي هي عليها، من أجل ذلك يجب إزالة كل الأفكار غير المنطقية التي غلفت الفكر الياباني بالاستفادة من التحليل الموضوعي... إن التحلي بالشجاعة هو السبيل الوحيد لمواجهة الهزيمة والاعتراف بها بوصفها حقيقة، ولكن يجب أن نضع ثقتنا في اليابان الجديد».

إن هـذه الروح العالية التي عبرت عنها هـذه المقالات في أهم الصحف اليابانية، تحت تلك الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد، وهي مازالت تداوي جراحاتها، وتدفن موتاها، وتبحث لنفسها عن المأكل والمأوى، لم تأتِ وليدة المصادفة، وإنما هي نتاج رصيد كبير من التجربة الاجتماعية والتربية النفسية التي تربى عليها الإنسان الياباني، وأوجدت عنده منهجية التحليل العلمي التي رسخت في النفوس، فلجأت إليها في ساعات المآسي والنكبات، هذه القيم هي التي مكّنت اليابان من أن تضع أصابعها على مواطن الضعف والقوة، وتحول الهزيمة إلى دروس اجتماعية غالية يصبح الثمن الذي تدفعه الأمة مهما كان أمراً مفهوماً، واندفاعة قوية نحو تصحيح المسيرة مما شابها من الخلل، الذي دبّ عليها في لحظات غفلة، فلم تنتبه لنفسها إلا وهي غارقة في عواصف من الأزمات.

هذه العقلية التحليلية للأزمات تذكرني بالمنهجية القرآنية في معالجة الأزمات، وهي محاولة التحليل وإيجاد نقاط الضعف التي



سببت الهزيمة ومعالجتها. ففي موقعة أحد كان سبب الهزيمة، كما أخبرنا القرآن: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾، حتى قال أحد الصحابة رضي الله عنهم: «والله ما علمت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا، حتى نزلت هذه الآية» فالخلل كان موجوداً في جسد الأمة، لكنها لم تدركه، حتى جاءت المحنة لتبينه، وتظهره إلى العلن بكل وضوح، فإذا كانت الأمة حيّة متيقظة سارعت إلى تصحيح الخلل وتحويل المحنة إلى منحة كبيرة تستفيد منها في تقويم مسيرتها، أما إذا كانت الأمة ميتة، فإنها تندب حظها العاثر، وتتهم الآخرين، وتكتشف وجود مؤامرة عالمية ضدها، وتستمر في تكرار الأخطاء، ومثال آخر على التربية القرآنية في مراجعة النفس وتبيان مواطن الخلل، ما جرى في موقعة (حنين) حيث كان الغرور والاعتداد بالنفس هو سبب الهزيمة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾. وما أحوجنا إلى استعادة هذه الصفة الحضارية. إن هذه المنهجية في مراجعة النفس وتقويم المسيرة بعد الكبوة، هي الكفيلة بتحويل الهزيمة إلى نصر ومن دونها تنتقل الأمة من هزيمة إلى أخرى لا تختلف عنها إلا أنها أكبر منها، وتدفن رأسها في التراب، وكأن شيئاً لم يكن.

أما بالنسبة إلى (هيروشيما) و(ناكازاكي) فكانت المشكلات أكثر مأساوية وتعقيداً، فإضافة إلى الدمار الذي أحدثته التفجيرات النووية ظهرت مشكلات أخرى لم تكن في الحسبان، منها خوف



الناس من الاحتكاك بكل من تعرض للإشعاع الذري، حيث نتج عن ذلك رفض الناس التعامل مع أهل المدينتين، وكأنهم مصابون بالجرب، أو حتى منحهم فرص العمل وظن الناس أن هاتين المنطقتين لا بد من تركهما خوفاً من آثار الإشعاع، ولأن بعضهم كان يعتقد أن الزرع لن يظهر في هذه الأراضي ألا بعد مئات السنين.

لكن أهل المدينتين، وعلى الرغم من عمق الجراح والدمار الذي لحق بهم، وموقف الناس منهم، وكما أخبرنا بذلك السيد (أكيبا) عمدة مدينة (هيروشيما) في الذكرى السنوية للمأساة عام 2007 م، قرروا ما يأتي[1]:

أولاً: إنهم لن يستسلموا للموت، وإنهم مع الحياة.

ثانياً: إنهم مع إعادة البناء.

ثالثاً: إنهم ضد الانتقام، وإنهم سوف يبذلون كل جهد لكي يكونوا آخر من يتعرض لويلات السلاح الذري، ذلك أن الرغبة في الانتقام والبناء لا يمكن أن يجتمعا في قلب إنسان في الوقت نفسه، ولذلك فعلى الإنسان في مثل هذه الظروف أن يختار.

2.5. الخطط الأمريكية لليابان:

تشكلت إدارة الاحتلال بقيادة الجنرال (مكارثر) وشُكّلت هيئتان لمساعدته على إدارة اليابان من قبل دول الحلفاء: واحدة في

(1) Speech by Mayor Akiba of Hiroshima on the 61st Anniversary of the Bombing of the Hiroshima. August 5, 2007.



واشنطن مكونة من الدول الثلاث عشرة التي حاربت ضد اليابان وأخرى في طوكيو مكونة من ممثلي الدول العظمى الأربع، وهي الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، والصين، وبريطانيا. ولكن كلاهما أثبت عدم فاعليته، إذ إنهما تحولتا، مع مرور الزمن، إلى مجلس ملاسنة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة التي تمتلك حق النقض (الفيتو) على قرارات المجلسين[1]. وكان من حسن حظ اليابانيين أن الجنرال (مكارثر) لم يأبه بمداولات تلك اللجان، وإنما سار بحسب النهج الذي رآه مناسباً لإعادة إعمار اليابان. ولعل أحد الأسباب التي ساعدته في مهمته هي وجود الخطط والتصورات التفصيلية التي وضعتها الولايات المتحدة لإعادة هيكلة اليابان ما بعد الحرب، حيث تم وضع تلك الخطط المفصلة قبل أن تطأ أقدام أول جندي أمريكي أرض اليابان[2].

ومما ساعد على وضع الخطط الدقيقة أن «الولايات المتحدة كان لها كثير من الخبراء العسكريين الذين تم تدريبهم على اللغة اليابانية والمشكلات التي يمكن أن تواجهها في إدارة اليابان وفي الوقت نفسه كانت هناك مجموعة صغيرة في وزارة الخارجية الأمريكية وبالتعاون مع دوائر أخرى في الدولة خططت وبدقة لنوعية وطبيعة الإصلاحات التي يمكن أن تجرى في اليابان. ولهذه الأسباب،

(1) Reischauer, p-188.

(2) Yoshida p-55.

فإن الولايات المتحدة كانت مستعدة لإعلان (بوتسدام) وإعداده في السرعة التي تم بها، وبتفصيل أكثر لسياسة ما بعد الاستسلام»[1].

وكانت الخطط قائمة على إدراك جيد للمشكلات التي تعانيها اليابان والتي أدت بها إلى قيام حكم شوفيني قادها إلى كثير من المغامرات العسكرية في المنطقة. وهذا الفهم مؤداه أن المشكلة تكمن ليس فقط في المؤسسة العسكرية المتمثلة في الجيش، وإنما تمتد لتشمل الجماعات الفاشية والمتطرفين اليمينيين والشركات التجارية العملاقة (زايباتسو) والبيروقرطيين. ولذلك، كان لا بد من إضعاف هذه الجماعات وإقامة نظام جديد يقوم على أساسين، هما: نزع السلاح وإقامة نظام ديمقراطي حقيقي يستمد شرعيته من الشعب، وليس من الإمبراطور[2].

وكان من الذين أسهموا في هذه الخطط السفير أدوين رايشاور الذي يُعدّ من أهم الخبراء في الشؤون اليابانية، وكذلك الدكتورة رووث بنديكت.

- **الدكتور أدوين رايشاور**

- ولد في طوكيو عام 1910م ودرس في المدرسة الأمريكية في اليابان، وأتقن اللغة اليابانية.

---

(1) Reischauer, p-189.

(2) Duus, p. 240.



- عاد إلى الولايات المتحدة للدراسة الجامعية، ودرس البكالوريوس في كلية (أوبرلين) في ولاية (أوهايو) الأمريكية، وتخرج فيها عام 1931م.
- درس الدكتوراه في جامعة (هارفارد) وتخرج فيها عام 1939م وكانت الأطروحة حول مذكرات أنين ورحلته إلى الصين بين 838 إلى 847.
- بعد الدكتوراه درس في جامعات (السوربون) في باريس و(طوكيو) و(كيوتو) و(كوريا) والصين.
- عاد للتدريس في جامعة هارفارد.
- في أثناء حقبة الحرب العالمية الثانية (1942 -1946) عمل في سلك المخابرات العسكرية الأمريكية، وكان من أهم الخبراء فيما يتعلق باليابان وشرق آسيا.
- 1961-1966 عينه الرئيس كينيدي سفيراً للولايات المتحدة في اليابان، له أكثر من عشرين مؤلفاً حول اليابان باللغتين الإنجليزية واليابانية، أهمها (اليابان: قصة أمة) الذي طبع سبع مرات.

- **الدكتورة روث بنيديكت**

- ولدت عام 1887م في مدينة نيويورك، ودرست البكالوريوس في كلية (فاسار).



- درست الدكتوراه في علم الأجناس (الأنثروبولوجيا) في جامعة كولومبيا تحت إشراف الدكتور (فرانز بواس) الذي يُعدّ من أعلام (الأنثروبولوجيا) في أمريكا وصاحب الكتاب المعروف (الأجناس، اللغات، الحضارة) الذي نسف أساس التمييز العنصري الذي كان شائعاً في أمريكا آنذاك.
- أشهر مؤلفاتها كتاب (إشكال الحضارة).
- عُيّنت أستاذاً في جامعة كولومبيا.
- خلال حقبة الحرب العالمية الثانية كلفتها وزارة الحرب الأمريكية بدراسة أنماط التفكير الياباني، وقامت بدراسة مكثفة لما كتب عن اليابان، وقابلت أسرى الحرب اليابانيين. أصدرت كتابها المشهور (كراسنثامم والسيف) و(كراسنثامم) زهرة مشهورة في اليابان، وهي الرمز الذي يرمز إلى الإمبراطور. وهذا الكتاب يُعدّ من أعمق ما كتب عن اليابان وفهم نمط التفكير الياباني. وكذلك يُعدّ أهم ما كتب في موضوع الأنثروبولوجيا عن بعد؛ وذلك لكونها لم تستطع الذهاب إلى اليابان ودراسة الموضوع ميدانيّاً. أعيد طبع الكتاب الذي نشر للمرة الأولى عام 1946 أكثر من أربعين مرة.
- من خلال دراستها توصلت إلى أهمية الدور المركزي الذي يؤديه الإمبراطور في التراث الياباني، وأوصت، وأقنعت المسؤولين في الإدارة الأمريكية بضرورة الإبقاء على



الإمبراطـور (هيروهيتـو) والاسـتفادة منـه في لمّ الشـمل الياباني حول المشروع الأمريكي.

- توفيت عام 1948.

وكان أول ما قامت به سلطة الاحتلال عملية اجتثاث العناصر والمؤسسـات التي اعتبرتها مسـؤولة عن النظام السابق أو توجهاته الاستعمارية، حيث شملت العملية كل من خدم في الجيش أو الشرطة وكل الموظفين من أصـحاب الرتب العاليـة وجميع الذين خدموا في مناصـب مهمة في المستعمرات في الخارج إضافة إلى جميع المعلمين الذين كانوا يحملون الأفكار اليمينية والذين اسـتخدمتهم المؤسسة العسـكرية في غسـيل أذهان الطلبة وإقناعهم بالسياسـة التوسعية للمؤسسـة العسكرية. وبلغ عدد الذين شملتهم عملية الاجتثاث نحو 200 ألف سياسي ومسؤول سابق.

3.5. إعادة الهيكلة السياسية:

إضـافة إلى عمليـة اجتثاث الأفراد، فقـد تم إحداث تغييرات جذريـة في الهيكليـة السياسـية في اليابان، وكان من أهمها فصـل الديـن عـن الدولة، وذلـك بإلغـاء العلاقة بـين الديانة الشـنتوية والدولـة. وتمّ في (ديسـمبر) 1945م إعطاء حق الانتخاب للنسـاء، وكذلك منح العمال حق تشكيل الاتحادات العمالية[1].

(1) Yoshida p-57.

أهم التعديلات الدستورية:

أولت سلطة الاحتلال أهمية كبيرة لإجراء إصلاحات دستورية واسعة في سبيل تأسيس نظام سياسي واجتماعي يتماشى مع الصورة المطلوبة لليابان الجديد. وكان من أهم التعديلات ما يأتي:

أولاً: مكانة الإمبراطور

كانت هذه - بلا شك - من أدق القضايا التي أولتها سلطة الاحتلال اهتماماً كبيراً، وذلك لحساسية موقع الإمبراطور في العقلية اليابانية، وكما سبق أن وضحنا، فإن المقترح الذي تقدمت به المستشارة (روث بنديكت) هو الإبقاء على الإمبراطور بوصفه رمزاً لليابان ونقل صلاحياته، وأن يترك معالجة القضايا السياسية لرئيس الوزراء المنتخب. وكانت إحدى العقبات التي تقف أمام تنفيذ هذه المسألة هي التصور العام عند الشعب الياباني الذي ينظر إلى الإمبراطور نظرة التأليه. ولذلك كان لا بد من التمهيد لهذه الخطوة بإعلان الإمبراطور نفسه في الأول من (يناير) 1946م أنه ليس مؤلهاً[1]. ولذلك نصت الفقرة الأولى من الدستور على أن «الإمبراطور يجب أن يكون رمزاً للدولة ووحدة الشعب، وهو يستمد منصبه من إرادة الشعب الذي هو مصدر السلطات» وجميع المهام التي يقوم بها الإمبراطور هي مهام شكلية، وتتطلب استشارة الحكومة وموافقتها[2].

(1) Reischauer, p-191

(2) اليابان دولة وشعب وحضارة. ص 32.



ثانياً: سلطات البرلمان

كان التغيير الثاني في الأهمية هو تحويل السلطات التشريعية التي كان يتمتع بها الإمبراطور وخصوصاً مهمة الإشراف وتعيين وإقالة الحكومة إلى البرلمان، ولذلك أصبح البرلمان أعلى سلطة في الدولة، وتم تبني النظام البرلماني الإنجليزي، حيث يتشكل البرلمان من مجلس النواب وهو الأدنى ومجلس المستشارين وهو الأعلى، ويتم انتخاب أعضاء مجلس النواب وعددهم 480 في الوقت نفسه مدة أربع سنوات ما لم يتم حل المجلس والإعلان عن انتخابات مبكرة. وكما هي الحال في البرلمان البريطاني، فإن مجلس النواب هو صاحب السلطة الحقيقية، حيث إن من حقه حجب الثقة عن الحكومة ورئيسها، ويوازن الدستور هذه القضية بمنح رئيس الوزراء صلاحية حل المجلس والدعوة إلى انتخابات عامة.

أما مجلس المستشارين فيتكون من 240 عضواً ينتخب نصف أعضائه لدورة مدتها ست سنوات في كل ثلاث سنوات. ولا يحق لرئيس الوزراء حل مجلس المستشارين الذي له حق نقض جميع القرارات التي يقرها مجلس النواب باستثناء قانون الموازنة واختيار رئيس الوزراء. أما القوانين التي يرفضها مجلس المستشارين فيحق لمجلس النواب أن ينقض قرارات مجلس المستشارين باعتماد تلك القرارات بأغلبية الثلثين. وكذلك الأمر بالنسبة إلى القوانين التي

يقرها مجلس النواب، ولا يصوت عليها مجلس المستشارين، فمن حق الحكومة إعادة إدراجها وتمريرها بأغلبية الثلثين. وليس هناك فصل بين السلطتين التنفيذية والتشريعية، فرئيس الوزراء ومعظم أعضاء الوزارة هم من أعضاء البرلمان[1].

ثالثاً: نبذ الحرب

تشكل الفقرة التاسعة من الدستور مادة من أهم مواده وأكثرها حساسية ألا وهي المادة المتعلقة بنبذ الحرب، حيث تنص على تخلي الشعب الياباني عن الحرب إلى الأبد، ولتحقيق هذا الهدف، فليس من الممكن أن يحتفظ بأي قوة برية أو جوية أو بحرية أو غيرها من مقومات الحرب. وخلافاً لما هو معروف، فإن إدراج هذه الفقرة في الدستور لم يكن برغبة إدارة الاحتلال فقط، وإنما كان استجابة لرغبة كثير من اليابانيين المناهضين لسياسات المؤسسة العسكرية سابقاً، حيث كانوا يضغطون على (مكارثر) من أجل إدراج هذه الفقرة في الدستور؛ لأنهم كانوا لا يريدون عودة المؤسسة العسكرية وتكرار التجربة المريرة معها بعد نهاية الاحتلال.

4.5. بوادر ظهور النظام السياسي الجديد:

عاشت اليابان أياماً عصيبة بعد نهاية الحرب كما أسلفنا. وعلى الرغم من أن الدستور فرضه الاحتلال عليهم، وأن بلادهم

(1) اليابان دولة وشعب وحضارة. ص 37.



محتلـة من قبل مئات الآلاف من الجنود الأجانب، وهي المرة الأولى التي تحتل أرضهم في تاريخهم الذي يمتد آلاف السنين، وكل ذلك لم يمنع اليابانيين من الممارسة الديمقراطية، عندما سنحت الفرصة لهـم. ولذلك ومـع اقتراب موعـد الانتخابات النيابيـة التي وعدت سـلطة الاحتلال بإجرائها أخـذت بوادر الخارطة السياسـية التي تشكلت من أحزاب بعضها قديم وآخر جديد، وسرعان ما انقسمت الأحزاب إلى معسـكرين: الأول يمثل اليمـين المحافظ والآخر يمثل التقدميين أو الإصلاحيين.

كان المعسـكر المحافظ مكونـاً من بقايا المؤسسـة الحاكمة في حقبـة ما قبل الحرب. وعلى الرغم من قيام الاحتلال بحل الجيش وحملة التطهير التي شـملت كبار رجالات المؤسسـة السابقين، فقد اسـتطاع هذا المعسـكر أن يلمّ شـمله، وأن يجمع شـتات ما بقي من مؤسسـة الحكم. أما المعسـكر التقدمي أو الإصـلاحي، فكان يمثل المعارضـة السـابقة التي تشـمل المثقفين من حملة الفكر اليسـاري والشـيوعيين والاتحادات العمالية، ولذلك كانـت نظرة الناس لهم أنهم منظرون، وليسوا رجال دولة.

وفي العاشـر من (إبريل) 1946م أي بعد نحو ثمانية أشهر من استسـلام اليابان جرت أول انتخابات نيابية تحت سلطة الاحتلال، وجاءت نتائجها انعكاساً للحالة الاجتماعية والسياسية التي تمر بها



البلاد. فقد صوت ثلث الناخبين للمستقلين وأكثر من ستين من الأحزاب الصغيرة وعلى الرغم من ذلك، فقد أثبتت الأحزاب التقليدية وجودها في الساحة السياسية، فاستطاع الاشتراكيون أن يضاعفوا من أصواتهم، ففازوا بنسبة 17.8 % وحصل الحزب الشيوعي الذي كان محظوراً منذ 1924م وأعيد اعتباره بعد الاحتلال على نسبة 3.8% وحصل الحزب الليبرالي المحافظ الذي أُعيد تشكيله تحت قيادة السياسي المخضرم هاتوياما والتقدميون على 43% من الأصوات. وحصل الحزب الليبرالي على 140 مقعداً، وهي أكثر المقاعد التي يحصل عليها أي حزب، وإن لم تصل إلى الأغلبية البسيطة، لكنه أصبح من حقه محاولة قيادة ائتلاف حكومي. ولأن زعيم الحزب ممن شملتهم حملة التطهير لم يكن بوسعه تشكيل الحكومة، ولذلك تم تكليف السيد (شيغرو يوشيدا) الدبلوماسي المرموق وأحد معارضي المؤسسة العسكرية قبل الحرب وفي أثنائها الذي شغل منصب وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة بتشكيل أول حكومة منتخبة بعد الاحتلال[1].

يشرح رئيس الوزراء السيد يوشيدا حالة البلاد عشية اختياره لرئاسة الحكومة، فيقول:

«كانت هناك حالة نقص شديد في المواد الغذائية التي ضاعف من أثرها إطلاق المخزون الغذائي للجيش السابق إلى الاستهلاك

(1) Reischauer, p-214.



العام. وما زاد من سوء الأمور كون عام 1945م عاماً سيئاً بالنسبة إلى محصول الرز، وكان من المتوقع أنه قبل حلول موسم الحصاد عام 1946م حصول مجاعة قد تقتل ما يقارب عشرة ملايين نفس من الجوع وسوء التغذية. ولذلك أصدرت وزارة الزراعة والغابات تحذيراً شديداً من أن هذه الوفيات سوف تحصل إذا لم يتم استيراد 4.5 ملايين طن من المواد الغذائية.

في (مايو) 1946م أصبح من الصعب الاستمرار في توفير الحصص التموينية، التي هي أقل من الحد الأدنى، ولذلك لم يصبح بمقدور النظام التمويني الاستجابة للطلبات المفروضة عليه. هذه الظروف الصعبة عندما وصلت إلى أسوأ أحوالها استغلتها العناصر المتطرفة والعنيفة في المجتمع في إقامة تظاهرات عنيفة في الشوارع. كانت هذه هي الحالة في ربيع 1946م عندما أصبحت رئيساً للوزراء».

«وكانت المهمة الأخرى التي جابهت الحكومة والأمة هي مواجهة آثار التضخم الاقتصادي وفي الوقت نفسه رفع مستوى إنتاج المواد الأساسية، مثل المواد الغذائية والفحم، حيث إن إنتاج هذه المواد كان قد انخفض عن مستويات ما قبل الحرب، ومن المعلوم أن إدامة الحرب كانت قد استلزمت إدخال كميات كبيرة من السيولة النقدية إلى التداول، وهي الأسباب نفسها التي ولدت

التضـخم. ولذلك، فقد أصبح لزاماً على اليابان التي لا تزال تحت صدمة الحرب أن تعالج هذه المشكلات الاقتصادية قبل أن تفكر في إعادة بناء اقتصادها»[1].

كان السـيد يوشيدا الشخص المناسب في الوقت المناسب؛ فهو يتمتع بصـفات فريدة جعلت منه رجل المرحلة بالنسـبة إلى اليابان وقيـادة الاحتلال، فهـو ياباني متشـبع بالأفكار والتربيـة اليابانية بسبب خلفيته العائلية وأصله المتصل بالساموراي، وفي الوقت نفسه، فهـو على علم دقيق بالحضـارة الغربية والعقلية الغربية وأسـاليب التخاطب معها من خلال عمله سـفيراً لبلاده في دول أوروبية مهمة وعلـى علاقة وثيقة بالقطاع الاقتصـادي الياباني من خلال عائلته العاملـة في التجارة. أضـف إلى ذلك بعض الصـفات الشخصـية المهمـة، مثـل البراغماتية وحب النكتـة والمزاح، وهذه صـفة نادرة جدّاً عند اليابانيين، حيث ساعدته على امتصاص اندفاعات قيادة الاحتلال والقائد العسكري (مكارثر) المعروف بصرامته. وللتدليل علـى اسـتخدامه النكتة في مواقف عدة نذكـر واقعتين تدللان على أسلوب السيد (يوشيدا) في التعامل مع (مكارثر):

يروي السيد يوشـيدا أنه دُعي للاجتماع مع (مكارثر) وجلس على كرسي في وسط المكتب، وكان (يوشيدا) قصير القامة مع بدانة

(1) Yoshida pp-51-53.



واضحة، في حين أن (مكارثر) كان طويل القامة. أخذ (مكارثر) يلقي على يوشيدا خطبة طويلة حول ما يجب على اليابان أن تعمله، وأخذه الحماس، وكان يمشي في الغرفة وهو يلقي كلمته، فما كان من (يوشيدا) إلا أن أخذ يضحك، فتوقف (مكارثر) متعجباً من سلوك (يوشيدا) وسأله عن سبب ضحكه؟ فقال السيد يوشيدا: لا شيء إلا أن منظري معك وأنا جالس هنا في الغرفة وأنت تروح، وتأتي ذكرني بصورة الأسد الذي جاء بفريسته إلى العرين وهو يداعبها قبل أن ينقض عليها. يقول: سكت (مكارثر) لحظة، ثم أخذ يضحك معي.

حادثة أخرى يرويها السيد يوشيدا في كتابه، فيقول:

«عندما تبين للجنرال (مكارثر) أن تقديرات وزارة الزراعة والغابات حول حاجة اليابان إلى 4.5 مليون طن من المواد الغذائية مبالغ فيها، وأن الحاجة الحقيقية هي في حدود 700 ألف طن اشتكى لي من هذا الأمر، فقلت له: لو أن اليابان كانت تمتلك نظاماً إحصائيّاً جيداً لما دخلت في مغامرة الحرب في المحيط الهادي، وأننا لو امتلكنا الإمكانيات الإحصائية الجيدة فربما كنا سنفوز في الحرب. عند هذه النقطة أخذنا نضحك معاً»[1].

(1) Yoshida, p-52.



كانت أولويات السيد يوشيدا ترتكز في هذه المرحلة على معالجة الأوضاع الاقتصادية المأساوية التي خرجت بها اليابان من الحرب العالمية وإنعاش الاقتصاد وإنهاء الاحتلال وتأسيس علاقة صداقة مع الولايات المتحدة. ولكي يحقق ذلك كله، كان عليه أولاً أن يكون حلقة الوصل بين اليابان وقيادة الاحتلال وأن يقوم بدور التخفيف من اندفاعات المسؤولين في قيادة الاحتلال وتطلعاتهم غير الواقعية أحياناً وملاءمة ذلك مع تطلعات اليابانيين واهتماماتهم التي في كثير من الأحيان أبعد ما تكون عن اهتمامات قيادة الاحتلال. يقول السيد (يوشيدا) في وصف الحالة:

«لقد كان بعض الموظفين في قيادة الاحتلال من المنظرين التقدميين... الذين يؤمنون ببناء اقتصاد على درجة عالية من التخطيط، وهم من خلال اندفاعهم كانوا يحاولون توجيه الحكومة اليابانية في كل قضية وفي كل مجال ولسبب واحد، وهو وضع نظرياتهم موضع الاختبار»[1].

شهدت الانتخابات الثانية لمجلس النواب التي جرت في 25 (إبريل) 1947م سقوط كثير من المستقلين والأحزاب الصغيرة التي لم تحصل هذه المرة إلا على 11% من الأصوات، وظهر حزب جديد اسمه حزب التعاون الذي حصل على نسبة 7% من الأصوات،

(1) Yoshida, p-53.



وتقاسمت الأحزاب الثلاثة الكبيرة، وهي الاشتراكيون والليبراليون والديمقراطيون (الاسم الجديد للتقدميين) نسبة 78% المتبقية. ولأن الليبراليين خسروا تسعة مقاعد ولكون الحزب الاشتراكي هو الذي حصل على أكبر عدد من المقاعد، فقد شكل زعيمه (كاتاياما) ائتلافاً مع الديمقراطيين وحزب التعاون لتشكيل الحكومة.

كان تشكيل الحكومة من قبل الاشتراكيين بداية سلسلة من التناقضات داخل الحزب بعضها بسبب معارضة الجناح اليساري لسياسة الاحتلال التي صار واجباً على الحزب ليس فقط السكوت عليها وإنما تنفيذها، وهذه الحقيقة فجرت الصراع بين أعضاء الحزب الذين اكتسبوا شعبيتهم من خلال انتقادهم سياسة الاحتلال التي وجدوا أنفسهم جزءاً منها. ومع تفاقم الخلافات لم يجد رئيس الوزراء بدّاً من الاستقالة بعد أقل من سنة من توليه رئاسة الوزارة وخلفه السيد (أشيدا) زعيم الحزب الديمقراطي في رئاسة الحكومة، ولكن هذه الحكومة لم تكن بأوفر حظّاً من سابقتها، وذلك للأسباب نفسها، فاضطر رئيس الوزراء إلى الاستقالة بعد انسحاب الاشتراكيين من التحالف الحكومي وتم تكليف زعيم الليبراليين السيد (يوشيدا) بتشكيل حكومته الثانية معتمداً على تحالف هش، ولذلك سارع إلى حل مجلس النواب والدعوة إلى انتخابات عامة، التي جرت في 23 (يناير) 1949م، وكانت نتيجتها

أن الناخبين عاقبوا الحزبين الاشتراكي والديمقراطي على أدائهم الضعيف في الحكومة، وفاز الحزب الليبرالي فيها بحصوله على 44% من الأصوات و264 مقعداً في مجلس النواب، وهي أغلبية مكّنت زعيم الحزب (يوشيدا) من تأليف حكومته الثالثة[1].

5.5. اتفاقية سان فرانسيسكو:

في 8 (سبتمبر) 1951م وقعت اليابان اتفاقيتين في مدينة سان فرانسيسكو، هما:

أولاً: معاهدة السلام التي سُمّيت بمعاهدة سان فرانسيسكو التي وقعتها اليابان مع دول الحلفاء والتي انتهت بموجبها حالة الحرب، وتعهدت اليابان بدفع تعويضات الحرب لدول الحلفاء وللمتضررين من الأسرى الذين أساءت اليابان معاملتهم. وبنيت هذه الاتفاقية على أسس ميثاق الأمم المتحدة والإعلان الدولي لحقوق الإنسان.

ثانياً: الاتفاقية الأمنية بين الولايات المتحدة واليابان التي عرفت بـ (نظام سان فرانسيسكو) وهي التي منحت اليابان الاستقلال السياسي تحت المظلة الأمريكية.

5.5. أهم القيادات السياسية في هذه المرحلة:

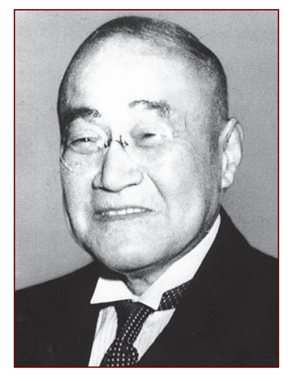
لم تأتِ التغييرات السياسية التي أعادت هيكلة المجتمع الياباني وبناء مؤسسات جديدة مغايرة لما كانت عليه في السابق، من فراغ،

---

(1) Reischauer, p-214.



وإنما كانت حصيلة جهود لرجال آمنوا بها، واتخذوها سبيلاً لقيادة الأمة في طريق جديد بغض النظر عن الدوافع والأهداف الخاصة التي دفعوا في سبيلها أثماناً باهظة. وسوف نكتفي هنا بذكر ثلاثة من القادة نذكرهم، وندرس سيرهم لأهمية أدوارهم، على أن هذا لن ينقص من أدوار الآخرين الذين كانت لهم مساهمات أخرى قد لا تقل أهمية عن مساهمة هؤلاء، الذين هم: السيد **يوشيدا** الذي نعدّه القائد الذي عالج جراحات اليابان، ووضع أمام الأمة هدف إعادة البناء، واستطاع أن يجد دوراً إستراتيجيّاً جديداً لها ضمن المنظومة الدولية الجديدة التي سمّيت الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي والتي بدأت بوادر ظهورها على الساحة الدولية متمثلة في الحرب الكورية. ثم السيد **كيشي** الذي يعدّ مؤسس نظام 1955م الذي مكّن التيار اليميني المحافظ من التحالف مع الولايات المتحدة وحكم اليابان طوال المدة من عام 1955م إلى عام 2010م، بإستثناء مدة شهور محدودة حكم فيها ائتلاف المعارضة اليسارية. ثم نختم بدراسة شخصية السيد **ساتو**، وهو رئيس الوزراء الذي حكم أطول مدة في تاريخ اليابان، واستطاع أن يعيد اليابان إلى الساحة الدولية، وأن يبدأ مرحلة قيادة اليابان لعملية إعادة البناء في شرق آسيا.



- **شيغيرو يوشيدا**

- ولد (شيغرو يوشيدا) في منطقة (يوكوسكا) وهي من ضواحي طوكيو في 22 (سبتمبر) عام 1878 في عائلة (توسا) وهي من عوائل الساموراي التي أدّت دوراً مهمّاً في حركة ميجي التغييرية. ولكنه غيّر اسمه، وانتمى إلى عائلة يوشيدا، وهي من العوائل المعروفة بالتجارة.
- تخرج في جامعة طوكيو عام 1906م، والتحق بسلك الخدمة الخارجية وعيّن قنصلاً عامّاً في (موكدن) بمنشوريا.
- عيّن وكيلاً لوزير الخارجية عام 1928 ثم سفيراً لليابان في روما.
- عام 1936 رُشّح لمنصب وزير الخارجية، لكن الجيش عارض ترشيحه بسبب آرائه الليبرالية، وكان دستور ميجي قد أعطى حق (الفيتو) للجيش على أمور مثل الموازنة والتعيينات الحكومية وبسبب رفض الجيش له وزيراً للخارجية عين سفيراً لليابان في المملكة المتحدة.
- عام 1939 تقاعد من الخدمة الخارجية.



- عام 1945 أودع السجن بسبب معارضته للسياسة العسكرية، ولدعوته إلى التفاوض مع الحلفاء لإنهاء الحرب التي لم يكن يرى من ورائها طائلاً.
- بعد الاحتلال عيّن وزيراً للخارجية في الحكومة المؤقتة عام 1945م.
- عام 1946م عيّن رئيساً للوزراء في أول حكومة دستورية يابانية بعد الحرب؛ وذلك لكونه الشخص الثاني في الحزب الليبرالي، ولكون زعيم الحزب السيد هاتوياما قد شملته حملة اجتثاث قادة المرحلة الإمبريالية.
- كان هدفه غير المعلن الذي أسرّ به لأحد أصدقائه أنه «كان يريد أن يعوض ما خسرته اليابان في الحرب من خلال الدبلوماسية»[1].

مبدأ يوشيدا: وضع أسس السياسة اليابانية لمرحلة ما بعد الحرب التي عرفت بـ (مبدأ يوشيدا) والتي تقوم على أساسين، هما:

1- داخليّاً: إعادة إعمار اليابان وبناء اقتصاد قوي وتوفير اليد العاملة والمدربة لذلك.

2- خارجيّاً: الاعتماد الكلي على الولايات المتحدة الأمريكية في نواحي الأمن القومي والسياسة الخارجية.

(1) Duus, p-241.

- عـام 1952م وقـع اتفاقيـة سـان فرانسـيكو التـي أنهت حالة الحرب، وأعادت السيادة لليابان.
- عـام 1954م وبعد إعادة الاعتبار للسـيد هاتوياما تمت إزاحة (يوشيدا) من رئاسة الوزارة لمصلحة هاتوياما.
- توفي في 22 (نوفمبر) 1967م.
- السـيد يوشـيدا هو جـد رئيس الوزراء الأسـبق السـيد (تارو آسو) لأمه.

نوبوسوكي كيشي



- ولد في محافظة ياماغوتشي في 13 (نوفمبر) 1896م لكنه غيّر اسمه إلى اسم العائلة التي تبنته، وهي عائلـة كيشـي. وهـو الأخ الأكـبر لرئيـس الـوزراء أيسـاكو سـاتو رئيـس الـوزراء في المـدة مـا بين 1964-1972م.
- بعد التخرج في جامعة طوكيو عام 1920م دخل سـلك الخدمة المدنية، وعيّن في وزارة الصناعة والتجارة.
- عـام 1936م أرسـل إلـى الصـين ليعمـل مع سـلطة الاحتلال مسؤولاً عن الصناعة.



- عـيّن وزيـراً للصـنـاعة والتجارة، وهـي الوزارة المسـؤولة عن التصـنيع العسـكري في وزارة الحرب التي رأسـها توجو بين 1941-1944.
- بعـد انتهـاء الحرب واستسـلام اليابـان اعتقل مـع مجرمي الحرب من الدرجة (أ) لكنه لم يحاكم، ولم يحكم عليه، ومع ذلك كان في قائمة الممنوعين من ممارسة السياسة حتى عام 1952م عندها عاد ناشـطاً في الحزب الديمقراطي، وأصـبح من قيادات الحزب.
- أهـم إنجازاته على صـعيد السياسـة الداخلية كان تأسـيس النظـام السياسـي الـذي عـرف بنظـام 1955م والـذي نتج عـن اتحاد الحزبـين الليبرالي والديمقراطي الـذي نتج عنه إنشـاء الحزب الليبرالي الديمقراطـي، وهو الجبهة اليمينية المحافظة التي أراد منها كيشـي الوقوف للحيلولة دون وصول الاشتراكيين للسلطة، وبالفعل فقد نجح هذا النظام في حكم اليابـان طوال المـدة من 1955م وإلـى 2009م باسـتثناء مدة قصيرة لا تتجاوز السنة حصل فيها الاشتراكيون على رئاسة الحكومة.
- عام 1957م أصبح كيشي رئيساً للحزب الليبرالي الديمقراطي ورئيساً للوزراء.

- جعل من زيادة شعبية الحزب أولويته، فدعا إلى زيادة عضوية الحزب من خلال حملة تعريفية بالحزب وأهدافه خصوصاً في القرى والأرياف، وذلك من خلال حملة (خمسة ملايين عضو) وبالفعل، فقد آتت الحملة ثمارها، وازداد تمثيل الحزب في الانتخابات المقبلة.
- أما على صعيد السياسة الخارجية، فكانت أهم إنجازات حكومة كيشي هي الحصول على عضوية مجلس الأمن ودفع التعويضات لإندونيسيا وجيكوسلوفاكيا وإعادة اليابان إلى المجموعة الدولية. ويُعدّ توقيع المعاهدة الأمنية الجديدة مع الولايات المتحدة عام 1960م الإنجاز الأهم لكيشي الذي استطاع أن يحقق من خلالها كثيراً من المصالح لليابان[1].
- وبذلك يُعدّ كيشي مؤسس السياسة اليابانية التي ترتكز على ركيزتين، هما: داخليّاً حكم اليمين المتمثل في الحزب الليبرالي الديمقراطي، وخارجيّاً الاعتماد على الولايات المتحدة في القضايا الأمنية والسياسة الخارجية.
- في مدة حكمه انتعش الاقتصاد الياباني، لكن ذلك لم يسعفه، إذ تظاهرت الجماهير من الاتحادات العمالية والطلبة ضد سياسته الموالية لأمريكا، وأجبر على الاستقالة عام 1960م.

(1) Encyclopedia Americana, vol. 14 p- 460.



- والد زوجة السيد شنتارو آبي السياسي الياباني المخضرم، ووزير الخارجية في حكومة ناكاسوني الذي هو والد السيد (شنزو آي) رئيس الوزراء الياباني الحالي.
- توفي السيد كيشي في طوكيو في 7 (أغسطس) 1987م.

نظام 1955م

كما ذكرنا، فقد تمكن كيشي وبدفع من رجال الأعمال والشركات الكبيرة التي كانت تراقب الشعبية التي يتمتع بها الحزب الاشتراكي من توحيد القوى اليمينية المتمثلة في الحزب الليبرالي والحزب الديمقراطي تحت راية حزب واحد، وهو الحزب الليبرالي الديمقراطي الذي جمع شتات كبار البيروقراطيين ورجال الأعمال والسياسيين القدامى والقيادات التي سبق أن منعت من ممارسة السياسة بحسب أوامر الاحتلال. وعرف هذا النظام بنظام 1955م الذي حكم بموجبه اليمين اليابان طوال حقبة ما بعد الحرب باستثناء شهور محدودة استطاع الحزب الاشتراكي أن يشكل فيها الحكومة. وشهدت المدة الأولى بعد إعادة رسم الخريطة السياسية لليابان صراعاً بين المعسكرين اليميني المتمثل في الحزب الليبرالي الديمقراطي واليساري المتمثل في الحزب الاشتراكي حول قضايا مهمة كانت ولا تزال تشكل نقاط تماس بين المعسكرين وإلى يومنا هذا. ولعل أهم هذه القضايا ما يأتي:



1- الموقف من الإصلاحات التي جاءت بعد الاحتلال وخصوصاً فيما يتعلق بالمادة التاسعة من الدستور التي تنص على أن اليابان دولة منزوعة السلاح إلا من قدرة محدودة على الدفاع الذاتي. وكان موقف اليمين أن كثيراً من الإصلاحات التي جاءت عن طريق سلطة الاحتلال لم تكن تناسب اليابان، وأنها جاءت على عجل ودون إدراك لخصوصية اليابان، وأن اليابان استفادت من تجربة الحروب، وأنها لن تتكرر في المستقبل. في حين يرى المعسكر اليساري أن محاولات اليمين ترمي إلى العودة باليابان إلى سيطرة العسكر؛ ولذلك عندما فكرت الحكومة عام 1954م في إعادة تشكيل سلطة مركزية لقوات الشرطة شعرت المعارضة بأن هذه المحاولة ما هي إلا عودة إلى سياسات الماضي التي مارست فيها الحكومة سياسة القمع ضد المعارضة، واستخدمت الشرطة المركزية لذلك.

والقضية الثانية التي شكلت نقطة تماس في هذا الباب هي رغبة اليمين من يقود الحكومة في إنشاء وكالة الدفاع الذاتي التي تم تحويلها على الرغم من معارضة اليسار إلى وزارة الدفاع عام 2007م في أثناء حكومة شنزو آبي.

وهنا أيضاً نفهم المشاعر التي كانت تثيرها زيارة رئيس الوزراء الأسبق (جونيشيرو كوئيزومي) لمعبد (ياسوكوني) داخل اليابان وخارجها، وهو المعبد الذي شيد تخليداً لذكرى أرواح



قتلى اليابان في الحرب مع روسيا، ثم أصبح رمزاً للمؤسسة العسكرية وتمت إضافة أرواح كثير من مجرمي الحرب العالمية الثانية الذين أدينوا بالمسؤولية عن الجرائم التي ارتكبتها القوات اليابانية في الصين وكوريا وإندونيسيا، وغيرها من المستعمرات اليابانية.

2- وكانت القضية الثانية تتمثل في الموقف من إعادة الهيكلة المركزية لنظام التعليم التي تنظر إليها المعارضة على أنها عودة إلى سياسة المؤسسة العسكرية التي استغلت المؤسسة التعليمية في تشكيل رأي عام يؤيد الأفكار اليمينية المتطرفة التي استثمرتها المؤسسة العسكرية في تسويق سياستها التوسعية والتعبوية. ولذلك تشكل إعادة كتابة المناهج المدرسية مشاعر الكثيرين في داخل اليابان وخارجها ممن يخشون من عودة المؤسسة العسكرية.

وهذا الجدل مستمر إلى يومنا هذا، ففي التقرير الذي أوردته وكالة كيودو للأنباء آبي في 16 (مارس) 2007 م عن الجلسة البرلمانية لمناقشة برنامج حكومة السيد (شنزو آبي) اعترض زعيم المعارضة ورئيس الحزب الديمقراطي السيد (أوزاوا) على برنامج الحكومة الداعي إلى إصلاح النظام التعليمي بأن النظام المقترح لم يعالج النظرة إلى وزارة التربية بأنها تمتلك الصلاحية لتوجيه وتقديم النصح لمجالس التعليم المحلية التي تمنحها الفرصة للتدخل في شؤون تلك المجالس.



3- أما المسـألة الأخرى التي كانت ولا تزال محل نزاع بين المعسكرين في اليابان فهي مسألة السياسـة الخارجية وطبيعتها. فالمعارضة اليسـارية تدعو إلى انتهاج سياسـة سـلمية تمتـاز بعدم الانحياز لمعسكر دون آخر وخصوصـاً فيما يتعلق بالموقف من الصراع بين المعسـكرين الغربـي والشـرقي في زمن الحرب البـاردة، وكذلك الموقـف اليوم مـن السياسـة الأمريكية تجاه الصـين، حيث ترى المعارضة اليسارية مرة أخرى أن مصلحة اليابان تكمن في سياسة متوازنـة، في حـين يرى اليمـين أن المصـلحة تكمـن وراء انتهاج سياسـة تابعة للولايات المتحدة، وأن نجاح اليابان في بناء نفسـها أمر لا يمكن أن ينفصل عن سياستها الخارجية، وأن أي تغيير في السياسة الخارجية سوف يعرض اليابان وتجربتها للخطر.

4- وتشكل السياسـة الاقتصادية جبهة تجاذب بين المعسكرين، ففي حـين تدعو الحكومة ومن ورائها الحـزب الليبرالي الديمقراطي إلـى ضـرورة انتهاج سياسـة السـوق وإعطـاء الحريـة للقطاع الخاص لكي ينظم نفسـه بنفسـه دون تدخـل كبير من الحكومة يسعى اليسار إلى العمل على انتهاج سياسة تضمن التوزيع العادل للـثروة وتقليصـ الفجوة بين سـكان المدن، حيث الـثراء الكبير وسـكان القرى من المزارعين الذين يعانون قلة الموارد والخدمات مقارنة بسكان المدن.





أيساكو ساتو[1]

- ولد في محافظة ياماغوتشي في 27 (مارس) عام 1901م وتبنته عائلة (ساتو) وكان الأخ الأصغر لرئيس الوزراء (كيشي).
- تخرج في كلية الحقوق في جامعة طوكيو عام 1924م وعيّن في وزارة السكك الحديدية، وشغل فيها مناصب مهمة، منها، مدير السكك الحديدية، وتدرج حتى صار وكيلاً للوزارة.
- عام 1949م انتخب لعضوية مجلس النواب عن الحزب الليبرالي المحافظ.
- عام 1950م انتخب أميناً عامّاً للحزب، وهو المركز الثاني بعد رئيس الوزراء في اليابان.
- شغل مناصب وزارية وسياسية مهمة، منها وزارة البريد والاتصالات (1952) ووزير البناء (1953) ورئيس المجلس التنفيذي للحزب الليبرالي الديمقراطي (1957) ووزير المالية (1958-1960) ووزير التجارة الدولية والصناعة (1961-1962).
- شغل منصب وزير الدولة المسؤول عن الإعداد لدورة الألعاب الأولمبية في طوكيو عام 1964.
- عام 1964م انتخب رئيساً للحزب الليبرالي الديمقراطي ورئيساً للوزراء، وبقي في المنصب حتى عام 1972م وهو بذلك يكون خدم أطول مدة في تاريخ اليابان الحديث. من أهم إنجازاته:

(1) Encyclopedia Americana, vol. 24, p-295.



1. التفاوض مع الولايات المتحدة وإعادة السيادة على جزر بونن (1968) ومن ثم أعاد التفاوض، وأعاد سيادة اليابان على الجزر، ومنها جزيرة أوكيناوا التي تعهدت فيها الولايات المتحدة بإعادة السيادة اليابانية على الجزر وإخلائها من السلاح النووي والاحتفاظ بالقواعد العسكرية الأمريكية فيها.

2- أسهمت اليابان في عهده في إنشاء البنك الآسيوي للتنمية الذي يعدّ أحد العناصر المهمة في عملية التنمية في آسيا.

3. واضع السياسة اليابانية للتعامل مع السلاح النووي، وهي سياسة اللاءات الثلاث، وهي: **لا إنتاج، ولا امتلاك ولا إدخال** للسلاح النووي إلى اليابان.

4- عارض سياسة الرئيس الأمريكي نيكسون في الانفتاح على الصين وعودة الصين إلى الأمم المتحدة والعضوية الدائمة لمجلس الأمن، ووجه السياسة اليابانية في اتجاه الصين الوطنية (تايوان) وكذلك ركز على الانفتاح على الدول الآسيوية.

- فاز بجائزة نوبل للسلام عام 1974م تقديراً لجهوده في وضع أسس سياسة الاستخدام السلمي للطاقة النووية في اليابان.
- توفي في طوكيو عام 1975م.





إعادة بناء الاقتصاد الياباني

إن المراجعة العامة التي قامت بها اليابان بعد الحرب والنتائج التي أفرزتها، لم تكن محصورة في الجوانب السياسية، وإنما تعدتها لتشمل الجوانب الاقتصادية كذلك. وكان من اليسير إدراك أن التضخم الذي أصاب اقتصاد اليابان في حقبة ما بعد الحرب، كان أكبر المشكلات الاقتصادية التي عانتها اليابان آنذاك والتي كانت في أمس الحاجة إلى حل عاجل وجذري يتمثل في رفع الناتج القومي وتوفير فرص العمل وإعادة هيكلة الاقتصاد الذي كان قائماً على اقتصاد الحرب. وبسبب الدمار الذي أصاب البلد وانهيار الصناعة العسكرية، فإن معدل الفرد من الناتج القومي مقارناً بمثيله في الولايات المتحدة انخفض عام 1945م إلى 18% وهي أدنى مستوياته منذ إصلاحات (ميجي).

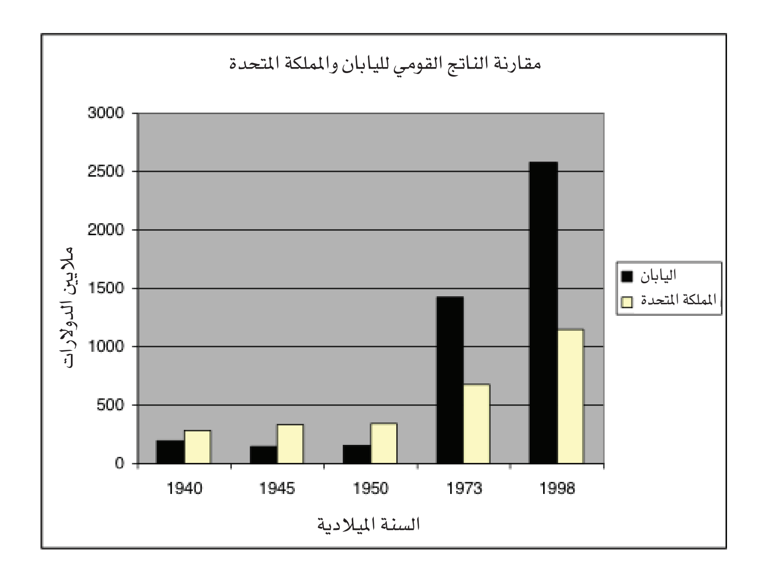
ولمعالجة مشكلة التضخم سارعت حكومة (يوشيدا) عام 1949م بإنشاء وزارة التجارة الخارجية والصناعة (MITI) وذلك بدمج وكالة التجارة الخارجية مع وزارة الصناعة والتجارة الداخلية. وأوكلت إلى الوزارة الجديدة مهمة القيام بكل ما من شأنه زيادة الإنتاج الصناعي وإيجاد فرص وأسواق للتصدير وتوفير البيئة المناسبة لذلك بوضع السياسات المتعلقة بالتجارة الخارجية. ولم ينحصر دور الوزارة في وضع السياسات، وإنما تعداها ليشمل وضع الخطط والإستراتيجيات العامة والتوجيه والرعاية للقطاع الصناعي وتوفير الدعم له في مجالات التكنولوجيا والحماية الجمركية وتوفير المعلومات عن الصناعات المنافسة واحتياجات الأسواق العالمية. وبسبب أهمية الوزارة والأولوية التي أولتها اليابان للتصنيع صار تقليداً على جميع رؤساء الوزارات أن يشغلوا منصب وزير التجارة الخارجية والصناعة قبل تسلّمهم مسؤولية رئاسة الحكومة، واستمرت هذه السياسة حتى عقد الثمانينيات من القرن الماضي، وذلك للتدليل على أن تشجيع التصنيع هو الأولوية الأولى بالنسبة إلى جميع مؤسسات المجتمع والدولة.

1.6. المعجزة الاقتصادية اليابانية

في المدة الواقعة بين عامي 1954 و1967م كان معدل نمو الناتج القومي الياباني أكثر من عشرة في المئة مسجلاً أعلى نسبة في



العالم، وهي أسرع بثلاث مرات من الاقتصاد الأمريكي. والشكل الآتي يوضح نمو الاقتصاد الياباني مقارناً باقتصاد المملكة المتحدة. على أن هذا النمو الذي ليس له مثيل في التاريخ لم يأتِ من فراغ، وإنما يجب أن يفسر ضمن الإطار العام، فخلافاً للدول الآسيوية المجاورة، فإن اليابان كانت تتمتع بخصائص وصفات جعلتها في غنى عن بناء الاقتصاد من الصفر، حيث كانت تمتلك قوة عاملة مدربة ورثتها من حقبة ما قبل الحرب، وكذلك تمتلك شعباً على درجة عالية من الثقافة مع انتشار واسع للمهارات الصناعية وقيم أخلاقية ظاهرة تدعو للتطور مع وجود طبقة إدارية كبيرة إضافة إلى الترابط بين القطاعين الحكومي والخاص في مجال التطوير الصناعي. لقد كانت أسس النهضة الصناعية في اليابان راسخة، ولم تكن هناك حاجة إلا لإعادة البناء وتوجيه الاقتصاد الوجهة الصحيحة، وهنا يأتي دور القيادة التي يفرزها الشعب في إدارة الأزمات وإعادة البناء، سواء كانت في القطاع الخاص أو العام، كما سيأتي شرحه فيما بعد. فإذا ما توافرت هذه العوامل جميعاً مع شيء من حسن الطالع، فإن النجاح سيكون شبه مؤكد.



الشكل 6-1 يوضح النمو السريع للاقتصاد الياباني بعد عملية إعادة الهيكلة الاقتصادية، وهو يعرض أيضاً مقارنة مع اقتصاد بريطانيا، إحدى الدول المنتصرة في الحرب التي كان اقتصادها قبل عام 1951 أكبر بكثير من اقتصاد اليابان، الدولة التي هُزِمَت في الحرب من قِبَل بريطانيا وحلفائها.

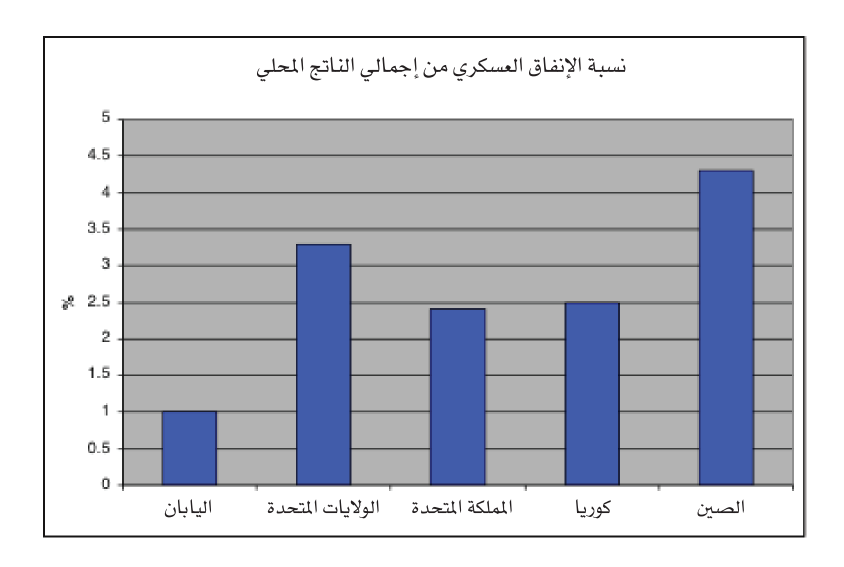
إن النمو الاقتصادي الياباني في مرحلة ما بعد الحرب لم يأتِ من قبيل المصادفة، وإنما ساعدت عليه عوامل عدة، أهمها[1]:

1- الخراب الذي سببته الحرب أعطى الصناعة اليابانية فرصة للتخلص من التقنية التي عفا عليها الزمن وإبدالها بأحدث التقنيات والأساليب الصناعية، وإن اليابانيين استطاعوا، ليس فقط نقل الأساليب الصناعية الغربية، وإنما تطويرها، كما سنرى في مبحثنا القادم عن أساليب التطوير ورفع الجودة الصناعية في استخدام نظريات العالم الأمريكي (أدوارد ديمنغ).

(1) Duus, p-256.



2- إلغاء المؤسسة العسكرية حرّر الإمكانات البشرية والمادية التي كانت متجهة في سبيل خدمة الأغراض العسكرية من النواحي الإدارية والعملية، وسببت إعادة وجهتها في اتجاه إنماء القطاع الاقتصادي المدني، ذلك أن اليابان على سبيل المثال أنفقت عام 1938م نحو 16% من الناتج القومي على القطاع العسكري. في حين أن الإنفاق العسكري الياباني لحقبة ما بعد الحرب لم يتجاوز 1% كما هو مبين في الشكل أدناه:



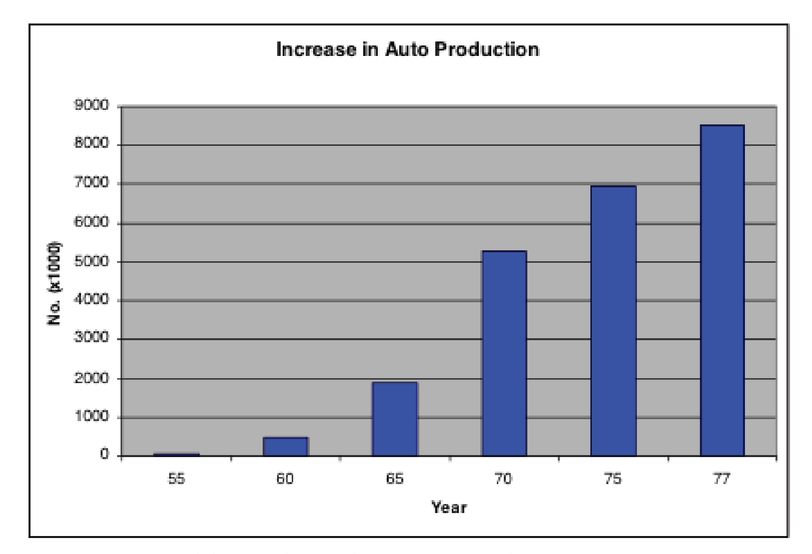
الشكل **6-2** مقارنة نسبة الإنفاق العسكري بين اليابان وبعض الدول.

3- العوامل السكانية: من الأمور التي ساعدت على النهضة الصناعية في اليابان النسبة العالية للتوفير التي يتمتع بها المواطن الياباني مقارنة بالدول الأخرى، ولعل ذلك كان من إحدى نتائج المعاناة التي عاناها الشعب الياباني في أثناء حقبة الحرب.

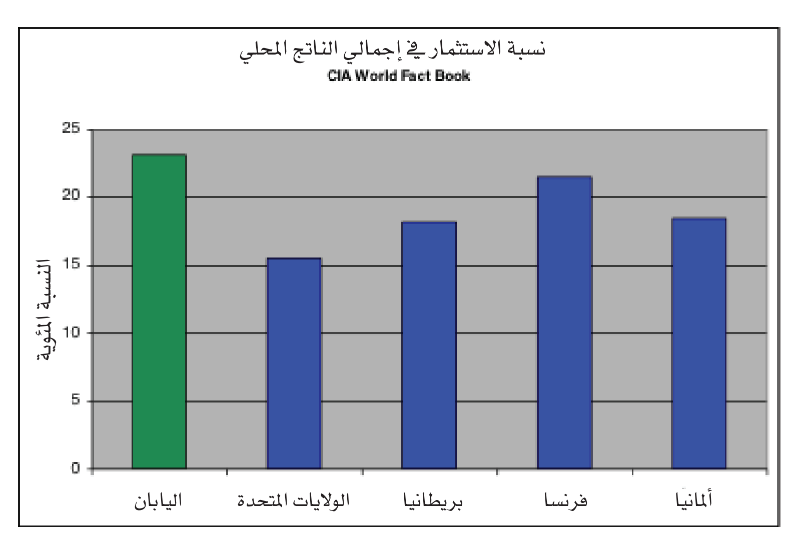
4. العوامل الخارجية التي هي مجمل العوامل الخارجية التي نتجت عن سعي الدول الكبرى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية إلى ترسيخ انتصاراتها ووضع اللمسات الأخيرة على الخريطة السياسية العالمية، ولعل من أوضح وأهم تلك العوامل كان اندلاع الحرب الكورية التي ابتدأت في شهر (يونيو) 1950م بين قوات كوريا الجنوبية التي تحظى بتأييد الأمم المتحدة من جهة وكوريا الشمالية التي تساندها جمهورية الصين الشعبية من جهة أخرى. هذه الحرب التي استمرت قرابة ثلاث سنوات، وما نتج عن وجود للقوات الأمريكية على شبه الجزيرة الكورية منح اليابان الفرصة التي تبحث عنها لإثبات أهميتها في أداء الدور الجديد في الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة والشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي والصين. وإضافة إلى الأهمية السياسية كانت هناك كثير من الفوائد الاقتصادية التي جنتها اليابان من الحرب الكورية بوصفها نقطة الدعم اللوجستي للقوات الدولية في كوريا الجنوبية.



وهناك مثال آخر، وهو حرب (يونيو) 1967م وحرب (أكتوبر) 1973م بين الدول العربية وإسرائيل اللتان نتج عنهما قيام الدول العربية بقطع إمدادات النفط عن الدول التي أيدت إسرائيل، وما يهمنا هنا هو أن هذه المقاطعة التي نتج عنها ارتفاع كبير في أسعار المحروقات في العالم وخصوصاً في الولايات المتحدة أدّت بكثيرين إلى البحث عن السيارات التي تتمتع بكفاءة عالية، ولا تستهلك الكثير من الوقود. لم تكن شركات صناعة السيارات الأمريكية جاهزة لهذه الهزة بعكس الشركات اليابانية التي نزلت إلى الأسواق بسيارات ذات كفاءة عالية وأشكال جميلة ما أدى إلى نمو كبير في إنتاج السيارات اليابانية وزيادة كبيرة في حصتها من الأسواق العالمية، وبذلك استطاعت أن تنافس الشركات الأمريكية في عقر دارها. والرسم البياني يوضح الزيادة الكبيرة في إنتاج السيارات اليابانية في العقود الثلاثة الأولى بعد الحرب، وصدق القائل: **مصائب قوم عند قوم فوائد.**



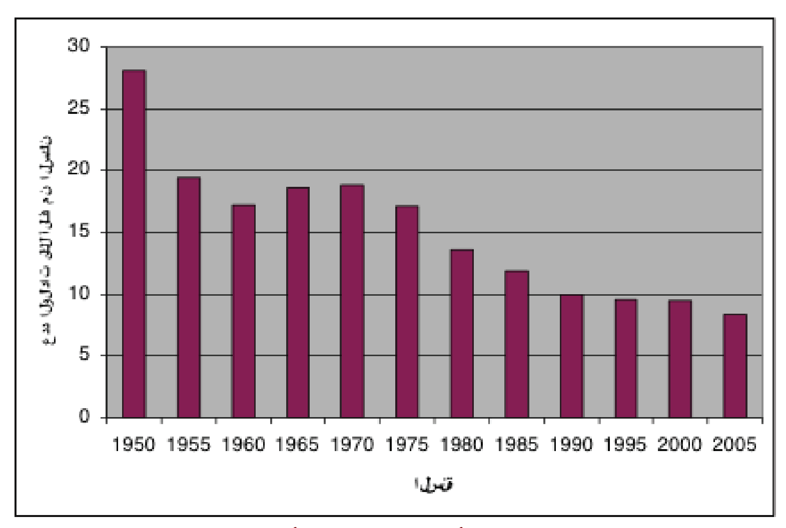
الشكل 6-3 الزيادة الكبيرة في إنتاج السيارات اليابانية



الشكل 6-4 مخطط بياني يوضح نسبة مساهمة الاستثمار في إجمالي الناتج المحلي في اقتصاديات الدول المتقدمة عام 2007م.



إضافة إلى ذلك، فإن استقرار نسبة زيادة السكان في اليابان، لكونها لم تشهد نمواً عالياً في نسبة المواليد في مرحلة ما بعد الحرب. بل على العكس، فإن تلك المعدلات شهدت هبوطاً مستمرّاً منذ نهاية الحرب باستثناء مرحلة صعود قليل للمدة بين 1965م إلى 1970م، ثم ما لبثت النسبة أن عاودت الهبوط وبمعدلات أسرع، كما هو مبين في الشكل البياني أدناه:



الشكل **5-6** مخطط بياني يوضح أعداد المواليد لكل ألف من السكان في اليابان في حقبة ما بعد الحرب[1].

2.6. بناء الجودة في التصنيع

كانت المشكلة الأساسية التي تقف أمام انطلاق الصناعة اليابانية أن جودة البضائع المصنعة لم تكن بالمستوى المطلوب،

(1) Statistical Handbook, p-13.

وإنما على العكس من ذلك، فقد كانت معروفة برداءة الجودة، لدرجة أن ذلك صار السمة الملازمة للمنتجات اليابانية. وما زال بعض مَنْ عاصر تلك الحقبة يتذكر جيداً أن رداءة الجودة كانت المرادف لعبارة (صنع في اليابان). من أجل ذلك فكر اليابانيون في أن يعملوا شيئاً لرفع جودة البضائع، ولم تسعفهم خبراتهم في ذلك حتى وصل إلى سمعهم أن عالماً أمريكيّاً يعمل في مختبرات شركة (بيل) للتليفونات قد طور نظرية في استخدام الإحصاء في السيطرة النوعية ورفع الجودة، فصارت عندهم الرغبة في تعلم هذه النظرية؛ لعلها تفيدهم في تطوير الواقع الصناعي.

وكان حسن الحظ قد خدم اليابانيين هذه المرة، فصادف أن قوات الاحتلال قد استقدمت هذا العالم للمساعدة، ليس على حل مشكلة رداءة البضائع، وإنما على عملية التعداد السكاني المزمع إجراؤه في اليابان عام 1947م. وكان ذلك العالم هو الدكتور (إدوارد دمينغ) الذي كان قد طور نظرية (شوهارت) في أثناء عمله في وزارة الزراعة الأمريكية. وكانت النظرية تقول: إن الإحصاء يمكن أن يستخدم في السيطرة الصناعية ورفع كفاءة الإنتاج. لم يكتفِ (دمينغ) بذلك، بل أضاف إليه جانباً آخر، وهو أن الإحصاء يمكن أن يستخدم ليس فقط في عملية الإنتاج، بل في تطوير عملية الإدارة الصناعية التي تسيطر على الإنتاج.

استغل اتحاد العلماء والمهندسين اليابانيين فرصة وجود الدكتور (دمينغ) في اليابان، ودعوه لإلقاء سلسلة من المحاضرات حول استخدام الإحصاء في السيطرة الصناعية، إضافة إلى شرح تفاصيل أسلوبه الجديد في النظرة إلى عملية الإنتاج وتقليل التكلفة عن طريق رفع الكفاءة الإنتاجية وتقليل التبذير (waste). رحب (دمينغ) بالفكرة، وتحمس لها؛ لأن هذه النظرية التي لم تلقَ قبولاً أو اهتماماً من المؤسسات الصناعية الأمريكية التي كانت في خضم التوسع في الإنتاج الذي جاء عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، ولذلك لم يكن لديها أدنى اهتمام بالجودة، وإنما كان جل اهتمامها رفع كمية الإنتاج وزيادة الأرباح بالاستجابة لحاجة الأسواق، ولأن هامش الأرباح كان عالياً جدّاً وحاجة الأسواق كبيرة، كانت الطريقة التقليدية في التصنيع، القائمة على الإنتاج، ثم الفحص ورمي المعطوب، أكثر من كافية بالنسبة إليهم.

من أدوارد دمينغ وما أسس نظامه لرفع الجودة؟

- ولد وليم (إدوارد دمينغ) في ولاية (آياوا) في الولايات المتحدة عام 1900م.
- حصل على البكالوريوس من جامعة (وايومنغ) في الهندسة الكهربائية عام 1921م.



- حصل على الماجستير من جامعة (كلورادو) عام 1925م والدكتوراه من جامعة (ييل) عام 1928م في الرياضيات الفيزيائية.
- عمل في قسم الإحصاء في وزارة الزراعة الأمريكية في المدة بين عامي 1927م -1937م وتعرف إلى نظرية العالم الإحصائي (شوهارت) الذي يُعدّ مؤسس علم استخدام الإحصاء في السيطرة الصناعية. وجمع وحرر كتاباً عن (استخدام الإحصاء من وجهة نظر الجودة الصناعية) الذي هو عبارة عن مجموعة محاضرات (شوهارت) حول الموضوع.
- طور دمينغ هذه النظرية، وأضاف إليها أهمية الإحصاء في إدارة العملية الإنتاجية، ووضع نظاماً صناعيّاً متكاملاً على تلك الأسس النظرية.
- عمل مستشاراً لقسم الإحصاء السكاني في الولايات المتحدة في المدة بين 1939-1945م.
- عمل أستاذاً للإحصاء في جامعة (نيويورك) قسم إدارة الأعمال 1945-1993م. ودرس في جامعة كولومبيا.
- بدأت صلته باليابان عام 1947م عندم استضافته سلطات الاحتلال العسكري في اليابان للعمل مستشاراً في الإحصاء السكاني.
- لبى دعوة اتحاد العلماء والمهندسين اليابانيين، وألقى سلسلة من المحاضرات حول نظريته في الجودة الصناعية. وجد اليابانيون



ضـالتهم في هـذه النظريـات التـي لم يهتـم بهـا الصـناعيون الأمريكان إلا بعد حين.

- اسـتطاعت كثـير من الشـركات اليابانية أن تحقـق تقدماً كبيراً في رفع مسـتويات الجودة، وأصـبحت نظريـة (دمينغ) أكثر من أسلوب صناعي، وإنما منهجية في الإنتاج والتطوير.
- عـام 1960م قدم رئيس الـوزراء الياباني (كيشـي) بالنيابة عن الإمبراطور الوسـام الياباني من الدرجة الثانيـة للدكتور دمينغ على جهوده في إدخال الطرق الحسابية في الإحصاء السكاني.

برنامج دمينغ في رفع الجودة:

وضـع إدوارد دمينغ برنامجاً متكاملاً لرفع الجودة الإنتاجية، ولخص برنامجه في 14 نقطة، وهي[1]:

1. توحيد الهدف: يجب أن يسـير كل من يعمل في المؤسسـة في اتجاه هـدف واحد، وهو رفع الجودة في الإنتـاج. ولكي يتحقق الهدف، فواجـب المؤسسـة أن توفر المـوارد المطلوبـة للإبـداع والبحوث وتطوير العاملين وكذلك تحسين الإنتاج وتطويره.
2. يجب العمل على تغيير المفاهيم والفلسفات والشعور بميلاد عصر جديـد، وعلـى المديرين أن يسـتيقظوا من غفلتهـم، وأن يتعلموا مسؤوليتهم.

(1) Deming p-17-50.



3. الجـودة في الإنتـاج بدلاً مـن الفحص: يجـب إلغـاء الحاجة إلى الفحـص النهائي للمنتج وإبدال ذلـك برفع جودة المنتج والتأكد من أن جميع البضائع المصنعة تستوفي شروط الجودة.

4. تقليـل التكلفـة الإنتاجية، وليس السـعر: يجب الكـف عن إعطاء المشـروعات لمن يتعهد بالإنجاز بالتكلفـة الأقل بغض النظر عن الجودة، وكذلك محاولة بعض الشركات تقليل الأسعارعن طريق شـراء المواد الأولية بأدنى الأسعار دون النظر إلى الجودة وإبدال ذلـك بعملية تقليل تكلفة الإنتاج عـن طريق رفع الجودة والتقليل من الإسراف الذي تسببه عملية إنتاج البضائع المرفوضة التي لا تستوفي شروط الجودة.

5. التطوير المستمر: عملية التطوير عملية مستمرة، وتشمل كل مرافق العمل، كالإنتاج والتطوير والتصميم والخدمات.

6. التدريـب المسـتمر: وذلك بإبـدال التدريب التقليـدي الذي ينقل العامـل إلى بيئـة تدريبية مثالية، وإبدال ذلـك بتدريب العاملين تحت ظروف بيئة العمل الحقيقية.

7. التطبيـق الفعلي للقيادة Leadership في العمل بدلاً من الإشـراف Supervision.

8. إزالة الخوف من قلوب العاملين.



9. إزالة الحواجز بين أقسام العمل في المؤسسة وجعل جميع الأقسام من التطوير والتصميم والخدمات والمبيعات تعمل معاً مع قسم الإنتاج من أجل رفع الجودة.
10. إلغاء الشعارات والعناوين التي تدعو العاملين إلى تقليل العطل في المنتج.
11. إلغاء الأساليب الإدارية التي تدفع في اتجاه أهداف رقمية وإبدال ذلك بإدخال الحرفية في العمل.
12. إزالة جميع الحواجز التي تحول بين العامل، وأن يشعر بالفخر في إنتاج يده.
13. يجب إقامة برامج جادة لتطوير نوعية العاملين.
14. يجب أن يعمل كل من يعمل في المؤسسة على تحقيق هذا التحول الذي هو مسؤولية الجميع، وليس الإدارة فقط.

3.6. التطبيق في اليابان:

استطاع (دمينغ) أن يحدث ثورة صناعية في اليابان في مدة قياسية. والسؤال هو: لماذا نجح دمينغ في اليابان وفشل في أمريكا؟

الإجابة عن هذا السؤال المهم تكمن في أمرين: الأول هو أن الشركات الأمريكية كانت مشغولة جدّاً برفع الإنتاج للاستجابة لحالة التوسع الكبير التي كانت سائدة في المجتمع الأمريكي في



مرحلة ما بعد الحرب. ولأنها كانت توفر الأرباح، فلم يكن عندها الوقت أو الاستعداد للتغيير. أما الشركات اليابانية والاقتصاد الياباني، فإنه كان قد بلغ الحضيض في مرحلة ما بعد الحرب. ولذلك، فإن الإنسان الياباني كان وبلا شك أكثر استعداداً للتغيير.

أما العامل الثاني، فإن السيد (دمينغ) أدرك بعد قليل من بداية اهتمامه باليابان أن عليه ألا يكرر الخطأ نفسه الذي وقع فيه في الولايات المتحدة ألا وهو الاكتفاء بالحديث مع المختصين والخبراء في الموضوع، وليس الذين بيدهم القرار، أما هذه المرة فقد قرر أن يتحدث إلى أصحاب القرار، وبالفعل استطاع في مدة قصيرة إقناعهم بنظريته وأهمية تطبيقها[1]. فبدلاً من الحديث مع أصحاب التخصص في الجودة، كما فعل في الولايات المتحدة، فضل الحديث مع أصحاب القرار، حيث بدأ باتحاد الصناعات اليابانية (كيدانرن) وهو أقوى مؤسسة تمثل كبريات الشركات اليابانية، وهي التي لها الأثر الأكبر في تحديد توجهاتها المستقبلية والمدافعة عن مصالحها.

قامت مؤسسة (كيدانرن) بجمع رؤساء الشركات الكبيرة للاستماع إلى أفكار (دمينغ) الذي استطاع أن يقنعهم بجدوى برنامجه لتطوير الجودة. وكانت النتيجة قيام نظام متكامل للجودة

(1) Aguayo 238.



في اليابان الذي يعرف بنظام (كايزن)[1] والذي يعني عملية التطوير المستدامة. وكلمة (كايزن) في اللغة اليابانية مكونة من رمزين هما:

1- **كاي**: وتعني المدرسة أو التغيير والمضي في سبيل التغيير.

2- **زن**: وهي تعني (جيد) وكذلك من معانيها الحكمة.

وبذلك يكون معنى (كايزن) التغيير الجيد أو التغيير المدروس.

أما باللغة الصينية فتلفظ (غاي شن) ولها المعنى نفسه.

ويقوم نظام (كايزن) على خمسة مبادئ هي:

1- العمل بروح الفريق.

2- الالتزام والانضباط الذاتي.

3- رفع المعنويات.

4- حلقات الجودة.

5- تقديم المقترحات لتطوير العمل.

والمقصود بحلقات الجودة عملية إقامة مجاميع تشتمل على جميع العاملين في جميع أقسام الشركة بغض النظر عن طبيعة عمل القسم أو مستوى العاملين فيه، ويشمل ذلك أقسام المبيعات والتصميم والإدارة والإنتاج وغيرها حتى يشمل من يقومون

(1) Masaaki.

بالحراســة وغير ذلك. كل هذه الفرق تلتقي، وتقوم بوضــع المعايير للعمل والمقترحات المطلوبة لتطوير الأداء وعليها مسؤولية وضع هذه المقترحات موضع التنفيذ ومتابعة النتائج وتدوين العملية.

وهــذه المقترحــات يمكن أن تشــمل جميــع جوانــب العمل، ولا يشــترط أن يكون لها مردود كبير، وإنما لكل فريق أن يحدد أولويات التطوير بحســب ما هو مهم وما هو ممكن. ومن أهم الشركات التي قامت بتطبيق هذه الأنظمة شركة (تويوتا) لصناعة السيارات التي طورت نظاماً متكاملاً لصناعة السيارات، الذي يُعدّ النظام الأفضل عالميّــاً في صــناعة الســيارات. ولقد زرت بنفســي واحــداً من أكبر مصــانع الشــركة في مدينة (تويوتا) واطلعت بنفســي على كثير من الأفكار التطويرية التي اقترحها العاملون في الشركة. وعلى العموم، فإن الشركات اليابانية التي تعمل بنظام (كايزن) تتسلّم على المعدل بين 25–30 مقترحاً من كل عامل في الشركة، وتدخل المقترحات التي يقدمها العامل في تقويم أدائه السنوي من قبل الإدارة.

4.6. آثار التحول الاقتصادي في اليابان

لدراسة التحول الاقتصادي في أي مجتمع من المجتمعات يتخذ العلماء معايير عدة، مثل دراســة انتقال اليد العاملة بين القطاعات المختلفة من الاقتصــاد أو قياس حجم المساهمة لهذه القطاعات في الناتج القومي. وأهم القطاعات هي:



1- القطاع الأولي Primary: ويمثل الأنشطة الاقتصادية التي تشتمل على استخراج المادة الطبيعية من الأرض دون إضافة قيمة صناعية، مثل الزراعة، والرعي، والصيد، واستخراج المعادن من المناجم، وما شابه ذلك.

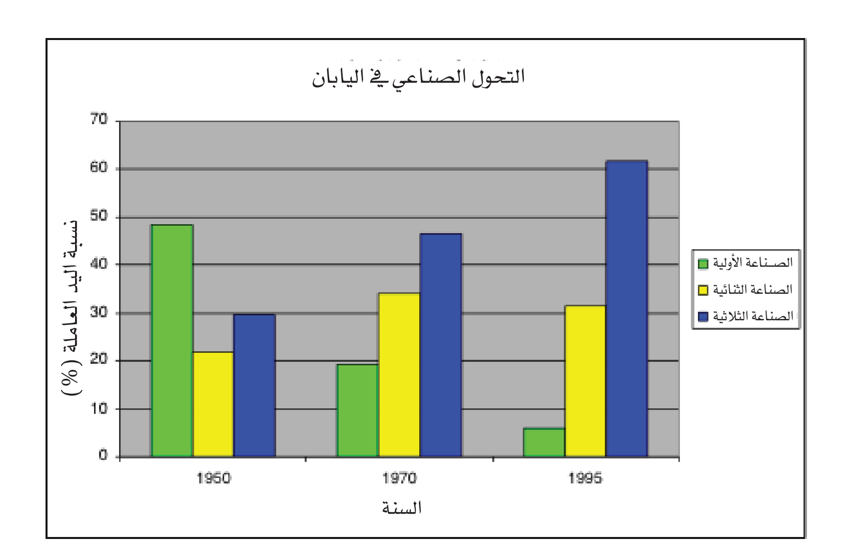
2- القطاع الثانوي Secondary: ويمثل الأنشطة الاقتصادية التي تنتج عنها مواد مصنعة، مثل صناعة الأجهزة والمعدات الثقيلة والخفيفة، كالنسيج وصناعة السيارات والأجهزة الإلكترونية والنسيج وإنتاج الطاقة وبناء البيوت والأنشطة الهندسية.

3- القطاع الثلاثي Tertiary: ويمثل الأنشطة الاقتصادية التي توفر الخدمات للمؤسسات والأفراد، مثل التأمين والبنوك والمطاعم والفنادق والنقل والترفيه، وما شابه ذلك.

ففي الاقتصاديات البدائية تكون المساهمة في القطاع الأولي هي الأكبر؛ ذلك لأن النشاط الاقتصادي مبني على المواد الأولية، مثل الزراعة واستخراج المواد الأولية، مثل النفط والفحم وبيعها من دون تصنيع.

ولدراسة التحول في النشاط الاقتصادي في اليابان في مرحلة ما بعد الحرب نلاحظ أن نسبة اليد العاملة المساهمة في القطاع الأولي قد انخفضت بشكل كبير من 49% عام 1950م إلى 6% عام 1995م، وهذا يدل على تحول العمالة من الزراعة إلى

القطاع الصناعي لأسباب منها ارتفاع الأجور في القطاع الصناعي مقارنة بمثلها في القطاع الأولي وكذلك إدخال المكننة في القطاع الأولي، كالصيد وتربية المواشي والزراعة، وفي الوقت نفسه، فإن هذه الأرقام تعكس زيادة السكان. أما فيما يتعلق باليد العاملة في قطاع الخدمات، فإنها قد زادت من 30% إلى أكثر من 60% للمدة نفسها[1]. كما هو موضح في الرسم البياني أدناه:

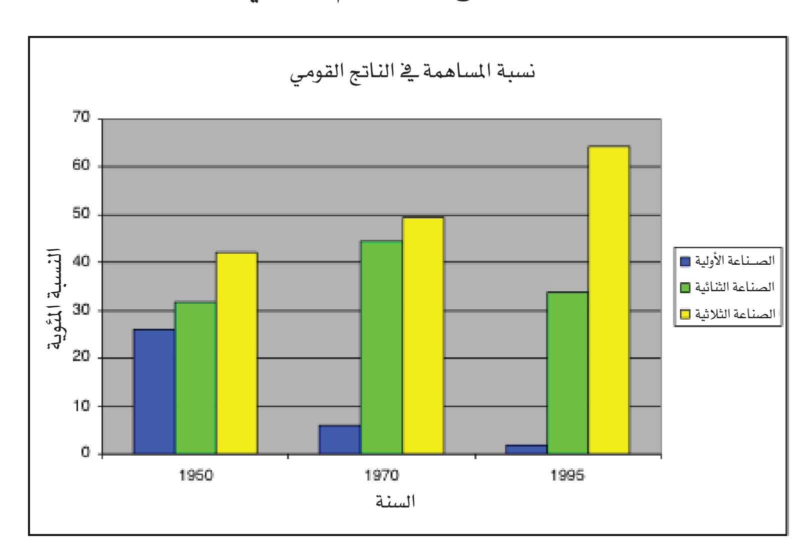


الشكل **6-6** يوضح التغير الكبير الذي حصل في نسبة مساهمة اليد العاملة اليابانية في القطاعات الرئيسة الثلاث التي تعكس التوجه نحو التصنيع في مرحلة ما بعد الحرب.

(1) The Book of Statistics, p-30.



ونلاحظ التوجهات نفسها، عندما ندرس التحول في مساهمة القطاعات المختلفة في الناتج القومي، كما هو موضح في الشكل الآتي، فنسبة مساهمة القطاع الأولي مثلاً تحولت من 26% عام 1950م لتقل، وتصل إلى 1.8 % مع حلول عام1990م وهذا دليل على النمو الكبير في القطاعات الأخرى التي أضعفت من نسبة مساهمة القطاع الزراعي وكذلك ارتفاع الأجور التي تؤدي إلى زيادة كمية المواد الأولية المستوردة أمام البضائع المنتجة محليّاً. وعلى العكس نرى أن نسبة مساهمة القطاع الثلاثي ارتفعت للمدة نفسها من 42% إلى 64%، كما هو موضح في الرسم البياني أدناه[1]:



الشكل **7-6** شكل بياني يوضح النمو السريع للناتج القومي الياباني في حقبة ما بعد الحرب العالمية مقارناً بمثيله البريطاني.

(1) Yoshikawa, p-111. also The Book of Statistics, p-30.

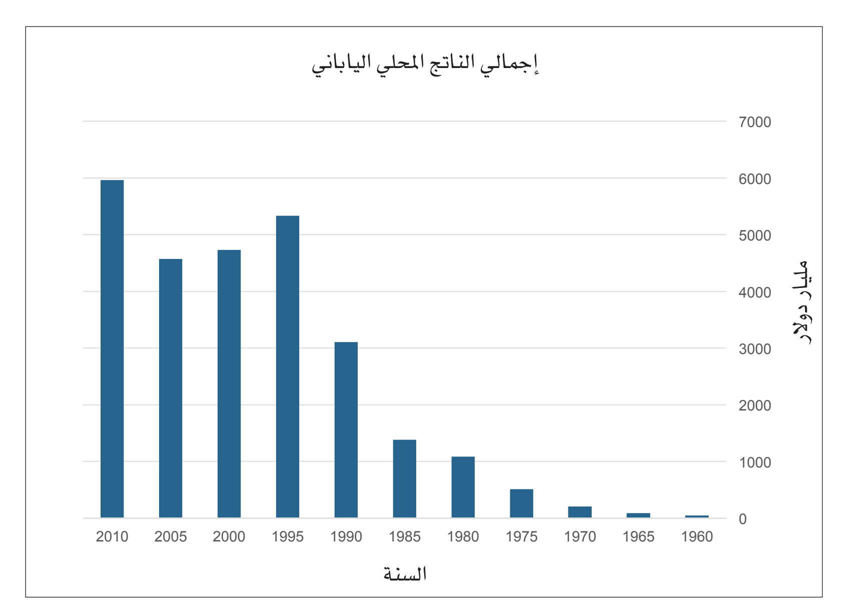
شكل بياني يمثل الزيادة في النسبة بين معدل الناتج القومي للفرد الياباني والأمريكي لحقبة ما بعد الحرب[1].

5.6. معدلات النمو في الناتج القومي الياباني

جميع هذه العوامل دفعت بالاقتصاد الياباني إلى النمو وبشكل كبير، فأصبحت الشركات اليابانية بين عشية وضحاها تقود العالم في مسألة الجودة النوعية في التصنيع. هذه السياسة العامة في التركيز على التصنيع والتصدير التي قام على تنفيذها القطاعان العام والخاص آتت ثمارها بشكل واضح وفي مدة قياسية استطاعت بها اليابان أن تتجاوز كثيراً من الدول المنافسة، والشكل البياني أدناه يعطي تفاصيل أكبر عن حجم النمو في الناتج المحلي الياباني بعد إعادة الهيكلة الاقتصادية. والحقيقة أن الكلمات تعجز عن وصف النجاح الباهر الذي حققته اليابان في هذه المرحلة القياسية، والذي يصدق في وصفه عبارة «المعجزة الاقتصادية».

(1) Evans, p-370.





الشكل 6-8 رسم بياني يوضح نمو الناتج المحلي الياباني بين **1960** إلى **2010**

بقليل من التمعن في هذه النتائج لا بد أن نخلص إلى حقيقة واحدة، وهي أن اليابان من خلال عملية مراجعة النفس والتخطيط السليم والقيادة الحريصة، استطاعت بحق أن تحول الهزيمة إلى نقطة انطلاق وإلى انتصار كبير.



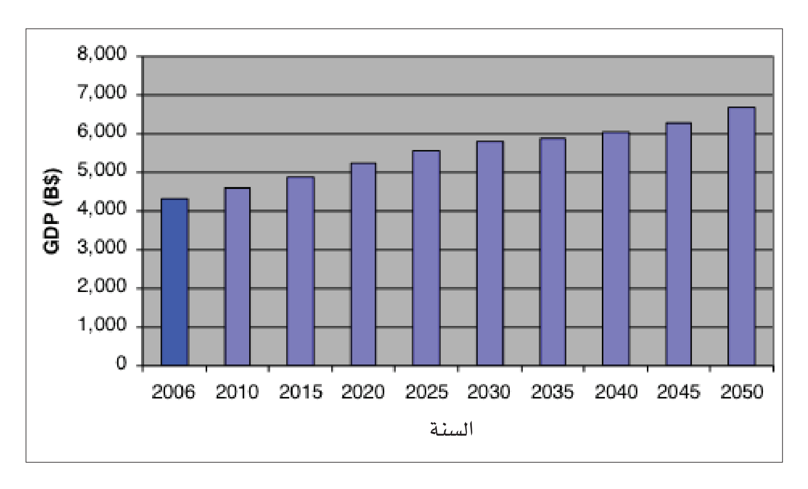




المستقبل: التوقعات والتحديات

1.9 التوقعات المستقبلية:

تشير التوقعات إلى أن الاقتصاد الياباني سوف يحافظ على معدل معتدل من النمو على مدى الأربعين سنة المقبلة ما يؤهله للمحافظة على موقع متقدم في الاقتصاديات العالمية، كما هو مبين في الرسم البياني أدناه. وبسبب أن معدل نمو الاقتصاد الياباني قليل جدّاً مقارنة مع الاقتصاديات الصاعدة، لذلك سوف يفقد المكانة التي كان يشغلها في ترتيب اقتصديات العالم، حيث كان إلى أمد قريب يشغل المرتبة الثانية، التي تنازل عنها أخيراً للصين، بعد الاقتصاد الأمريكي بسبب صعود الدول النامية وخصوصاً الآسيوية منها، مثل الصين والهند وإندونيسيا التي من المتوقع أن تفوق اقتصادياتها، من حيث حجم الناتج المحلي، الاقتصاد الياباني الذي من المتوقع وبحسب دراسة مؤسسة (غولدمان ساكس) أن يحتل المرتبة الثامنة بين اقتصاديات العالم بحلول 2050م.



الشكل 9-1 يمثل النمو المتوقع للناتج القومي الياباني إلى سنة 2050م.

2.9. التحديات المستقبلية:

لم تكـن عملية بناء اليابان في أي وقت من الأوقات سـهلة بأي شـكل من الأشـكال، فوعورة الأرض وقلة الأراضي الزراعية وندرة الموارد الطبيعية لم تمنح الشـعب الياباني فرصة سهلة للبناء، لكن الشعب الياباني بما أوتي من إيمان بنفسه وقدرة عالية على التعبئة لم يتجاوز تلك الصـعوبات فحسب بل حول نقاط الضعف إلى نقاط قـوة واسـتطاع في مدة قياسـية أن يصـبح ثاني قوة اقتصـادية في العـالم وفوق ذلك تمكن من إنجاز تجربة إنسـانية فريدة في البناء كانت ولا تزال محط إعجاب الشعوب.



لكن طريق المستقبل بالنسبة إلى اليابان لم ولن يكن معبداً بالورد، فهناك كثير من التحديات التي تواجهه وسوف تواجهه على المدى القريب والبعيد، هذه التحديات سوف تضع الشعب الياباني تحت الإختبار ليس مرة واحدة بل مرات عدة، وكلنا ثقة بأن ذلك الشعب سوف يخرج منها بخبرات ونتائج كبيرة تغني التجارب الإنسانية، ولسوف تقف الأجيال المقبلة موقف الإعجاب والاحترام لهذا الشعب المكافح وقدرته العالية على تجاوز الصعوبات.

1 - إعادة الإعمار بعد الزلزال

في الحادي عشر من آذار 2011م ضرب الساحل الشمالي الشرقي من جزيرة هونشو، أكبر جزر اليابان، أقوى زلزال عرفته اليابان في تاريخها الحديث، حيث قدرت قوته بـ 9.1 على مقياس ريختر. وتبع الزلزال أمواج بحرية (تسونامي) وصل ارتفاعها إلى أكثر من 30 متراً. وكأن هذه لم تكن كافية، فقد تسببت الأمواج البحرية في إعطاب نظام التبريد في مجمع فوكوشيما الذي يحتوي على أربعة مفاعلات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية ما تسبب في حدوث حرائق في المفاعلات وتسرب كميات كبيرة من المواد المشعة.

هذه الكوارث الثلاث مجتمعة تسببت في أكثر من عشرين ألف قتيل ومفقود وتشريد أكثر من أربعة ملايين شخص إضافة إلى

تدمير البنيــة التحتية في أربع محافظات، مكونــة ما يمكن اعتباره أكبر كارثة في تاريخ اليابان بعد الدمار الذي أحدثته الحرب العالمية الثانية. ومع أن الآثار الكاملة لهذه الكوارث لم يتم إحصاؤها بالكلية لحــد الآن إلا أن التقديرات الأولية تشــير إلى أن الكلفة الكلية لهذه الكوارث قد تصــل إلى ما يزيد على 400 مليار دولار. وكذلك، فمن غير المعروف المدة التي ســوف يستغرقها الاقتصاد الياباني للتعافي من آثار هذه الكوارث.

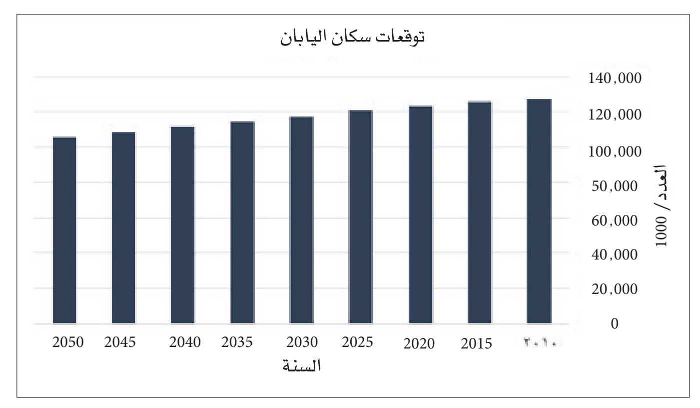
2 - التغيرات السكانية

لعــل واحدة من أهم التحديات التي تواجهها اليابان اليوم هي التغيرات السكانية التي تتمثل في تدني عدد المواليد وارتفاع معدلات الأعمار، هذا التدني يبدو واضــحاً إذا ما نظرنا إلى توقعات البنك الــدولي[1] لأعداد الســكان في اليابان وصــولاً إلى عــام 2050، التي تشير بوضوح إلى مقدار التدني في أعداد السكان، حيث من المتوقع أن ينخفض عدد السكان من 127 مليوناً عام 2010 إلى أقل من 106 ملايين بحلول عام 2050،كما هو مبين في الرسم البياني أدناه.

---

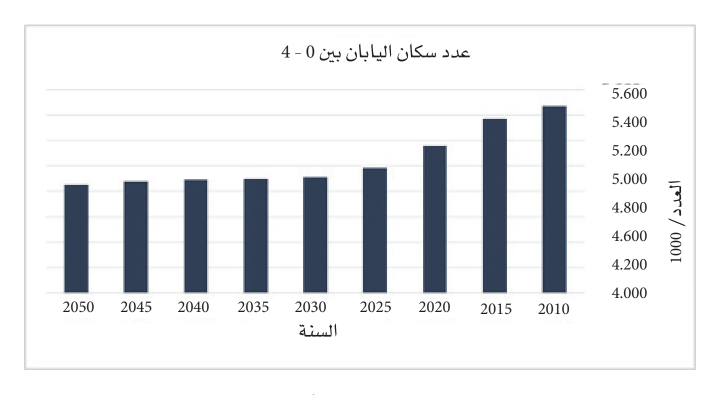
(1) يمكن الرجوع إلى توقعات البنك الدولي لنمو السكان في اليابان ودول العالم في الموقع:
http://go.worldbank.org/KZHE1CQFA0.





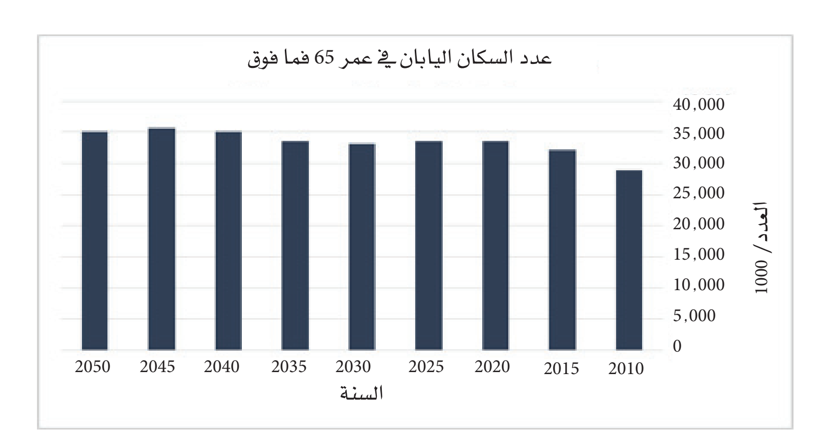
رسم بياني يوضح عدد سكان اليابان بحسب توقعات البنك الدولي

ولكي نفهم هذه الأرقام قمنا بالرجوع إلى توقعات البنك الدولي وبالتحديد إلى الفئتين المهمتين في توضيح المشكل السكاني في اليابان، وهما فئة الأطفال حديثي الولادة، وفئة المعمرين. حيث يوضح الرسم البياني أدناه نسبة التدني الكبير في عدد الأطفال التي سوف تزيد على نسبة 11%.



رسم بياني يمثل توقعات البنك الدولي لأعداد السكان بين 0-4 سنوات

أما بالنسبة إلى الفئة العمرية 65 سنة فما فوق، فإنها الفئة الوحيدة التي تشهد ارتفاعاً ملحوظاً في الأعداد، حيث تقدر الزيادة في أعداد الفئة بنحو 22% على مدى مدة الدراسة، وكما هو مبين في المخطط البياني أدناه. والسبب في الزيادة يعود بالدرجة الأولى إلى زيادة معدلات الأعمار بسبب التقدم في وسائل الرعاية الصحية، حيث تُعدّ اليابان الأعلى عالميّاً من حيث المعدلات العمرية بمعدل يقارب 85 سنة.



توقعات البنك الدولي لأعداد سكان اليابان للفئة 65 سنة فما فوق

إن نسبة التدني في المواليد مع الارتفاع المستمر في معدلات الأعمار التي كانت نحو 60 سنة، عام 1950م ووصلت الآن إلى أكثر من 80 سنة بسبب التحسن في مستوى الخدمات والتعليم. هذه الأرقام وغيرها جعلت من اليابان من أكثر المجتمعات شيخوخة،



كمـا هو موضـح في الأشـكال البيانية السـابقة. كل هـذه تدل على مشـكلة كبيرة تتمثل في قلة اليد العاملة وزيادة في عدد المتقاعدين. إن القاعـدة المهمـة هـي أن المتقاعـد الواحد يحتاج إلـى ثلاثة من العاملين لكي يوفـروا له الدخل المطلوب، لكن مع تقدم الزمن، فإن هذه النسبة في انخفاض دائم في اليابان.

وتدرس اليابان خيارات عدة لمعالجة هذه القضية منها العمالة الوافدة، وخصوصـاً من دول جنوب شـرق آسيا، وهذه تشكل تحدياً بالنسـبة إلى المجتمع الياباني الذي يرفض الجسم الغريب ولا يقبل العمل إلا بما هو (ياباني)، ولذلك فقد يشـكل التوسـع في استقدام الوافديـن تهديداً لخصوصـية المجتمـع الياباني. هذا إضـافة إلى السعي الدائب في الشـركات اليابانية لتطوير صناعة الإنسان الآلي لكـي يحل محل العمـال في كثير من الأعمال الروتينية في المصـانع، وتجري بعض الشـركات تجارب على إنسـان. وإن الحكومة اليابانية تقوم بتطوير إستراتيجيات تهدف إلى زيادة المواليد من خلال توفير حوافز وظيفية للمـرأة اليابانية العاملة وتشـجيعها على الحمل من خلال ضمان عدم فقدانها وظيفتها بسبب الحمل والإنجاب وكذلك توفـير العوامـل المسـاعدة مثـل دور الحضـانة القريبة مـن أماكن العمل. وتقدم الحوافز للشباب من الموظفين وتشجيعهم على إنجاب الأطفال، لكن هذه الأخيرة تواجه صعوبة الضغط العالي الذي تعانيه ميزانية النفقات الاجتماعية والعجز الكبير في ميزانية الحكومة.

3 - العلاقات مع الصين

تمتاز العلاقات بين اليابان والصين بأنها علاقات حب وعداء بامتياز، فلا تكاد تجد بلدين في العالم في تقاربهما مثل اليابان والصين، فالصين هي التي أهدت اليابان أهم ما تمتلك، وهو اللغة الصينية والديانة البوذية والفلسفة الكونفوشية وغيرها. وبسبب ذلك، فقد كان اليابانيون منذ قرون عدة يعدّون الثقافة الصينية هي العامل الأهم في هويتهم القومية. ومع ذلك، فهناك كثير من المنغصات التي عكرت، ولا تزال صفو العلاقات بينهما، ولعل من أهمها:

1 - **التاريخ**: هناك كثير من الأحداث التاريخية التي تركت جروحاً يصعب اندمالها، ومن أهمها الاتفاقات التي فرضتها اليابان على الصين من جانب واحد في القرنين التاسع عشر والعشرين والتي قدر الرئيس الصيني السابق جيان زيمنغ بأنها سببت أضراراً تزيد على 500 مليار دولار، ثم جاء الاحتلال الياباني وما كان فيه من تقتيل واقتياد للنساء الصينيات واستخدامهن للترويح عن الجنود اليابانيين وغيرها. وعادة ما تأتي بعض الأحداث التي تذكر بذلك الماضي الأسود، مثل الزيارات التي يقوم بها المسؤولون اليابانيون لمعبد ياساكوني في طوكيو وهو المعبد الذي وضعت فيه أرواح القادة العسكريين اليابانيين الذين ساهموا في تلك الحوادث التاريخية. وكذلك المناهج



الدراسية اليابانية التي تعتقد الصين أنها لا تذكر الحقائق بشأن تلك الأحداث.

2- **العلاقات اليابانية الأمريكية**: تعدّ الصين وجود القواعد الأمريكية على الأراضي اليابانية مصدر تهديد لها. وتحرص الصين على أن تؤدي اليابان دوراً مستقلاً عن الولايات المتحدة ولكن في الوقت نفسه، فهي تعارض امتلاك اليابان إمكانيات عسكرية هجومية، ولذلك فالموقف الصيني ينتابه نوع من الغموض.

3 - **قضية تايوان**: يمثل موقف اليابان من قضية تايوان نقطة احتكاك بين الصين واليابان، فالموقف الياباني من القضية قريب جدّاً من الموقف الأمريكي. فمع أن اليابان اعترفت بالصين دولة واحدة، إلا أنها تمتلك علاقات اقتصادية متطورة مع تايوان، وهي لا تريد أن تضحي بها. وإن قوى اليمين الياباني تعتقد أن تايوان بلد يحتكم إلى نظام سياسي مبني على الديمقراطية ونظام اقتصادي قائم على مبادئ السوق وهو أقرب الأنظمة إلى اليابان، ولا يريدون أن يروا تلك التجربة تكون تحت الحكومة الصينية التي هي قبل كل شيء لا تؤمن بالممارسة الديمقراطية وتعمل بالاقتصاد المركزي بحسب قولهم. ومن أوضح الأدلة على هذه المواقف الخطاب المشهور الذي ألقاه عام 2006 وزير الخارجية الياباني الأسبق،



ورئيس الوزراء فيما بعد، تارو آسو الذي قال فيه: «إن تايوان بلد يتمتع بمستوى عالٍ من التعليم وإن ذلك مرده إلى أنها كانت محتلة من قبل اليابان» ولم يتوقف عند ذلك الحد بل أعلن بعد شهر من ذلك أن «الديمقراطية متأصلة في تايوان وأن ممارسة الاقتصاد الحر عميقة الجذور». هذه التصريحات طبعاً أثارت حفيظة الصين.

4 - **الأراضي المتنازع عليها:** هناك كثير من الجزر الصغيرة في بحر الصين بين اليابان والصين وتايوان، معظم هذه الجزر صغيرة وغير مأهولة، لكنها موضع نزاع بين البلدين. وتصر الصين على أنها اكتشفت هذه الجزر قبل القرن الخامس عشر، في حين أن اليابان تصر على أنها كانت تحت السيطرة اليابانية في المدة بين 1895 وحتى استسلام اليابان بعد الحرب العالمية الثانية. هذه الجزر مهمة بسبب موقعها الإستراتيجي وأيضاً بسبب احتمال وجود حقول للغاز الطبيعي في المياه التي حولها والتي يريد البلدان العمل على استكشافها.

وخلاصة الأمر أن الخلاف بين القطبين الاقتصاديين في آسيا يعود إلى المنافسة على الموارد الطبيعية التي يحتاج إليها كل منهما لتحريك عجلة التصنيع إضافة إلى الأسواق التي تحتاج إليها لتصدير البضائع. ومع ذلك، فإن العلاقات الاقتصادية بين



البلدين شــهدت نمواً منقطع النظير بعد انهيار المعسكر الشيوعي، حيث وصــل حجم التبادل التجاري بين الاقتصادين الثاني والثالث في العالم إلى قرابة 300 مليار دولار.

4 - خطر أسلحة الدمار الشامل في كوريا الشمالية

تمتــاز العلاقات بين اليابان وجيرانها بالتعقيد بســبب تداخل المصــالح مع الخلفيــات التاريخية وخصوصــاً ممارســات القوات اليابانيــة في أثناء الحرب العالمية الثانية ومــا قبلها. والعلاقات مع كوريــا الشــمالية ربما هي الأكــثر تعقيداً. ومــا زاد في تعقيد الأمور اســتيقاظ العالم في التاســع مــن تشــرين الأول (أكتوبــر) 2006م علــى إعلان مراكز المســح الجيولوجي في كل مــن الولايات المتحدة واليابــان عن حــدوث زلزال بقوة 4.3 على مقياســ ريختر في كوريا الشــمالية، لكن العالم فوجــئ بإعلان كوريا الشــمالية أن الهزة لم تكــن زلزالاً وإنمــا تفجير نووي قامت به تحــت الأرض. وكانت تلك المــرة الأولى التــي تعترف فيها كوريا الشــمالية بامتلاكها القدرات النوويــة. وأعلنــت في الخامســ والعشــرين من (مايــو) 2009 عن إجرائهــا اختباراً نووياً ثانياً. وما يزيد في تعقيد الموقف الاعتقاد أن كوريا الشــمالية تمتلك كميات غير محددة من الأسلحة البيولوجية والكيماوية، هذا إضــافة إلى قدرات متطورة في صــناعة الصواريخ البعيدة المدى القادرة على إيصال هذه الأسلحة.



تعدّ اليابان نفسها من أول المهددين بهذه الأسلحة؛ ولذلك سعت إلى معالجة الموضوع من خلال المفاوضات السداسية التي تجمع كلاً من الولايات المتحدة وروسيا والصين وكوريا الجنوبية، إضافة إلى كوريا الشمالية واليابان. لكن هذه المفاوضات لم تؤتِ ثمارها بسبب الاختلاف الحاد في المواقف بين الأطراف المفاوضة وخصوصاً بين الصين والولايات المتحدة. وما يزيد في تعقيد العلاقات بين كوريا الشمالية واليابان وجود القوات الأمريكية على الأراضي اليابانية التي تعتقد اليابان أنها ربما تكون من أول الأهداف التي تستهدفها كوريا الشمالية في أي صراع مسلح مع الولايات المتحدة، كذلك وجود مسألة المختطفين اليابانيين الذين اعترف الزعيم الكوري الشمالي الراحل كيم جونغ إل باختطافهم من الأراضي اليابانية، لكن عوائل المختطفين وأصدقائهم والتيارات اليمينية السياسية في اليابان تستغل هذه القضية في سبيل عدم تطبيع العلاقات بين البلدين.

وتأتي أهمية هذه القضية في أنها تصب في صلب النقاش الدائر في اليابان منذ زمن طويل بين اليمين واليسار حول تصوراتهم لمستقبل اليابان، فاليمين يسعى إلى استغلال التهديد النووي القادم من كوريا الشمالية للإعلان عن رغبته في أن تتجاوز اليابان مرحلة الدفاع الذاتي وأن تغير الدستور الذي يحرم عليها امتلاك أسلحة



هجومية وأن تبدأ مرحلة جديدة بامتلاك جميع الأسلحة التي تحتاج إليها للدفاع عن نفسها أو حتى القيام بضربات استباقية للحد من الأخطار الخارجية التي تهدد أمنها القومي.

5 - تأمين احتياجات اليابان من الموارد الطبيعية وخصوصاً الطاقة

تحتاج اليابان إلى كثير من المواد الأولية التي تستهلك في المصانع اليابانية ذلك أن اليابان تمتلك القليل من الموارد الطبيعية على أرضها ومن ثم فهي في حاجة إلى تأمين مصادر مستقرة لهذه المواد. ومن أهم المعادن التي تحتاج إليها المصانع اليابانية الحديد والنحاس والرصاص والفضة والذهب والسيلكون إضافة إلى مواد أخرى. واليابان لا تمتلك احتياطيّاً كبيراً من النفط أو الغاز ولذلك فهي تعتمد على استيراد معظم حاجتها من النفط البالغة أكثر أربعة ملايين برميل في اليوم على الاستيراد وخصوصاً من الخليج العربي الذي يوفر أكثر من 90% من حاجة اليابان الى النفط الخام وكمية كبيرة من الغاز الطبيعي.

وكانت اليابان إلى زمن قريب تفاخر بأنها نجحت في تخفيض اعتمادها على النفط المستورد وذلك بتنويعها مصادر الطاقة وخصوصاً الطاقة النووية حيث قامت ببناء 54 مفاعلاً نوويّاً وفرت نسبة 30% من حاجة اليابان من الطاقة الكهربائية. لكن الزلزال



الذي ضرب شمال شرق اليابان وأحدث حرائق في مفاعل فوكوشيما نبه الشعب الياباني إلى الخطورة المصاحبة لبناء المفاعلات على أرض اليابان المعروفة بكثرة حدوث الزلازل ما يزيد من خطورة المفاعلات على الرغم من التقنية العالية المستخدمة في بنائها. ولذلك سارعت السلطات اليابانية الى إغلاق 14 مفاعلاً ووضع 16 مفاعلاً تحت الاختبار، ما يعني أن 24 مفاعلا، أي أقل من نصف عدد المفاعلات ما زالت عاملة. وتقدر بعض التقارير أن اليابان يجب أن تزيد من كمية النفط الخام والغاز الطبيعي المستورد بمعدل 200 ألف برميل من النفط يوميّاً لتعويض الطاقة الكهربائية المفقودة بسبب إيقاف المفاعلات النووية.

6 ـ العلاقة الأمنية مع الولايات المتحدة

العلاقات بين الولايات المتحدة واليابان خرجت من رحم الاحتلال الأمريكي لليابان بعد الحرب العالمية الثانية التي نتج عنا الاتفاقية الأمنية عام 1951 التي تطورت إلى اتفاقية الأمن والتعاون المشترك عام 1960 المشهورة والتي وقعها الرئيس دوايت إيزنهاور ورئيس الوزراء كيشي التي تحدثنا عنها سابقاً. هذه الاتفاقية أعطت الولايات المتحدة الحق في وجود قواعد عسكرية على الأرض اليابانية، التي لاتزال موجودة إلى يومنا هذا. وتؤمن القيادة اليابانية المتمثلة في الحزب الليبرالي الديمقراطي الذي



حكـم اليابان معظم المدة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية والذي ينتمــي إليه رئيس الوزراء الحالي (شـينزو آبــي)، والذي هو حفيد رئيس الوزراء الأسـبق (كيشي) بأهمية التعاون الأمني مع الولايات المتحدة. مع العلم أن المدة بين (2009–2012) شهدت صعود الحزب الديمقراطــي إلى السـلطة الــذي كان يدعــو إلى إعــادة النظر في الاتفاقية الأمنية مع الولايات المتحدة وإلى تقارب أكبر مع الصــين، لكنه فشل في تحقيق التقارب مع الصين بسبب الشكوك التي تبديها الصــين تجاه السياسـة اليابانية عموماً، ولذلـك فقد أعاد الناخب الياباني الحزب الليبرالي الديمقراطي إلى السلطة بزخم كبير.

ولعل القضـية المهمـة في الاتفاقية الأمنية هــي اعتماد اليابان على الغطاء العسـكري الأمريكي الذي منحها الفرصة للتركيز على الاسـتمثار في الاقتصـاد والبنيـة التحتية، حيث إن المادة التاسـعة من الدسـتور الياباني الذي وضع من قبل قوات الاحتلال الأمريكي تلـزم اليابان بعدم بنـاء أي قدرات هجومية في قواتها العسـكرية، ومـع أن الولايات المتحدة هي التي فرضـت هذه المادة في الدسـتور اليابـاني، إلا أنهـا اليوم تحـث اليابان علـى إعـادة النظر في هذه القضـية التي تتطلب النظر في إجراء تعديل دسـتوري يمنح القوات المسـلحة اليابانيـة الحق في امتـلاك قدرات هجومية، والسـبب في ذلك هو رغبة الولايات المتحدة في أن تتحمل القوات اليابانية جزءاً

من أعباء حفظ الأمن والسلام في منطقة جنوب شرق آسيا والعالم وذلك بالمشاركة في قوات حفظ السلام في العالم.

بالمناسبة، فإن هذه القضية هي التي أثارت الجدل الكبير في اليابان حول مساهمة قوات الدفاع الذاتي في العراق بعد سقوط النظام السابق حين سارعت حكومة رئيس الوزراء الأسبق (جونيتشيرو كوئيزومي) إلى إرسال بعض القوات إلى منطقة السماوة في جنوب العراق؛ للمساعدة على إعادة الإعمار. ولأن هذه القوات لا تمتلك القدرات الهجومية، فقد تولت قوات الدول الأخرى ومنها أستراليا وبريطانيا حماية هذه القوات في أثناء وجودها هناك. هذا، ويسعى رئيس الوزراء الحالي (آبي) إلى إجراء تعديل دستوري على المادة التاسعة من الدستور وجعل هذه القضية من أولى أولويات حكومته الحالية.



المراجع

• المراجع الأجنبية

1. Rafael Aguayo، «Dr. Deming، The American Who Taught the Japanese about Quality،» Carol Publishing، New York، 1990.
2. Ruth Benedict، The Chrysanthemum and the Sword، Tutle، 1994.
3. Martin Collcutt، «Buddhism: the Threat of Eradication، « in Japan in Transition from Tokugawa to Meiji، M.B. Jensen، et.al.، ed. Princeton، New Jersey، 1988.
4. W. Edward Deming، Quality، Productivity and Competitive Position، MIT Press، Boston، 1982.
5. Peter Duus، The Rise of Modern Japan، Houghton Mifflin، Boston، 1976.
6. Encyclopedia Americana،
7. Masaaki Imai، «Kaizen: The Key to Japan's Competitive Success،» McGraw-Hill، New York، 1986.
8. Michael K. Evans، Microeconomics for Managers، Blackwell Publishing، Boston، 2004.
9. Walter W. McLaren، Political History of Japan During the Meiji Era، Frank Cass، London، 1965.
10. Inazo Nitobe، Bushido، Bilingual Books، Japan، 1998. Edwin Reischaur، Japan، The Story of a Nation، 4th ed. Tutle Publishing، Boston 2004.

11. Sokyo Ono، Shitno: The Kami Way، Tuttle، Tokyo، 1992.

12. Tzu، Sun، The Art of War، translated by Thomas Cleary، Shambhala، Boston، 2005.

13. Statistics Bureau، Statistical Handbook of Japan، Ministry of Internal Affairs and Communications، Tokyo Japan، 2008.

14. Shigeru Yoshida، Japan's Decisive Century 1867-1967، F. Praeger، New York، 1967.

15. Horoshi Yoshikawa، Japan's Lost Decade، LTCB International، Tokyo، 2002.

*****

• المراجع العربية:

1 – أمين ماكوتو كيزوتاني، **الأديان في اليابان**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م.

2 – **اليابان دولة وشعب وحضارة**، مؤسسة كودانشا، طوكيو، اليابان، 2004م.

3 – **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1989م.

4 – العالم الإسلامي في رحلات عبدالرشيد إبراهيم، ترجمة: صبحي فرحات وكمال خوجة، إشراف د. صالح السامرائي، دار القبلة، 2011م.

